

وزارة الثقافة

أحمد بن أبي الضياف

أحرف أهل الزمان
يا خبار ملوك تونس
وعهد الأمان

تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية

تنفيذ:
الطابع العربي للكتاب

اتحاد أهل الزمان
بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

المجلد الرابع
الجزء الثامن

الخطبة الموعود بها
في ذكر أعيان من العلماء والوزراء وغيرهم
على ما ذكرناه في خطبة الكتاب
من تقديم من تقدم للدار الآخرة
من أي صنف كان

قِسْمَةُ الْبَيْتِ الْجَامِعِ

2

[197 - اسماعيل التميمي]

الشيخ ابو الفداء اسماعيل التميمي .

ولد هذا الفاضل بمتزل تميم ، وبيته من أشرفها ، فحفظ القرآن ، وأخذ عن الشيخ الولي العارف بالله أبي العباس احمد بن سلمان . ثم أمره شيخه بالهجرة الى تونس ، فسكن بالمدرسة الحسينية الصغيرة ، وانقطع الى العلم ، واشرفت فيه أنوار شيخه الاول ، فحصل العلوم في اسرع وقت ، حتى كان بعض الفضلاء يقول : « ان علم هذا الشيخ أشبه بالعلم الوهبي » .

وأخذ عن عالم العصر أبي الفلاح صالح الكواش ولازمه ، وعن الشيخ الغنجاتي ، والشيخ الشحمي ، والشيخ ابي حفص عمر المحجوب وغيرهم . ولم يلبث ان تصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، فانتفع به أعيان ، وجلس للتوثيق ، وهو الامام في تلك الصناعة .

ويأتي الوزير الكاتب ابو محمد حمودة بن عبد العزيز لمحل توثيقه ، ولوعا بمحاضرتة .

وله الخط الجميل ، وال عبارات الفائقة .

ثم قدمه الباي أبو محمد حمودة باشا للشهادة على بناء داره بالقصبة ، التي وكيلها الوزير أبو عبد الله محمد العربي زروق ، ثم قدمه لخطة القضاء بالحاضرة في التاسع والعشرين من صفر سنة 1221 احدى وعشرين (السبت 18 ماي 1806 م.) ، فتلقي رايتها باليمين ، وجلتي في تلك الميادين ، بثقوب الفكر وسعة الاطلاع ، والشدة في الحق على نهج المتقين .

ثم نقل لخطة الفتوى في ربيع الثاني سنة 1231 احدى وثلاثين (مارس 1816 م.) ، ثم اعيد لخطة القضاء في رجب من السنة (جوان 1816 م.) ، لما اصيب الشيخ ابو العباس احمد بوخرىص في بصره .

ثم امتحن يوم الاحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة 1235 خمس وثلاثين (20) اوت 1820 م.) بالعزل والنفي لمآطير ، وسجن بعض أتباعه لنبا فاسق قبل التبين ، بانه يترب زوال الدولة ، ويخبر بشرح الجفر ، الى غير ذلك من وساوس الحسدة في الملك المطلق .

وبعد اربعة وثلاثين يوما تسرح من النفي ، ومكث بداره ، فهرعت اليه الشيوخ ، وطلبوا أن يقرئهم « شرح العضد لمختصر ابن الحاجب » الاصيلي ، فاقرأهم بداره ، وانجذبت القلوب لمغناطيس علومه ، واقتطفوا من رياض منطوقه ومفهومه ، وقابله العام والخاص باجلال وتعظيم ، لم يعهد ايام الولاية ، فكان كما قال الاول :

ان الامير هو الذي يضحى اميرا بعد عزله
ان زال سلطان الولاية فهو في سلطان فضله

ثم رجع لخطة الفتوى يوم الجمعة السادس والعشرين (1) من رجب سنة 1239 تسع وثلاثين (26 مارس 1824 م.) .

ولا توفي الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ قاسم المحجوب في شعبان من سنة 1243 ثلاث واربعين (فيفري - مارس 1828 م.) صار رئيس الفتوى عوضه .

وكان هذا الفاضل من علماء هذه الامة المحمدية ، آية الله في الحفظ والثبات ، أخذنا مأخذ المجتهدين في تحليل المسائل الفقهية ، بمدارك اصولها الشرعية ، ويصرح بانه من اهل الترجيح ، ولم ينكره احد عليه ، بل يعتمدون ترجيحه عند تسليم الدليل . ويستفتى من حاضرة العلم فاس ، ومن قسنطينة والجزائر وطرابلس ، ويجيب بالكتابة .

وكان يعارض شيخ الفقه ، وكبير اهل الشورى ، أبا عبد الله محمد المحجوب ، فقال له يوما في المجلس ، وقد اختلفا في تشهير قول ، فقال له الشيخ المحجوب انا أفنتي في دين الله ستين سنة ، وأعرف المسألة من حين روايتها عن مالك ، وكل من تكلم فيها ، فقال له لا غرابة في اتصافك بذلك ، فانك حافظ المذهب ، لكنني أعلم اعتماد كل متكلم في المسألة على أي دليل . وكان الشيخ المحجوب يرجع له .

(1) هو 25 حسب التقويم

[وكان] متبحرا في العلوم العقلية والنقلية ، لا يخلو مجلسه عن فائدة علمية ، واذا سئل عن شيء انهل ودق علمه بالجواب ودليله ، حتى يخيل لاسامع انه مستعد للجواب عنها ، وسبحان الذي خص من شاء بما شاء .

وكان عالم الملة وهو ابو عبد الله محمد بريم الثاني يعلم منزله ، ويشي عليه ، ومهما أتاه يترك شغله ، ويقبل عليه ، ويهش لزيارته ، ويقول له : « لا تحرمنا من زيارتك ، وان كنت تأتي اليّ لتتعيني بالمسائل ، فانا أيضا أستفيد من سؤالك » .

ومن عادة صاحب الترجمة الانصاف ، وكان يزوره شيخنا عالم الحنفية ابو عبد الله محمد ابن شيخنا العالم المفتي أبي العباس حميدة بن الخوجة ، فاذا رآه مقبلا ترك شغله ، وأقبل عليه يحادثه ، وكان لا يأتيه الا سائلا ، ولما ينصرف يتبعه نظره ، ويقول : « ما أعلم هذا الانسان » ، ويكررها ، محدثا بها نفسه . سمعت ذلك منه مرارا .

وقد وقع بينه وبين شيخنا أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار نزاع في نازلة أفضى الى وحشة ، فبعث اليه ، ورجع له ، وأطلعته على سبب رجوعه ، ودعا له ، وكان في مرض موته ، وهو ملقى على صدر الشيخ البحري ، يقول له : « كثر الله من امثالك في علماء المسلمين » . الى غير ذلك مما يدل على سلامة الصدر ، وحب الانصاف .

وكان رحمه الله مهيبا ، حسن الاخلاق ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن المحاضرة . طلب منه الشيخ البحري ان يقرئه كتاب « الموافقات » لابن اسحاق الشاطبي ، فقال له : « انظرها وحدك ، واعرض علي ما تتوقف فيه ، فيكون حديث سمرنا » ، ففعل ، وانتفعنا بذلك .

وله باع طويل في فن التاريخ ، اذا تكلم في دولة ترى كأنه من رجالها .

وله محبة واعتقاد في الصالحين ، وميل الى اخلاق الزهد . والملوك يعظمونه .

ولم تزل درر علومه حاضرة منقودة ، ومفاخره على جيد الزمان منصودة ، والآمال الى طول حياته ممدودة ، الى ان استكمل أنفاسه الممدودة ، في الخامس عشر من جمادى الاولى سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين وثلثين واربعمائة (الاربعاء 10 اكتوبر 1832 م-) ، وله من العسر أربع وثمانون سنة .

وصلى عليه الامام ابو عبد الله محمد الشريف أمام باب البهور بالجامع الاعظم ،
وحضر جنازته امير العصر وبنوه ، ورجال دولته ، وحملوا نعشه ، وراثه تلميذه شيخنا ابو
اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي وغيره من ادباء العصر .
وله تأليف نفيس رد فيه شبهات الوهابي ، ورسائل في الحيس والخلو ، وغير ذلك
مما لو جمع كان جزءاً .
واعقب ابنا غيراً يتمعش بقراءة القرآن ، ولم ينقطع عمله المبرور ، بما بثه في
الصدور .

[198 - محمد الميزع]

ابو عبد الله محمد الميزع .

احد اعيان الحاضرة في عصره ، يحترف بالتجارة في الحرير وغيره .
وتقدم ناظراً على بنيان قشلة للجند .
وكان وحيها خيراً ، ذا مروءة وعفة ، يحافظ على الصلوات في الجامع الاعظم ،
وسماع الحديث النبوي .
ولم يزل على حاله ، الى ان حان اجل ترحاله ، اوائل جمادى الثانية سنة 1248 ثمان
واربعين ومائتين والفر (أواخر اكتوبر 1832 م) ، رحمه الله تعالى .

[199 - سليمان بن الحاج]

ابو الربيع سليمان بن الحاج .

ولد هذا الرجل بفار الملح ، وانتمى الى كاهية بتزرت أبي النخبة الحاج مصطفى بن
محمد خوجة . وترقى الى ان التزم رحاب الطعام بالحاضرة .
وكان ابو محمد حمودة باشا ينظره بعين نجابة ، ويتوخى في اعماله الاصابة .
ولم يزل يترقى في مناصب الاعمال ، الى ان صار من اعيان العمال .
وكان حازماً نبيها ، ضابطاً لامور خدمته ، شديداً فيها ، متقشفاً في زيه ، خيراً
بالنسبة لامثاله .

ولم يزل على حاله ، الى ان آن انتقاله ، خامس رمضان من سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (السبت 26 جانفي 1833 م.) ، وأعقب أولادا سيأتي لهم خبر ، ان شاء الله تعالى .

[200 - محمد الشتيوي]

ابو عبد الله الشيخ محمد الشتيوي .

نشأ هذا الشيخ في طلب العلم ، وحصل ملكة ، ودرس بالجامع الاعظم موطأ الامام مالك ، وغيره من كتب الحديث . وتقلب في الخطط العلمية كالتوثيق ، وتقدم شيخا على القراء بجامع الزيتونة ، والشهادة على اوقافه .

وكان وجيها عفيفا ، خيرا امينا ، ثقة صلبا في دينه ، تقى العرض ضيق الصلر ، ذا مهابة وانقباض وصمت .

ولم يزل على حالته ، في برّ مهابته ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (مارس - افريل 1833 م.) .

[201 - محمد الجندوبي]

الكاتب ابو عبد الله محمد الجندوبي .

نشأ هذا الرجل في بيوت الخيام من عرش جندوبة ، وقرأ القرآن في بعض زوايا الكاف ، وأتى الحاضرة ، فسكن بمدرسة باردو ، وتعلق بسقيفة ابي الثناء محمود باي في حياة ابن عمه ، وكان يكتب له في ضروريات داره ، ويعلم أتباعه القراءة .

وهو من رجال الثورة على ابي عمرو عثمان باي ، ومن الوالغين في دم الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، بل هو أول من ضربه على عراقبيه ، فطاح ، كمن لذلك عند باب بيت الباشا .

وليس له من أدوات الكتابة سوى رسم الحروف على تحريف ورداءة في الشكل ، وكنا نجتمع به في علو الكتاب ، ونقضي من حديثه العجب العجيب . تحدث يوما متبجحا بضرب الوزير المذكور ، وقال : « ما غاظني الا أنه لما طاح تشهد وقال يا أهل

بدر » ، فقلت له : « ايها الشيخ انت في مقام أبي ، يجب نصحك ، لا تَعُدْ لمثل هذه المقالة ، فربما يلزمك بها الكفر ، واذا كانت الشهادة لله بالوحدانية تغيظك لا يسرك حيثئذ الا الشرك » ، فسكت ، ولا سمع بذلك والذي أجازني بسرج محلي طالما كان يمنعني من مثله .

وكان جريثا مقداما ، غير مفكر في عواقب الامور ، اكثر بالادلاء (1) حتى دحض .

وتوفي سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين ولف (33 - 1832 م.) .

[202 - عبد الرحمان الكامل]

شيخنا ابو زيد عبد الرحمان الكامل .

أصله من اولاد سيدي حمادة ، من زوايا اولاد عون ، وانتقل جده من الخيام الى القيروان ، ونشأ هذا الشيخ بها ، وأخذ عن علمائها . ثم رحل الى الحاضرة فأخذ عن أعلامها كالشيخ الغنجاتي ، والشيخ صالح الكواش .

وتصدر للتدريس فانتفع به جمع . وانتخبه الباي ابو محمد حمودة باشا لقلم الانشاء ، ولم يكن ذا براعة فيه ، وان كان شاعرا مقلقا ، وشعره معروف عند الادباء ، فانتظم في سلك الكتابة مدة قليلة على كره ، ثم استعفى ، وأقبل على ما ألفه من التدريس بالجامع الاعظم ، ثم تقدم شيئا بمدرسة باردو ، وسكن به ، وانتفع به بعض سكانه .

واختص به المشير أبو العباس أحمد باي ، وأقرأ مماليكه ، ومنهم ابن تربيته أبو النخبة مصطفي خزنة دار .

وكان خيرا عقيفا ، فاضلا سالكا طريق القوم ، حسن المحاضرة فيه . كاد ان يحفظ « الاحياء » ، فقيها أدبيا شاعرا ، ذا وقار وهمة ، ونفس بمعادها مهتمة ، فصيح اللسان ، عذب البيان .

ولم يزل على حالته المرضية ، الى ان لبي داعي المنية ، في السابع عشر من صفر سنة 1249 تسع واربعين ومائتين ولف (السبت 6 جويلية 1833 م.) .

(1) كذا في كافة النسخ ، ويقصد الادلال

[203 - محمد عريف]

ابو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ محمد عريف .

نشأ هذا الخير في بيت نبيه ، واقتنى أثر أبيه . وتقدم شيخا لريض باب السويقة ، فخافته الاشرار ، وأمنت بحزمه الاخيار ، وسار في خطته سيرة شكرت وتشكر ، وتحفظ آثارها وتذكر .

وكان خيرا وجيها ، متقنا بعفة وحياء ، نقى العرض ، ليّن العريكة ، مثابرا على ابقاء الستر ما استطاع ، وبهذا الاسلوب ، أحبته القلوب . وحب الناس موصول بحب الله .

ولم يزل محمود الاثر ، طيب الذكر والخبر ، الى ان توفاه الله في غرة شوال سنة 1249 تسع واربعين ومائتين واثني عشر (الثلاثاء 11 فيفري 1834 م) ، واعقب ولدا حسنت منه الاعمال ، وانخرط في سلك اهل الكمال .

[204 - محمد امين باش خوجة]

أبو عبد الله محمد أمين باش خوجة .

هذا الرجل من أشياخ الجند ، وترقى في قلم العسكر ، الى أن صار باش خوجة ، وهي يومئذ رتبة توازي خطة الداي . وشعارُ خطته القروة مثلُ الداي ، وباش مفتي الحنفية ، والباشا ، ولا يلبسها غير هؤلاء الاربعة .

وتوجه سفيرا للدولة العلية بالهدية ، وأتى بفرمان الولاية للباشا ابي الثناء محمود .

وكان جيها خيرا ، ممدوحا عند أهل صناعته بحسن الانشاء وبراعة القلم التركي ، عالي الهمة ، ظاهر النعمة ، نقى العرض مهيبا .

ولم يزل على حاله ، يجرد رداء كماله ، الى ان توفي في شوال من سنة 1249 تسع واربعين ومائتين واثني عشر (فيفري - مارس 1834 م) ، واعقب ابناء معدودين في الاعيان . وقام مقامه في الخطة نور الله خوجة .

[205 — يوسف بن فرحات]

أبو المحاسن يوسف بن فرحات الميموني .

نشأ هذا الرجل كأبيه في خدمة الدولة من فرسان المخازنية ، وترقى في مدارجها الى ان صار باش حانية ، يسافر مع ابي النخبة مصطفى باي ، ولازمه في سائر أسفاره ، واختص بمزية تقريبه .

وكان وجيها ، فصيح اللسان ، حسن الفهم ، عارفا بعوائد العربان ، محنكا بالتجارب ، وقور المجلس ، كريم النفس ، طامحا الى قنن المعالي ، شديد المحافظة على ناموس خطته .

ولم يزل مرموقا بعين احترام ، الى ان وافاه رائد الحمام ، سنة 1249 تسع واربعين ومائتين ولف (34 — 1833 م) .

[206 — محمد بوكاف]

أبو عبد الله محمد بوكاف البوبكري .

هو من ذرية الولي ابي بكر المعروف ضريحه قرب الكريب ، ثبت في جند المخازنية على يد ابن عمه الكاتب ابي عبد الله محمد المسعودي ، وترقى في الخدمة ، وتقدم لولاية الاعمال في القبائل ، ثم اختص به الوزير شاكير صاحب الطابع ، واستعان به في خدمته مع العربان وعمالهم .

وكان وجيها متواضعا ، حسن اللقاء ، كريم النفس ، محافظا على السذاجة العربية ، ثابت الجنان .

ولم يزل في خدمته وحرمة ، الى ان توفي في رجب سنة 1249 تسع واربعين ومائتين ولف (نوفمبر — ديسمبر 1833 م) .

[207 — حسن برتقيز]

أبو محمد حسن ابن الفقيه الفاضل أباي عبد الله محمد برتقيز الحنفي .

اصله من بيت علم وفقه ، وقرأ على الاعيان ، وحصل الملكة في الفقه والتوثيق ، وتصدر للشهادة ، وله في فنونها باع .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها فاضلا ، عزيز النفس ، نقسي العرض ، حافظا لمجد آله ، بحسن خلاله ، الى ان توفي فجأة في الخامس عشر من ربيع الاول سنة 1250 خمسين ومائتين والف (الثلاثاء 22 جويلية 1834 م) .

[208 - محمد المشاط]

الشيخ ابو عبد الله محمد المشاط الاندلسي .

نشأ هذا الفاضل في بيت عفة وديانة ، مكفوف البصر ، حاد البصيرة ، نقسي السريرة ، وحصل ملكة العلم ، لا سيما علم القراءات ، ودرس بالجامع الاعظم ، وبجامعه في حومة الاندلس ، الفقه والتفسير وغيرهما .

وكان راسخ القدم في علم التفسير ، وانتفع به جم غفير من الناس . وكان رحمه الله صوفيا معتقدا ، معظما عند الناس متواضعا ، قانعا بالقليل ، عاكفا على ما يقرب الى الله زلفى ، حتى كادت أنفاسه لا تتردد الا بالتلاوة ، رقيق القلب ، حسن الظن بعبيد الله .

سرق نعله بالجامع الاعظم ، فدعا التلميذ الذي يقوده على من سرقه ، فقال له : « استغفر الله ، وما يدريك ان الضرورة ألجأتني الى ما فعل ؟ سامحه الله » .

ولم يزل معظما محببا الى الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، زوال يوم الجمعة من أواخر ربيع الثاني سنة 1250 خمسين ومائتين والف (اوت - سبتمبر 1834 م) . رضي الله تعالى عنه .

[209 - حسونة الوزير]

أبو عبد الله حسونة بن احمد الوزير الاندلسي .

نشأ هذا الوجيه في بيتهم الشهير بالنباهة ، وكان معدودا من الاعيان التجار ، وتقدم ركنا بمجلس الحكم المتجري ، وكان صحيح الفهم ، ثابت الفكر ، فصيح اللسان ، خيرا وجيها ، لين العريكة ، ذا سياسة ولطف ، سمح اللقاء ، حسن الاخلاق ، الى ان توفي غرة جمادى الثانية سنة 1250 خمسين ومائتين والف (الاحد 5 اكتوبر 1832 م) ، وأعقب أولادا ساروا على نهجه ، بل تقدموه وزانوه .

[210 - محمد بوراس]

أبو عبد الله محمد ابن الحاج احمد بوراس الهذلي القيرواني .

نشأ في طلب العلم ، ناسجا على منوال آله ، في غالب أحواله . وأخذ عن الشيخ أبي بكر صدام ، وأبي محمد حمودة الوحيشي ، وأبي عبد الله محمد بن عبيد الغرياني ، وغيرهم من علماء القيروان . وحصل العلم ، وتصدر للتدريس ، واختار ما يبقى بعد الموت من الاعمال ، وهو بث العلم في صدور الرجال . وكان عالما صالحا ، تقيا فقيها ، محدثا فاضلا وجيها .

وتوفي في رجب من سنة 1250 خمسين ومائتين والـف (نوفمبر 1834 م) .

[211 - محمد عزوز]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمود بن قاسم بن حمودة عزوز .

نشأ هذا الفاضل في بيتهم الشهير بالفضل والصلاح ، واطعام الطعام لاطلبة ، وابناء السبيل ، مستمدا من عناية جده صاحب الكرامات المأثورة في الاقطار . واقتبل بقلبه على العلم الشريف ، فاخذ عن اعلام كالشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهما .

وحصل الملكة العلمية ، وتقدم شيخا بزواية جده العارف بالله سيدي علي عزوز المتوفي سنة 1122 ، فاعان على حفظ القرآن ، وأقام الشريعة بزغوان . ولم يزل يتردد بينها وبين الحاضرة .

وكان فقيها أدبيا ، كاتباً بليغا ، خيرا فاضلا عفيفا وجيها ، ذا همة عالية ، وكرم في الطبع ، وتواضع على رفعة شأن ، ما شئت من حسن اخلاق ، وخلال نيرة الاشراف . ولم يزل معظما محببا الى الناس ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، في الرابع عشر من رمضان سنة 1250 خمسين ومائتين والـف (الاربعاء 14 جانفي 1835 م) ، ودفن بخلوة جده في زاويته التونسية ، واعقب ابنا سار على قدم أبيه وسما ، ومن يشابه اباه فما... ، يسميه الشيخ الامام الشريف ابو الثناء سيدي محمود محسن : « تايب الشباب » .

[212 - محمد شيخ روحه]

الشيخ أبو عبد الله محمد شيخ روحه الصفاقسي .

أخذ العلم عن الشيخ مقديش الاول ، وغيره من علماء صفاقس ، وتقدم لخطبة القضاء ببلاده ، فحمدت سيرته ، وظهرت عفته . وكان فقيها نبيها وجيها ، حسن الاخلاق وتقدم خطيبا بالجامع الاعظم ببلده .

ولم يزل معظما محببا الى ان توفي سنة 1250 خمسين ومائتين والى (35 - 1834 م).

[213 - حمودة الاصرم]

أبو محمد حمودة ويدعى عميرة بن أبي عبد الله محمد الاصرم .

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة ، وسكن مع أبيه بباردو ، ثم انتقل لسكنى تونس ، وولي خوجة زواوة ، عوض أبيه لما توفي ، وهي من الخطط الرفيعة يومئذ ، واستكفى به الباي ابو محمد حمودة باشا في عظام الامور ، وقاد الجنود ، وخففت عليه رايات البنود ، كما تقدم في الباب الاول ، وتوكّل - لامانته - على حفظ دخول القمصرق ، وكان مستشارا لمخدومه ، واثقا بنصحه وأمانته ، معدودا من رجال دولته .

وكان كاتباً فصيح القلم بالنسبة لاخته رئيس الكتاب ، فاضلا خيرا ثقة ، محافظا على عرضه ، حسن الاخلاق .

ولم يزل على حاله ، متجملا بما يحمد من خلاله ، الى أن انتقله ، في العاشر من شوال سنة 1250 خمسين ومائتين والى (الاثنين 9 فيفري 1835 م) ، واعقب اولادا معدودين في الاعيان .

[214 - محمد البنا]

الشيخ أبو عبد الله محمد البنا .

أصل هذا العالم من بيت علم وشرف في القديم ، واقتنى ما استطاع سنن آله ، واستعان بعفته وحميد خلاله ، فأخذ العلم عن اعلام كالشيخ صالح الكواش وغيره .

ولما حصل ملكة العلم اضطره الضيق الى اكتسب بصناعة التوثيق ، وكان فيها على قدم وثيق ، وتقدم لشهادة الغابة ، فحمد خبره ، وحسن أثره .

وكان فقيها مشاركا ، خيرا عفيفا ، وجيها حسن اللقاء ، نقي العرض .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في رجب سنة احدى وخمسين ومائتين والنف (اكتوبر - نوفمبر 1835 م) ، واعقب ابنا زان الخطط الشرعية .

[215 - يوسف كاهية دار الباشا]

ابو المحاسن يوسف كاهية دار الباشا .

اصله من الممالك القرج ، ونشأ مع أخيه رشيد المتقدم ذكره في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، وترقى لصدقه وأمانته ، الى ان صار رئيس الممالك في الصرايا . وهو من الافراد الذين ألقوا بأنفسهم لافتكاك مخدمهم من فتكة بعض ممالكه ، المتقدم ذكرها في الباب الاول (1) ، وانجرح بسبب ذلك ، ثم صار آغة ، ثم صار كاهية بدار الباشا ، وصاهره الباشا أبو الثناء محمود باي على بنت الوزير اسماعيل كاهية .

وكان مغفلا جيداً غيراً ، قاصر الفكر ، شجاعا ، واقفا عند الامر ، سليم الصدر من الحقد ، صادق الالهجة ، تغلب عليه العجمة ، شديد المحافظة على مقامه الصوري ، لا يتجاوز في ذلك ، ولم يؤثر عنه في ولايته شر .

ولم يزل محافظا على رتبته الى حلول منيته ، ودفن بترية الوزير ابني المحاسن يوسف صاحب الطابع . رحم الله الجميع .

[216 - نور الله خوجة]

ابو عبد الله محمد نور الله خوجة .

قدم هذا الرجل لتونس ، وخدم في صناعة الانشاء ، عند الباشاوات ، وترقى الى ان صار رئيس الخوجات بالمحكمة في القلم التركي ، ثم صار رئيس خوجات الديوان ، وهو مع ذلك يكتب ما تحتاجه الدولة من الانشاء باللغة التركية ، وله براعة في ذلك ، سمعت الثناء عليه باسلامبول من الوزير خسرف باشا ، على عهد السلطان محمود .

(X) انظر ص 20 ج 3

وكان أدبيا ظريفا ، عفيف النفس نقي العرض ، حسن الاخلاق .
سافر مع الوزير أبي محمد شاكير صاحب الطابع لما توجه لاسلامبول ، على عهد
الباشا أبي النخبة مصطفى باي ، سنة 1251 احدى وخمسين ، ووقعت بينهما وحشة ،
هذا يدل بقلمه ، والآخر يدل بسعادته ، فترك صحبته وتوجه لمصر ، فتوفي بها على ما قيل .

[217 - عبد الرحمان بن عياد]

ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن حميدة بن قاسم بن عياد .

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة مع أبيه ، وتدرج في الاعمال والمناصب ، كولاية
جربة وسوسة والاعراض ، وسافر بمسحاتها على فخامة لا عهد بمثلها مثله ، وأركبه
الباشا أبو عبد الله حسين باي على فرسه يوم سفره ، ونشر عليه من أردية التقريب والحرمة
ما أعانه على قضاء أوطاره ، والوزير يومئذ أبو محمد شاكير صاحب الطابع ، فبالغ في إعانته .
وكان جوادا كريم النفس عالي الهمة وجيها ، ينحو منحى عم ابيه رجب بن
عياد ، المتقدم ذكره (1) ، محببا عند الباي ورجال دولته ، لين العريكة ، يقني عرضه
بماله ، ويجنح الى ما يحمد من حاله ، مثابرا على مرضاة أبيه ، لا يرى لنفسه اختيارا معه .
ولم يزل بالغ الامنية ، وآثار السعادة وارده اليه من كل ثنية ، الى ان صدمته
مُغيرات المنية ، في سنة 1251 احدى وخمسين ومائتين والـ (36 - 1835 م) ، في حياة
أبيه ، وأعقب أولادا هم من الاعيان ، واكبرهم فارس هذا الميدان ، وَجَدَهُ جَدُّهُ
لما كبا جواده ، كما تقدم (2) .

[218 - ابراهيم الخراط]

ابو اسحاق ابراهيم الخراط الصفاقسي .

أخذ عن علماء صفاقس كالشيخ الطيب الشرفي ، والشيخ محمد الفوراتي
وغيرهما . وبرع في العلوم الادبية ، وشعره معروف في صفاقس .

(1) انظر ص 37 ج 7

(2) انظر ص 116 ج 4

وكان أديبا ذكيا حسن المحاضرة ، ذا سياسة تروض الصعاب ، وتبلغ الآراب .
ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى ان توفي سنة 1251 احدى وخمسين
ومائتين والى (36 - 1835 م.) ، بعد ان عمر مائة سنة . ويقال له تأليف في الادب
سماه « زهر الربيع » .

[219 - محمود مقديش]

الشيخ أبو الثناء محمود مقديش الصفاقسي .

نشأ بين يدي أبيه المتقدم ذكره الجميل ، وباعه الطويل ، وأخذ العلم عنه ، وكان
من خواص أصحاب الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، يقوم لتلقيه ، على
عادته مع العلماء .

ودرس قليلا بصفاقس ، ثم أقبل على دنياه ومتاجره ، ثم تقدم وكيلا على عشر
الزيت وشرائه للدولة ، ونالته بسبب ذلك المحنة على يد الوزير ابي محمد شاكير صاحب
الطابع ، ففنى المال ، وبقيت الاعمال .

وارتحل الى الحج فتوفي بجدة ، رحمه الله ، في سنة احدى وخمسين ومائتين والى
1251 (36 - 1835 م.) .

[220 - احمد الشريف]

أبو العباس احمد ابن الشيخ الامام محمد ابن الشيخ الامام عبد الكبير الشريف .

نشأ هذا الذكي في شرف بيته الموروث والمكتسب ، وأخذ عن أبيه وعن غيره ،
كالشيخ الطاهر ، وشيخنا أبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا أبي عبد الله
محمد بيرم الثالث وغيرهم .

وروى « صحيح البخاري » عن الشيخ بيرم الثاني ، وحصل الملكة العلمية ،
وأقرأ بالمدرسة في حوانيت عاشور ، يحل المشكل فهمه ، ويصيب الغرض سهمه ، غير
بعيد عن درجة الاعلام من علماء الاسلام ، الا انه مآل الى الاذكار ، وسنن الاخير .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا نقيا ، حسن المعاشرة ، كريم الاخلاق ، أقرب الى الزهد
والجذب ، ما شئت من نفس زكية ، واخلاق هاشمية .

وفي أواخر سن الشباب ، اختطفته يد المنية من بين الاقرباء ، وعظم به المصائب ، وذلك في سنة 1251 احدى وخمسين ومائتين واثنتين والفرس (36 - 1835 م.) ، وأعقب ابناً اقتدى بأبيه ، وهو الآن من الائمة بالجامع الاعظم ، كثر الله تعالى من أمثاله في الوجود .

[221 - عبد الله البلش]

ابو محمد عبد الله بن عبد اللطيف البلش الصنهاجي القيرواني .

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن الشيخ ابي الفضل قاسم بو الاجفان ، والشيخ محمد بن عبيد الغرياني ، والشيخ حمودة الوحيشي ، وغيرهم من اعلام القيروان . ودرس وافاد .

وكان عالماً فاضلاً ، مجوداً للقرآن العظيم ، رقيق القلب ، جاري الدمعة ، عفيفاً سالكاً ، ينحو طريق الزهد .

ويقال له نظم سماه « ايقاظ الغافل في تاريخ الافاضل » ، جمعه من معالم الايمان .

ولم يزل محمود السيرة ، انا ان توفي في ذي الحجة سنة 1252 اثنتين وخمسين ومائتين والفرس (مارس - افريل 1837 م.) .

[222 - محمد العروسي]

ابو عبد الله محمد بن احمد العروسي الاندلسي .

نشأ هذا الوجه في جلباب مروءة ووجاهة . وأصله من بيت نبيه في الاندلس ، أتى جده الاعلى الى هذه الحاضرة ، واستوطنها واحترف بالتجارة . ونشأ بنوه فيها ، ومنهم والد صاحب الترجمة ، تقدم أميناً على صناعة الشاشية ، وأعقب ابنه هذا ، فسار على سنن أبيه ، وتقدم للخطط ، فسار أميناً على صناعة الشاشية ، ورئيساً في مجلس الاحكام المتجرية ، وشيخ الاندلس ، ولهذه الخطط شأن في هذه الحاضرة .

وكان وجيهاً مهيباً ، وقور المجلس ، عالي الهمة ، راجح الفكر ، شديد السهم ، نازعاً عن الطمع .

وله في الحاضرة وعند الملوك وجاهة ، وله أخبار ماثورة ، ومآثر في خطه مذكورة .
وامتحن أيام الباشا ابي عبد الله حسين باي ، وسجن اياما ، وصودرَ بمال على يد
الوزير ابي محمد شاكير صاحب الطابع ، ثم اعيد لمنصبه على يد الوزير المذكور .
وبقي على جلالته وهيبته ، الى آخر ساعته ، في ذي القعدة سنة 1252 اثنتين
وخمسين ومائتين والـ (فيفري - مارس 1837 م.) ، وخلف عقبا يجري على سنن اسلافه .

[223 - احمد حافظ خوجة]

ابو العباس احمد حافظ خوجة .

أصله من أزميز ، أتى الحاضرة متطوعا للخدمة في الجند بصناعة القلم ، وسافر في
محلة قسنطينة خوجة⁽¹⁾ ، ورجع فيمن رجع ، وترقى الى ان صار كاهية باش خوجة ، وله
عند جند الترك وجاهة وقبول مسموع . يقال ان نسج ثورة الترك بتونس (1) سنة 1231
احدى وثلاثين (1816 م.) من غزله ، وإن لم يحضر الا بالرأي ، واغضى له الباي ابو
عبد الله حسين باشا عن ذلك ، كما تقدم في الباب الثالث خبرها .

وكان وجيها خيرا ، حسن الفكر سديد الفهم ، له مشاركة في التاريخ والادب ،
عزيز النفس حسن الزمي ، محبا لاهل الحاضرة ، لاسيما الجند ، حسن الاخلاق ، ما شئت
من ظرف وادب ووقار ، يلتمز بالتشيع . لقيته يوما في جنازة ، وانا صغير ، فجرى
ذكر علي رضي الله عنه ، فتكلم بما لا ينكر ، فقلت له : « سبحان الله الناس
ينسبونك الى التشيع » ، فقال : « نعم أحب عليا ، ولا أفضله على من تقدمه » ، ثم
قال لي : « أتحفظ شعر الشافعي » ، فقلت : « لا » ، فأملى علي قوله :

قف بالمحصب والمنازل من منسى واهتف بساكن اهلها والناهض

ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنسي رافضي

وام يزل على تعظيمه واجلاله ، متجملا بكماله ، الى حين انتقاله ، في سنة 1252
اثنتين وخمسين ومائتين والـ (1836/37 م.) ، رحمه الله ، بعد عجز اقدمه بداره مدة .

(1) انظر ص 115 ج 3

[224 - احمد المنستيري]

أبو العباس احمد المنستيري .

تقدم ذكر أخيه ، وهو ربيب الباي أبي الثناء محمود باشا ، وصهر ابنه .
تولى الخطط على قصور في سياسته ، وساعده البخت ، لا يدلي الا بقراءة المصاهرة ،
وازدرى برجال الدولة ، فازدروا به ، وآخر أمره بقي بداره ، ومع ذلك فقد كان سليم
الصدر ، نديّ الكف ، حسن اللقاء ، اقرب الى خلال الخير من أمثاله .
ولم يزل على حاله الى ان توفي في التاسع عشر من ربيع الاول سنة 1253 ثلاث
وخمسين ومائتين والـف (الجمعة 23 جوان 1837 م.) ، واعقب ابنا معدودا من الاعيان
في النجباء .

[225 - محمود الاصرم]

الوزير أبو الثناء محمود بن محمد الاصرم .

نشأ هذا الخير في بيته النبيه شأنه ، الكثير أعيانه ، وقرأ بالجامع الاعظم على
أبي محمد الشيخ سيدي حسن الشريف وغيره ، وحصل ملكة المشاركة في العلم .
قدمه الباي أبو محمد حمودة باشا للكتابة في ديوان الانشاء مرؤوسا بأخيه الاكبر ،
وبعد وفاته قدمه الباشا ابو عبد الله حسين باي لرئاسة الكتاب ، وكان مليح الخط ،
اقرب الى صناعة الانشاء والمشاركة العلمية من أخيه ، أدبيا له معرفة بعلم التاريخ ،
وجيها فصيحاً خيراً منصفاً ، لين العريكة كريم النفس ، حسن الاخلاق حافظاً
للمروءة ، نقى العرض نازعاً عن الفضول ، لم ينقل عنه سوء ، ولم تحفظ له مظلمة ،
متواضعاً جانحاً الى العافية والتسليم ، قانعا بمحبة الباي ، مسالماً للوزير ابي محمد شاكير
صاحب الطابع ، حسن اللقاء ، مليح المحاضرة ، ظريف المجالسة ، محبباً الى الناس ،
يعرف الفضل لذويه .

ولم يزل طيب الخبر ، قانعا من الخطة بما بقي من الاثر ، بالغ الامنية ، الى أن
جاءته المنية ، في ربيع الثاني من سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـف (جويلية
1837 م.) ، وتقدم لخطته كاهيته وابن أخيه ، وأعقب أولادا أعيانا .

[226 - شاكير صاحب الطابع]

الوزير ابو محمد شاكير صاحب الطابع .

اصل هذا الرجل من الجراكسة ، مولى لابي عبد الله الباشا حسين باي ، تقدم وتقرب بحسن خدمته ، وولي خدمة الطابع ، وبها تميز ، وصاهره سيده على بنته ، وزوجه بها في داره امام بيته .

ولم يزل يترقى الى ان امتطى صهوة الوزارة على حين احتياج له ، لما طلب التجار ثمن الزيت المبيع لهم من الدولة ، أو عينته كما تقدم (1) ، واشترط أن يمضي رأيه فيما يتعلق بالدخل والخرج ، وان لا يفتات عليه احد في شأن المال ، فقبل سيده شروطه ، وشمر للخدمة عن الساعد ، وساعده القدر المساعد ، واقتصد في سائر المصاريف حتى اوقفها على القدر الضروري ، وأرخى للعمال العنان ، لانه انتفع بعاجلهم في هذا الشأن ، ثم انتبه فضرب على أيديهم وساعده السعادة ، وملكته المقادة ، فأصلح بنفسه فاسده ، وأرغم حاسده ، واعترف بالغلط ، ومن الذي ما أساء قط ، وأذكى العيون على الاعمال والعمال ، واقتنى للدولة المال ، وحض الناس على الاعمال ، وباشر الامور بنفسه ، وتولى أمر الساحل والاعراض ، وغالب ما في الجهة القبلية من العروش ، واعتنى بالرعية ، يسلفهم من ماله ، ويُنظِر مُعسِرَهم حتى بدت فيهم ثروة . ومن سعادة الجدل ان الله سبحانه رحمهم بالخصب والزيتون ، حتى ان أهل الساحل يؤرخون بتلك الصابدة ، ويسمونها صابدة شاكير ، حتى تشككت منه التجار الافرنج ، وظنوا انه يتجر بمال الدولة ، وينسب ذلك لنفسه ، حتى بان ان الرجل مقصده ثروة تلك الجهة على صورة التجارة ، بحيث لا يذهب رأس ماله ، ولا تضطر الرعية لدفع الربا الفادح ، وفسخ الديون في الديون ، ولذلك كان يلزم السفر للجهة القبلية ، حتى كادت ان تكون مدة سفره اكثر من مدة اقامته ، ويكتفي في مغيبه بمملوكه وابن تربيته ابي عبد الله محمد ، وبهذه الخدمة تلقب بخزنة دار ، وهو الآن من أعيان الوزراء ، فقام بخدمة الخطة لسيده احسن قيام ، واقفا عند نهيه وأمره ، في سره وجهه ، وقام لسيده بحفظ الغيبة ، وان قوبل منه بالخيبة ، واخذ معه سبيل الحنر والادب ، حتى برع ونجب ،

(1) انظر ص 170 و 171 ج 3

وتقدم بنفسه ، في بني جنسه ، فوقع في قلب الوزير منه شيء ، مع عقارب السعايات من حساده ، وسماسرة الفتن من أصداده ، وخشي أن هذه النجابة ، ربما تقدمه الى المخطط والقرابة (1). وذلك ان هذا الوزير ومن عاصره من المماليك يومئذ ، في أدمغتهم خيال بلا دليل ، وهو ان التقدم انما هو للمماليك القرج والجراكسة ، وما والاها ونسوا نسبة الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ولا يرون للمماليك من الروم أهلية تقتضي شيئا ، مثل ابناء البلاد ، وما دروا ان التقدم انما هو بالنفس ، لا بالنسب والجنس .

وما ينفع النسب الهاشمي اذا كانت النفس في باهلة

فتنكر لمملوكه هذا ، وأخذ في حظه ، وهو يتجاهل ، والوزير يرتاد في المماليك ، وهو يخشى غوائل اهل طبقته من الاكفاء ، وكان والدي يعارضه في هذا العزم ، ويقول له : « ان افسدت على نفسك هذا المملوك لا تجد غيره » ، وان كان رأيه كراي القوم في القرج وما عطف عليهم ، وطالما باحثته في ذلك فتمسك بالعادة .

ثم بدا له أن يكلفه الاعمال الثقيلة حتى يظهر للعيان عجزه ، فأتابه عنه في سفر محلة الاعراض على صغر سنه ، وقدر له مالا معيناً يخلصه اكثر مما كان يخلصه بنفسه ، فسافر وخلصه ، وهو غاضٌ الطرف عن إعانته ، ناظر الى أسباب اهائه .

ولما قدم بالمحلة أتى المحمدية اولاً بأعلامه ، وكنت يومئذ بها ، ولما دخل البيت التفت الوزير ينظر الى الحيل معرضاً عنه ، وهو واقف ينتظر التفاته ، والناس خلفه واقفون ، ثم التفت اليه وناولته يده فقبلها ، ثم أمره بالتوجه الى باردو على العادة .

ثم ظهر للوزير انتخاب مملوكه اسماعيل ، وهو من الجراكسة ، وقال انه من قرابته ، وبقي مملوكه محمد موصولاً بخدمة سيده في الظاهر ، وهو معرض عنه . ثم تسنى للوزير السفر بمحلة لعصيان وقع بجبل ماطر ، فعزم مملوكه محمد على السفر معه كآحاد الاتباع ، فقلت له : « سيدك أمرك بالسفر معه » ، فقال لي : « نسافر أمرني أو لم يأمرني ، وانا من اتباعه على كل حال » ، فقلت له : « ما كنت فيه من الرتبة لا يقتضي ان تسافر الآن كآحاد الاتباع » ، فأقسم لي أن سفره ليموت ، « وذلك ان ما لقيته من الاهانة ، ربما يلجئني للهروب الى دار القنصل ، وهذه الوصمة أشد علي من

(1) انظر تعليماً خاصاً بهذا الموضوع ائبته الشيخ محمد القروي في نسخته جملناه ملحقاً في آخر الكتاب .

الموت ، وسافر ، وألقى بنفسه ، فأصيب برصاصة بقيت به اثرها في مشيه ، وجيء به على نعش ، ويقال والله اعلم بحقيقة الحال ، ان محمد شولاق القرجي هو الذي ضربه ، وهو ممن يبغض المماليك من الروم .

وكان فقد الوزير لهذا الرجل من مقدمات نكبته ، وعلى كل حال فله في الدولة جليل خدمة ، اقتضت ما ناله من التقدم والحرمة ، الا انه كسرها على نفسه بالادلالات والمن ، وتفنن فيه بكل فن ، والقدر يحجب البصيرة ، حتى خيل اليه انه اذا سلم في خطته لا يوجد من يقوم بها ، فكان يتعلق باسباب واهية يبني عليها تغيُّره ، ويتوجه الى المحمدية ، فيغضبي له سيده ويلاطفه ، ويتجاهل له ، لا سيما في آخر دولة سيده .

اتفق انه تسبب بشيء لا أثر له فركب الى سانية القَدَّان ، وبات بها ليلي ، ولم يتحقق الباي سبب تجنبه (1) ، فبعث له مملوكه محمد القائم باعباء خطته في الحضر ، ولما وصل لم يعلمه بانه رسول ، فقال له : « لاي سبب أتيت ؟ » ، فقال له : « لمغيبك عنا » ، فذكر له سبب غضبه ، فقال : « هذا لا يغضبك ، وليم لا تقدر بأنك اذا تجنبت ، يقدمُ سيدك للخطة غيرك ؟ » ، فقال له : « لا يتقدم لذلك أحد » ، فقال له محمد : « أرى نفسي اقرب الناس اليك مثل ابنك ، وأنت الذي أظهرتني للوجود ، فلو يأمرني سيدك بأمر فيك ما توقفت في تنفيذه ، فأحرى غيري » ، فعند ذلك تنبه من سينة غروره ، واخذ في أهبة الرجوع الى باردو ، فبعد ذلك قال له محمد : « اني أتيتك رسولا من سيدنا لتقدم » ، وأخذ في نصحه . ومن الغد اصبح في موضع خدمته .

وكان سيده يلاقي من هذا الحال ما يضيق عنه نطاق التجلد ، وكان والدي وهو من أصدقائه كثيرا ما يعذله عن هذا الخلق ، ويقول له : « انك تسعى الى جلب الضرورة (2) لنفسك بنفسك مع انك تعلم ان رجال الدولة وأعيانها يحسدونك ، وكل يدعي انك أسأت اليه ، حتى باي المحال شقيق سيدك وقريعه في النسب ، فاذا غض سيدك طرفه عنك تفوقت اليك سهام الاعادي ، فرأس مالك والحالة هذه هو سيدك ، فاحتفظ برضاه ، ولا تعتمد البخت وحده ، وفي اقرانك من يرى نفسه مقدما عليك » ، الى غير ذلك من النصيحة ، لو صادفت اذنا واعية ، واذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره ،

(1) في غ و ع . مجيئه .

(2) الضرورة : الضرر (عامية تونسية) .

سلب ذوي العقول عقولهم ، حتى ينفذ فيهم حكمه ، حتى كنا نظن ان سيده اذا أبل من مرضه الذي مات به هو الذي يقتله .

ولما توفي سيده ، رام ان يسير مع اخيه كما كان ، وقد زال المقتضي ووجد المانع ، ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، فنقل أهله للمحمدية وسكنها .

وكان هذا الوزير آية الله في جمع المال ، وطرق حصوله بالاسباب النافقة في ذلك العصر ، من غير اجحاف ولا ضرر بالرعية ، مقتصدا في صرفه ، مقتصرا على الضروري ، يرى ان ذلك هو القطب الذي تدور عليه الوزارة والمملكة ، وصدق فالمال المصون أقوى الحصون ، ومن قل ماله قلت آماله ، وتهاونت بيمينه شماله ، وساء معتاد عيشه ، وصغر في عين جيشه ، وفيا بعهده ، حافظا لكلمته ، سوي الظاهر والباطن ، يرى الرفق بالرعية ، والشدة على العمال ، شاهدت ذلك منه مرارا لما كنت مختصا بكتابة ما يصدر من كتبه في بيت وزارته . أتاه بعض مشائخ نفطة يشكوه عسف العامل وهو يومئذ رستم (1) احد المماليك بالصرايا ، ولما سمع العامل بانه في بيت الوزير ، استشاط غضبا ، ودخل البيت بلا استئذان ، وقال له : « لا تسمع كلام هذا ، واسمع كلامي ، فاني مملوك الباي ، وسيفي من ذهب » ، فقال له برفق : « هوّن على نفسك ، فان فائدة سيدنا في رعيته لا فينا ، وأنت وهذا الذي احتقرته بين يدي سيدنا سواء » ، فخرج مغاضبا ، وهرب لدار القنصل ، ثم خرج وحده .

وكذلك فعل مع أبي عبد الله محمد شولاق في ولايته على عرش الطراباسية ، لم يسعفه في غرض من أغراضه ، فهرب لدار القنصل ، وخرج وحده أيضا .

[وكان] سريع الغضب ، جريء القول ، عبوس اللقاء ، شديد الحزم ، ماضي العزم ، بعيدا عن منازع السياسة ، يراها مداهنة ، لا يبالي حتى مع سيده وبنيه ، وأقاربه وذويه ، والحال أنه وزير في دولة لإطلاق ، فارسا راميا ، ثابت الجنان في المخاوف ، متجلدا على الاسفار وركوب الخيل ، صادق اللهجة في أقواله ، مسعودا في أعماله ، الى أن كبا جواده ، وفارقه إسعاده ، فقتل مخنوقا يوم الاثنين الحادي عشر (2) من جمادى الثانية سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والفر (11 سبتمبر 1837 م) . كما تقدم في خبر

(1) كنا في خ وفي ع و ق : رستم .

(2) هو 10 حسب التقويم .

مقتله بالباب الخامس من هذا الموضوع (1) ، قابله الله بعفوه ، وأعقب ابنا صغيرا هو الآن من الاعيان تلوح عليه سيماء النجابة ، غير معتمد على القرابة .

[227 - سليم أمير آلاي]

أبو النجاة سليم أمير آلاي .

هذا الرجل من المماليك ، نشأ في الخدمة بانصرايا ، وترقى الى ان صار امير آلاي عسكر النظام في ابتداء تربيته (2) .

وكان خيرا وجيها ، ذا همة ومروعة وحزم ، متوسط الادراك ، معتمدا على جنسيته . وتوفي يوم الاثنين الثامن عشر من جمادى الثانية سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والى (18 سبتمبر 1837 م) ، ودفن بجبل الجلاز ، وحضر جنازته ابو العباس احمد باي .

وقام مقامه في خطته سميه ابو النجاة سليم ، وهو الآن رئيس الضبطية بالحاضرة .

[228 - سليمان الموسكو]

ابو الربيع سليمان آغة ، ويعرف بالموسكو .

هذا الرجل من ممالك الباي أبي محمد حمودة باشا . نشأ في خدمته الى ان صار باش آغة .

وكان خيرا وجيها ، حازوا واقفا عند الإذن ، طلق الوجه ، حسن اللقاء ، شجاعا صبورا . استأذن لاداء فريضة الحج فأذنه المشير أبو العباس أحمد باي ، وجهزه ، وسافر في رابع شعبان من سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والى (الجمعة 3 نوفمبر 1837 م) ، وتوفي في الحجاز بعد أداء الفريضة .

(1) انظر ص 218 ج 3 .

(2) كذا في خ ، وفي ع و ق : تربيته .

[229 - محمد بن حمودة صدام]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن حمودة صدام اليمني القيرواني .

نشأ في بيتهم الشهير بالقيروان ، وأخذ العلم عن ابن عمه الشيخ بكار صدام ، وابنه الشيخ محمد ، وأبي محمد حمودة الوحيشي ، وغيرهم من علماء القيروان . وحصل الملكة العلمية ، وتصدر للتوثيق ، وتقدم لخطة الفتوى .

وكان وجيها فاضلا ، خيرا نقسي العرض ، عزيز النفس .

ولم يزل على حاله ، وحميد خلاله ، الى ان توفي في السادس والعشرين من شوال سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـ (الثلاثاء 23 جانفي 1838 م) .

[230 - محمد شولاق]

ابو عبد الله محمد شولاق .

هو من الموالي ، وأصله من بلاد القرج ، ونشأ بالصرايا في خدمة الدولة ، وترقى في خططها الى ان صار آخه . وكان فارسا راميا ، مقداما جريئا ، متوسط الادراك ، بعيدا عن منازع السياسة ، يرى استحقاق الرتب السنوية بالنسبة القرجية .

ولما ولي عمل الطرابلسية طلب ان يضم اليهم عرش فرجان ، وقد كانوا خارجين عنهم ، يسوسهم شيخهم ، فلم يوافقهم الوزير ، فهرب الى دار القنصل ، ولما صدر له الجواب بالسفر ندم ، وشمله حلم مخدمه الباشا ابي عبد الله حسين باي ، وأعادته الى الخدمة كما كان ، وصفا الجو بينه وبين الوزير . ثم اتهم بمداخلة الوزير شاكير صاحب الطابع في سبب قتله ، فنفاه الباشا ابو النخبة مصطفى باي ، وتورع عن إراقة دمه ، وخرج بسائر كسبه ، وذلك في سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والـ (1837/38 م) ، وتقلب في البلدان ، ثم طلب الرجوع فمنع ، وتوفي فجأة بطرابلس ، وأنف المشير أبو العباس أحمد باي من إرثه بالولاء ، فوهب ذلك لزوجته بطرابلس .

[231 - اسماعيل الباهي]

ابو الفداء اسماعيل ابن الشيخ علي
ابن الشيخ اسماعيل ابن الولي ابي العباس سيدي احمد الباهي .

نشأ هذا الماجد بين يدي أبيه في بيت مجدهم ، وقرأ على عمه أبي عبد الله محمد الباهي ، وعلى شيخنا أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، والشيخ الطاهر . وكانت قراءته بغضب من أبيه ، فحصل ملكة المشاركة ، وما كاد ، وتقدم شيخا بزأوية جدهم ، بعد وفاة عمهم ، على مقتضى نص الحبس من أن النظر للاكبر في الذرية ، ولو مع وجود الاصلح .

وكان خيرا عفيفا ، ذا همة ووقار ، يغلب عليه الحياء ، مشتغلا بخويصة نفسه ، مرموقا بعين اجلال .

ولم يزل على هذا الحال الى ان توفي سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (38 - 1837 م.) رحمه الله تعالى .

[232 - يوسف بن ذا النون]

ابو المحاسن يوسف بن ذا النون الزوابي (1) .

هذا السيد من اشراف باجة ، ويبتهم معروف بها ، وهاجر في طلب العلم الى تونس ، وأخذ عن اعلام كشيخ الشيوخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، وأبي عبد الله محمد الطاهر ، وابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وابي عبد الله محمد الفاسي وامتطى ذروة التحصيل ، مع مجده الأصيل ، وقصر نفسه على التلاوة والعبادة ، والنظر في كتب القوم ، ملازما درس شيخنا ابي العباس احمد الأبّي لرواية « صحيح البخاري » كل يوم ، ويفيد السائلين .

انقطع الى الله في بيت بصحن جامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وكان شيخنا الرياحي يعظمه ، ويعرف له حقه ، ويقول له اذا حضر درسه : « أنت بعهد الله غني عن درسي » ، فيطأطئ رأسه ، ويقول له : « لا غني لمسلم عنك » .

(1) انظر ص 146 ج 3 .

وكان ذا تقوى وعفاف ، قانعا بما دون الكفاف ، عالما ذكيا ، فقيها محدثا ، شاعرا ناثرا ، صوفيا له في طريق القوم ذوق ، والى ما عند الله شوق ، ونزاهة لازمته ملازمة الطوق ، مهيبا معظما مقصودا للدعاء .

ولم يزل في عبادته ، وطرق سعادته ، الى ان مرض في بيته بصحن الجامع ، فحاوله والدي على ان يتحول الى دارنا فأبى ، وطلب منه عوض ذلك ان يهب له قبره بقبة الولي سيدي مصطفى في سقيفة الجامع ، وان يصرف على تجهيزه مما يجده من مخلفه ، فأجابته لذلك ، وبقي والدي في معاناته ، وربما استعان بي الى آخر ساعاته ، فجهزه من مخلفه كما اوصى ، ودفنه في قبره ، وما فضل من مخلفه دفعه لورثته .

وكانت وفاته سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والى (38 - 1837 م.) ، ثم ندم أبي على هبة قبره ، وببركته تيسر له قبر في القبة المذكورة ، رحمهما الله .

[233 - احمد بن عمار]

أبو العباس الحاج احمد بن عمار .

نشأ هذا الرجل في الخدمة بين يدي الباي أبي محمد حمودة باشا ، وله سلف فيها ، وتقدم باش حانبة بعد وفاة أخيه أبي الفلاح صالح بن عمار ، الا أنه زاد على أخيه باللسان التركي واللسان الطلياني .

وكان محببا لمخدومه ، نبيه المترلة عنده ، فصيح اللسان ، ماهرا في خدمته ، مفرطا في المحافظة على ناموسه ، متوسط الفكر ، وجيها مهيبا .

توفي يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الثاني سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والى (20 جويلية 1837 م.) ، وله عقب ، وتولى ابنه الاوسط خطته بين يدي أبي النخبة مصطفى باي ، فسار على سنن أبيه ، وتوفي في دولة المشير أبي العباس أحمد باشا باي .

[234 - محمد البحري بن عبد الستار]

العلامة شيخنا ابو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار .

نشأ هذا التحرير بين يدي أبيه ، وأخذ عنه ، وعن الشيخ احمد البكاي مبادئ العلوم .

ولما حصل الملكة دخل الجامع الاعظم ، وأخذ عن أعلامه كالشيخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم ، ولازم شيخ الشيوخ سيدي حسن الشريف .

ولما امتلأ بالعلم حوضه ، وأثمر روضه ، قصدر للتدريس بجامع قرب داره ، لبعدها عن الجامع الاعظم ، وهرعت الى دروسه الطلبة ، فأفاد وأجاد ، واتى بما يستجد ، وتلقى راية العلوم المعقولة والمنقولة باليمين ، وهو على هذه الرتبة لم يفارق درسه على شيخه أبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي .

وتقدم لخطبة القضاء بالمحلة ، فظهرت براعته . وتقدم للخطبة بجامع أبي محمد الحفصي . وتقدم لخطبة القضاء بالحاضرة ، فحل المشكلات ، وفصل النوازل الموقوفة ، وصدع بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ويرجع في توقفه لشيخ الفتوى أبي الفداء اسماعيل التميمي ، وربما يعارضه ، فيرجع الشيخ لفهمه ، ويدعو له . وكان أيضا يراجع شيخه ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، ويعارضه معارضة افضت الى وحشة بينهما ، نسأل الله ان يجمعهما في صعيد واحد ، ويغفر لهما ، كما ورد .

وكان رحمه الله متبحرا في العلوم الفقهية وغيرها ، ذكي العقل ، ثابت النقل ، معدودا من حفاظ المذهب ، تقيا عفيفا ، عالي الهمة ، نقى العرض ، معظما عند الملوك والعامّة ، حسن المحاضرة ، يحاضر تلاميذه محاضرة الاكفاء ، ويباحثهم تدريبا لهم ، حضرته يوما بداره ، وقد شكته أمة من سيدها ، بانه ضربها ضربا مبرحا ، ومثّل بها ، والمثلة بادية بيدنها ، فأحضر سيدها ، فلم ينكر ، وعنفه ، وحكم بعثتها عليه ، وأمرني بكتابة الحكم فكتبته بين يديه ، فأمضاه وناوله الأمة ، واحسن اليها ، احسن الله اليه ، وكأنه استحسن كتابة الحكم فدعا لي .

ولم يزل في برود اجلاله ، متجملا بكماله ، وحسن خلاله ، جاريا على الحق في أقواله وأعماله ، الى أن منيته وانتقاله ، ليلة الاربعاء الحادي والعشرين (1) من ربيع الاول سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والـ (13 جوان 1838 م.) ، ودفن بزواية سيدي أبي عصيدة ، قرب دار أبيه ، واعقب ابناء هم الآن من الاعيان ، رحمه الله تعالى .

(1) هو 20 حسب التقويم .

[235 - الحاج بالضياف]

الحاج بالضياف بن عمر بن أحمد بن نصر بن محمد ابن المجذوب
سيدي احمد الباهي العونسي ، نفعنا الله به

هذا الرجل ، هو والد العبد الفقير ، واصله من بيت ينسب الى صلاح في قومه ،
كزوايا العربان ، وجده كان سائحا مجذوبا ، مات في سياحته قرب وادي الزرقاء ، على
طريق باجة ، ودفن حيث مات وبني على قبره الباي حمودة باشا المرادي قبة معروفة به
الى الآن ، لانه كان يعتقد ، وحبس على زاويته بسليانة هنشيرا هو الآن بيد ذريته ، مع
ما بأيديهم من صكوك الامراء المتقدمين المنسوخ معناها ، الباقي لفظها .
وولد صاحب الترجمة في ناجعة قومه ، ومات أبوه في الطاعون الجارف ، فكفله
جده احمد ، واتخذ له معلما في البادية ، ثم أتى به للحاضرة ، فحفظ القرآن بالزاوية
الباهية . وكان يخصه شيخه الولي العارف بالله سيدي احمد الباهي بشيء من عنايته ،
ثم انتقل في طلب العلم الى مدرسة حوانيت عاشور ، وقرأ بالجامع على الشيخ أبي عبد الله
محمد الغرياني ، والشيخ الفتنجاني ، والشيخ سالم اليقوبي ، وحصل شيئا يقربه الى جهة
المشاركة مع الطلبة ، ومات جده الذي كان ينفق عليه ، وصعب عليه الرجوع الى البادية ،
بعد نعيم الحاضرة ، فطلب التكسب ، وآثره على العلم ، واستكتبه القائد عثمان المملوك ،
عامل قفصة ، وامتزج به ، وكان ينوبه في عمله ، فأتى بحساب صاحبه الى رئيس الكتبة
يومئذ ابي عبد الله محمد الدرناوي ، وتوقف معه في أمر اقتضى نشر النازلة بين يدي الباي ،
وكأنه استحسن مناصلته على صاحبه ، فبعث له ليوليه كاتباً في بيت خزنة دار ، فقال
له : « ان مملوكك عثمان خالطته وربحت منه ، ولم أر منه ما يسوعني ، على أني في
كل حال على خدمتك ، سواء كانت في بيت خزنة دار ، أو مع القائد » ، فلم يغصبه ،
الى ان توفي القائد عثمان ، فبعث له وأحضره ، وأولاه كاتباً في بيت خزنة دار ، وضمه
لوزيره أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع في مبادئ ترقيه ، وقال له : « انما اخترته
لك لوفائه لصاحبه عثمان » ، فامتزج به ، وصار صاحب سره ومشورته ، وترقى الى ان صار
رئيس الكتبة في بيت خزنة دار ، ولصاحب هذه الرئاسة ما لسكتاب المحكمة يومئذ .
استكفى في هذه الرئاسة بصاحبه وكاهيته أبي عبد الله محمد السعودى ، لشغله بكتابة
الوزير ، ويكتب للباي أسراره عند مغيب الرئيس ، ويحضر في نادي مشورته .

وسافر مع الوزير الى اسلامبول ، وصاحبته في المحال ، الى ان توفي الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وامتنح أتباعه ، وهو منهم ، ودافع عنه الاجل ، فسجن مثقلا في الحديد ، وهو آخر من تسرح من أصحاب الوزير ، وخرج من ماله الذي آثره على العلم ، كيوم ولدته أمه . ويوم تسريحه بعث له أبو عبد الله حسين باي بمائة محبوب ، زق بها أفراخه ، المنقولين من عشهم الى بيت جدهم للأم ، وأعانه الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق بما سد روقه من دراهم وقمح وكسوة ، ثم بقي يلاقى البؤس والضنك ، مرتادا لاسباب المعيشة الى ان اجتباه الباي ابو عبد الله حسين باشا ، واستكتبه على يد الوزير ابي عبد الله حسين خوجة ، (احد ممالك الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ورد عليه ما بقي من ربه وعقاره ، بما في رسومه من الثمن ، ثم أسقطه عنه ، وبقي في خدمته مكرما في صحبة الوزير أبي عبد الله حسين خوجة) (1) ثم في صحبة الوزير أبي محمد شاكير صاحب الطابع ، الى ان قيده عجز السن ، فبقي في محله على ماعهده من إكرام ، مؤقّي الجراية ، يستحضر في المشاور .

ولم يكن في العلم ذا بضاعة ، سوى أنه حسن الخط ، يحب العمران بطبعه ، مقتصدا في حاله ، يميل الى الخمول والسجية العربية ، يحب الصالحين ، ويعظم العلماء ، ولا يطلب منهم الا الدعاء للعبد الفقير ، ولا أزكياه وأنا ابنه ، ولا هل الحاضرة عسرها الله تعالى محبة فيه ، رأيت أثرها بعد محتته ، وأنا صبي ، ولم نسمع عنه الا ما يقتضي شكر الله ، وأرجو ان أكون من عمله الباقي بالدعاء له ، ولجميع المسلمين .

ولما حضرته الوفاة أحضرني ، وقال لي : « أنا ميت في هذا المرض ، فلا تفارقني ، وذكرني الله ، ورحمته الواسعة ، فما أعددتك الا لهذا الوقت » ، وجعل يوصي كالمسافر ومنها ان يدفن في قبة الولي سيدي مصطفى ، بجامع صاحب الطابع ، ويسر الله ذلك ، ومدة مرضه ثلاثة ايام ، صلى فيها العشاء بالايام ، ولم يزل يقرأ سورة الاخلاص الى آخر انقاسه المعدودة ، في جمادى الثانية سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والـ (اوت — سبتمبر 1838 م) ، رحمه الله ، ورحم جميع المسلمين .

(1) ما بين القوسين سافط من خ ، مثبت في ع و ق .

[236 - سالم المحجوب]

أبو النجاة الشيخ سالم المحجوب .

هذا الشيخ من بيت شرف وفضل ، أخذ العلم بالجامع الاعظم ، وأخذ عن ابن عمه شيخ المالكية ورئيس الفتوى ابي عبد الله محمد المحجوب ، وحصل ملكة فقهية وشيئا من غيرها ، وتقدم لخطبة القضاء في بتزرت ، ثم نقل الى خطبة القضاء بباردو ، ثم الى خطبة القضاء بالحاضرة ، فظهر قصوره ، وكان لا يرجع الى ارشاد المفتين اذا غلط ، فكتب اهل المجلس الشرعي بذلك للباي ، فصرفه عن خطبة القضاء ، في ذي القعدة من سنة 1241 احدى واربعين (جوان - جويلية 1826 م) ، وابقى ما كان بيده من الخطط العلمية .

وكان فقيها يحسن الفرائض وشيئا من التوثيق ، ليين الجانب ، متواضعا ، بعيدا عن التصنع .

ولم يزل على حاله الى ان توفي سابع شعبان من سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين واثم (الجمعة 26 اكتوبر 1838 م) ، رحمه الله .

[237 - سليمان كاهية]

الوزير الشهير ابو الربيع سليمان كاهية

اصل هذا الشهم من بلاد القرج ، ونشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، ولازمه ملازمة الظل ، وهو من الناس الذين ألقوا بانفسهم الى افتكاه من فتكة بعض مماليكه ، ووقاه الله من الجرح ، وتدرج في الخدمة الى ان صار آغة وحق باجة ، واستكفى به في المهمات ، وتطويح العصاة ، ثم قدمه كاهية للسفر بالمحال صيفا وشتاء ، في ذي الحجة من سنة 1221 احدى وعشرين (فيفري - مارس 1807 م) فأمن الطرقات ، وضرب على ايدي اهل الحراية من البغاة ، وحمد في ذلك أثره ، وبقي خبره . وصاهره الباشا ابو الثناء محمود باي على بنته ليلة ولايته ، وبنى بها في دولته .

وله أثر جميل ، في ثورة الترك على هذا الباي ، وذلك أن ابنه كان يتزده في المرناقية .

فركب له ليلا في عقد من الفرسان ، وأتى به على طريق المرقابية ، خشية أن يتعرض له الترك ، وقد فعلوا ، فقاتهم (1) .

وكان محببا عند العربان ، مطاع الرأي فيهم . ولما عصت قبيلة عمدون من الجبل ، واعصوبوا على شيخهم بوقرة ، أتى البايع وقال له : « أتؤمن هؤلاء الناس ، وبأيتك بوقرة طائعا منقادا تابعا ، وذلك خير من سفك الدماء ؟ » ، فقال له البايع : « هم في أمان ، ولا غرض لي في سفك الدماء » ، فكاتبه ، فأتى طائعا خاضعا نادما ، فكساه البايع ، وبعد زمان رده الى جبله .

وكان معظما مكروما ، محبوبا عند الصغير والكبير ، من البيت الحسيني ، وفيما بالعهد ، يرقب صحبة ساعة . لما توفي أبي ، وهو بسانيته بالمرسى ، بلغني انه يريد القدم الى بتونس معزيا ، فأكبرته ، وهو شيخ مسن ، وأتته بسانيته ، ولما رأني بكى ، وقال : « لا لذة في الحياة بعد موت الاصحاب » .

ومن طبعه الرفق بالرعية ، كان بيده عمل اولاد بوسالم ، ويقع بينهم ما يقع بين العربان من التحاسد والتشاجر ، فكان اعظم زاجر لهم ان يقول لهم : « غداً أسلم في ولايتكم » . أدركت بعض أعيانهم أتوا الى والدي مستشفعين به من تصميمه على التسليم في ولايتهم ، وبذلك استقام حالهم ، وحسن ما لهم ، فأثاروا الارض وعمروها .

وكان رحمه الله خيرا وجيها ، عفيفا تقى العرض ، له الى الله وجهة حسنة ، مؤثرا للخير ، لم تحفظ له مضرة لاحد ، واسع الصدر ، رزين العقل ، عظيم الصبر ، قليل الخوف ، ثابت القدم في الازمات ، شهما شجاعا ، حسن الخلق ، يصفح عن الزلة ، ويتغافل تغافل المؤمن الغر الكريم ، عزيز النفس ، وقور المجلس ، شديد المعارضة في النصيحة ، لا سيما في الرفق بالضعفاء ، شديد النكير على العمال ، محبوبا عند العربان ، معظما في الدولة ، ادركنا عظامها يجلولونه ويعاملونه معاملة الابناء للآباء .

ولم يزل معظما مكروما ، لا ينعقد اجماع بدونه ، ويستشار في المهمات ، الى ان توفاه الله على أحسن الحالات ، في دولة المشير ابي العباس احمد باي ، ليلة الثلاثاء الخامس عشر (2) من رمضان سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والفس (4 ديسمبر 1838 م-) ، ودفن بصحن التربة الحسينية ، رحمه الله تعالى ، وله عقب من الاعيان الآن .

(1) انظر ج 3 ص 116 .

(2) هو 17 حسب القويم .

[238 - علي النفاتي]

الشيخ أبو الحسن علي النفاتي .

نشأ هذا الشيخ في بيت رفيع العماد ، كثير الافراد ، وقرأ وحصل ملكة العلم ،
وتصدر للشهادة فكان من رجالها المعدودين ، وتولى شهادة الديوان ، وصرف عنها
لخصوصة بينه وبين احد العظماء في الدولة ، في حد هنشير يملكه من أجداده خلفا عن
سلف ، والحوز بيده ، وحمله الجور على الاستطالة بالقول .
وكان وجيها خيرا ، عفيفا نقي العرض ، أبي الضيم .
وفي آخر عمره اعتراه حال يشبه الجذب .

ولم يزل يتضرع الى الله في انصافه ممن مسّ عرضه ، وغضب أرضه ، الى ان توفي
في سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين واثلاثين (39 - 1838 م) ، وعند الله تجتمع الخصوم .

[239 - محمد السنوسي الكافي]

الشيخ أبو عبد الله محمد السنوسي الكافي .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، وجدّ في تحصيله ، وأخذ عن أعيان كالشيخ
الشحمي ، والشيخ الغرياني ، ولازم الشيخ صالح الكواش ، فانتفع به .
وتقدم للتدريس والخطط العلمية ، وتقدم لخطة القضاء في بترت ، ثم الى الخطة
بياردو ، وانتقل منها لقضاء الحضرة ، فسار في الخطة سيرة أهل الفضل ، من قضاة العدل .
وله رجز في الاحكام ، أطول من نظم ابن عاصم .

وكان عالما فقيها ، حافظا ثبتا ، واسع الاطلاع ، عفيفا تقيا ، شديد المراقبة لربه ،
قريبا من الزهاد ، نفسي العرض ، حسن الاخلاق ، جميل الصبر ، جميل المحاضرة ،
أديبا ناظما ، متواضعا محببا الى الناس .

ولم يزل على حالاته المرضية ، وأخلاقه الزكية ، الى ان لبي داعي المنية ، وأواخر
شعبان سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين واثلاثين (أوائل نوفمبر 1839 م) .

[240 - محمود الجلولي]

أبو الثناء محمود بن بكار الجلولي .

هذا الرجل من بيت أصيل ، عريق في الخطط السياسية ، خلفا عن سلف ، مع
وجاهة وذكر جميل .

ونشأ صاحب الترجمة على سنن أسلافه ، وتنبقل في الخطط والاعمال ، مع حظوة
واختصاص تقرب ، ورتبة نبهة عند مخدمه الباي ابي محمد حمودة باشا ، وهو من
رجال مشورته ، وله في الخدمة آثار مذكورة .

توجه سفيرا للالطة سنة خمس وعشرين (11 - 1810 م) ، وبقي بها ما يقرب
من ثلاث سنين لانشاء سفن حرية وآلات حرب ، واحسن السفارة ، وقضى الوطر ،
وجعل ضيافة الحاكم مالطة يومئذ ، فجاءه لمحلته ، وتفنن في إكرامه ، وعلا كعبه في
التجارة والغنائم .

وكان وجيها فاضلا ، ماضي الفكر ، بصيرا بالعواقب ، عزيز النفس ، عالي
الهمة ، جميل السيرة في اعماله ، صبورا حسن الاخلاق : مع وقار .

وله كتب ينتفع بها طلبة العلم بصفاقس ، وله كتب بداره في الحاضرة لا يمنع
من يريد الانتفاع بها ، وهي التي انتفعت بها في قراءتي ، أجزل الله له ثوابه .

وله في النحو والفقه ملكة المشاركة ، وله معرفة تامة بالتاريخ .

ولما طعن في السن ، شقت عليه مطالعة الكتب ، فاتخذ من يحسن القراءة ، يأتيه
كل يوم لقراءة ما يريد مطالعته .

ولم يزل معظما مقربا عند مخدمه ، ومن بعده من الملوك ، الى ان توفي طاعنا في
السن ، ليلة الثاني والعشرين من رمضان سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين ولف (الجمعة
29 نوفمبر 1839 م) .

[241 - حسين بن عبد الستار]

أبو عبد الله حسين بن الحاج عبد الستار المانسي .

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه كاتب الوزير الحاج علي بن عبد العزيز ، وحضر
معه الحروب ، وله ذكر جميل في « التاريخ الباشي » ، وكان رئيس الكتاب بيت

خزنه دار ، مقربا عند الباشا ابي الحسن علي باي ، فاعتنى بابنته هذا ، وقصره على استفادة العلم ، فأخذ عن أعلام منهم الشيخ صالح الكواش ، والشيخ الغرياني ، ولازم ذكي العصر أبا عبد الله محمد بن سعيد ، المتقدم ذكره ، وحصل ملكة حسنة ، ودرّس بجامع سيدي أبي عصيدة قرب داره ، وتدرّب به ابنه المتقدم ذكره ، ثم اشتغل بخويصة نفسه ، مدبرا لمعاشه ، غير غافل عن معاده .

وكان فتيها مشاركا ، ذا عفة ، وقور المجلس ، حسن المحاضرة ، تقي العرض ، يميل الى الانفراد .

وامتحن بسوت اكبر بنيه قاضي العصر شيخنا البحري .

ولم يزل على حاله . الى ان توفي في غرة ذي الحجة سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والـف (الاربعاء 5 فيفري 1840 م.) رحمه الله تعالى .

[242 - محمد التومي]

أبو عبد الله محمد التومي .

من أعيان بيوت الاندلس ، نشأ في وجاهة وثروة ، وكان خيرا فاضلا ، كريم النفس حسن الاخلاق ، من اعضاء مجلس المتجر ، يقدم من ماله الزاد ، ليوم المعاد .
وتقدم أمينا على صناعة الناشية ، فحمدت سيرته .

ولم يزل على حاله ، في جمال كماله ، الى أن توفي في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والـف (السبت 29 فيفري 1840 م.) رحمه الله تعالى .

[243 - احمد بن عاشور]

أبو العباس احمد بن محمد الشاذلي

ابن عبد القادر بن محمد بن عاشور .

نشأ هذا الشيخ مع آل بيته في عفة وصيانة ، وهو من بيت شرف أصيل ، وصلاح ائيل بالاندلس ، خرج جدهم منها فارا بدينه الى سلا من بلدان المغرب ، ومنها انتقل لحاضرة تونس ، واستقر بها ، جامعا بين شرفي النسب والاكتساب ، ملازما للعبادة ، زاهدا في الدنيا .

ولهذا البيت خبر طويل ، وذكر جميل ، في تاريخ الوزير ، وتاريخ حسين خوجة
واقبل صاحب الترجمة على العلم ، فأخذ عن أعيان منهم الشيخ العيوني ، والشيخ
المشاط ، والشيخ سيدي حسن الشريف وغيرهم .
وحصل ملكة العلم ، ودرّس في الجامع الاعظم النحو والفقّه ، يرتزق بصناعة
التوثيق .

وكان خيرا عفيفا ، وحيها عزيز النفس ، حسن الاخلاق ، معدودا في الاخيار .
ولم يزل على حاله ، سالكا نهج الفضلاء آله ، الى ساعة انتقاله ، سنة 1255
خمس وخمسين ومائتين والّف (40 - 1839 م.) ، ودفن بزواوية جدهم المعروفة باسم
تلميذه سيدي علي الزواوي ، المنسوب اليه الباب (1) .

[244 - عبد الملك العوني]

الشيخ عبد الملك بن أحمد الحمادي العوني .

نشأ هذا الشيخ في بيت صلاح واعتقاد ، وزاوية سيدي حمادة من أشهر زوايا
هذه القبيلة ، وحفظ القرآن ، ورحل من ناجعته لقراءة العلم بالحاضرة ، فسكن المدرسة
الحسنية ، وأخذ عن أعلام منهم الشيخ صالح الكواش ، والشيخ سيدي حسن الشريف ،
والشيخ الطاهر وغيرهم ، مع فكر حديد ، وباع مديد ، فحصل العلم ، وله في الادب
رأية خافية ، وعقود متناسقة .

وضمه الباي أبو محمد حمودة باشا للكتابة في بيت خزنه دار ، فأقام على ذلك نحو
الجمعة (2) ، ثم طار به جناح الجذب الى ناجعته ، وطلق الدنيا ، وخطب المرتبة العليا ،
ووفل في الحلال من حالات الاولياء .

وسافر مع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع في محلة سراط ، وجلّى في
ميادين الحروب ، ولما رجعت المحلة منصوره ، طلب له الوزير ارضا من هنشير سليمانة ،
فقال له الباي : « لاي سبب ؟ » ، فقال له الوزير : « انه رجل صالح » ، فقال له :

(1) هو الباب المعروف بباب سيدي عبد الله .

(2) نحو الجمعة : نحو اسبوع .

« وأي كرامة له ؟ » ، وكان الوزير سليمان كاهية حاضرا ، فقال له : « لا كرامة له ، ولا ولاية ، يستحق هذه الأرض لثباته وشجاعته ، شاهدته بعيني يهجم على صف الجنند ويُنسكي ، غير مكترث بموت » ، فقال له : « نعم » ، وأعطاه الأرض ، وهو غير مكترث بها .

وله كرامات مذكورة لوقتنا هذا .

وكان عالما ذكيا ، أدبيا ناظما ناثرا ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، ثابت الجنان ، حسن المحاضرة .

ولم يزل معتقدا معظما ، مقصودا محببا ، الى ان دعتة المنية قلبى في محرم من سنة 1256 ست وخمسين ومائتين وalf (مارس 1840 م) ، وأعقب أولادا سلكوا هذه المسالك ما بين مجذوب وسالك ، أصغرهم أبو العباس احمد ، سعى في الخير ، ولم تزل مساعيه تحمد .

[245 - دوار الملووك]

هو من ممالك الباي أبي محمد حمودة باشا ، نشأ في خدمته صغيرا واختص به الباشا أبو عبد الله حسين باي ، وجعله خزنة دار عنده ، ورام ان يصاهره ، وهو غير مكترث بالخدمة ، جارٍ في ميادين الصبا واللهو ، غير مفكر في عاقبة ، وآل امره الى النفي بجزيرة ، وكف بها بصره ، ومات بها في اواسط هذا القرن الثالث عشر ، وكان جريئا ، متجاهرا بما يستحق منه ، بعيدا عن السياسة ، الا انه حسن النعمة بتلاوة القرآن ، قرأ مع الخوجات في المحفل ، يوم اقامة الصلاة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ولم تخرجه صناعة الالخان عن آداب تلاوة القرآن ، وقابلته الاسماع بالاستحسان . وكان راميا فارسا ، رحمه الله تعالى .

[246 - محمد بن عامر]

أبو عبد الله محمد بن عامر العوني .

هو من بيوت قبيلة اولاد عون ، ومن المشايخ الذين يرمقهم أبو محمد حمودة باشا بعين النجابة ، وينتظر منهم الاصابة ، وسئم من عناء الخيام ، فأتى الحاضرة ، وثبت في الشواش ، وانتخبه الوزير شاكير صاحب الطابع للخدمة معه ، ثم صار كاهية بالوجج التونسي ، وتقلب في أعمال القبائل كماجر .

ولما توفي الوزير شاكير صاحب الطابع استقر بالقيروان ، كواحد من أهلها ، متفينا وارفا ظلها ، ينفق من ماله ، على قدر حاله .

وكان وجيها ، كثير الصمت ، ليس فيه من السجايا العربية الا الحياء وركوب الخيل .

ولم يزل على حاله ، مسرورا باعتزاله ، الى ان توفي سنة 1256 ست وخمسين ومائتين ووالف (41 -- 1840 م.) بالقيروان .

[247 - علي المازغني]

الشيخ أبو الحسن علي المازغني .

أصله من زاوية المازغني الشهيرة بعمل طرابلس ، وقدم أبوه لعمل تونس ، وسكن بيت الخيام تارة عند جلاص ، واخرى عند اولاد عون ، والقبائل يُجَلِّثُونَهُ احتراماً لجدّه . وقدم ابنه صاحب الترجمة مع أخيه للحاضرة ، فقرأ القرآن بالزاوية الباهية ، وأخذ عن صاحبها الولي العارف بالله سيدي احمد الباهي مباشرة ، ثم رجع لخيامه . وكان ممتزجا بأبي عبد الله محمد بن السبوعي عماد قبيلة جلاص ، فأنتهى ذكره للوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وجمعه به ، فتعلق به الوزير ، وصار من أهل سمره ، وبيت عنده ، وتعلق به الباي أبو محمد حمودة باشا ، فصار من أهل نجواه ، فيما يتعلق بأحوال العربان ، وشاع له ذكر .

وكان يتزل بدارنا لصحبة بينه وبين أبي في المكتب ، ايام الصغر ، ونمت بنموهما .

وكان خيرا عفيفا ، حسن الوجهة الى الله ، عليه سيماء الخير ، آية الله في الوفاء .

تسلف من والدي ثلاثة آلاف ريال ، وكتبها والدي في زمامه ، ولما وقعت به المحتة ، وخرج من ماله كسيوم ولدته أمه ، ومن جملته ديونه التي بزمامه ، والتي بالرسوم ، بعث له الوزير يتقاضى الثلاثة آلاف ريال ، فأتى لابي في محبسه ، وقال له : « لِمَ لم تضرب على الثلاثة آلاف ريال ، والحال أنني دفعتها لك ؟ » ، فقال له الولد : « هكذا قدر الله » ، ثم اتى الوزير ابا عبد الله محمد العربي زروق وقال له : « ان الدراهم دفعتها لرب الدين قبيل محنته » ، فصدقه الوزير ، وطلب منه ان يشطب على اسمه في

الزمام ففعل . ولما فرج الله كرب السجن عن أبي ، أتاه بالثلاثة آلاف ريال ذهباً ، فدفع له أبي نصفها ، فأنفذ لذلك ، وردّها على أبي أسوأ ردّاً ، وقال له : « اني وان كنت فقيراً من الدنيا ، فان نفسي بحمد الله غنية ، ولا أرضى لنفسي أن تراني متحليلاً لهذا الغرض ، وأنت من أقرب أصدقائي » ، فحجّل أبي ، ثم قال له مسلماً : « ستأخذ منك ضعفها اذا أبدل الله العسر باليسر » .

وكان فصيح اللسان : حسن المحاضرة ، بديهي الجواب . أتى دارنا ، وكان أبي قبيل المغرب مشغولاً برفع ما لزمه دفعه لآربابه ، فلم عليه سلام مستعجل ، وأمرني أن أدخله وأكون في خدمته ، وبعد صلاة المغرب ، أتى وقال له : « يا سيدي علي شغلنا الدنيا الفانية عن أصحابنا » ، فقال له : « تعلمها فانية ، وشغلتك ، فكيف لو رأيتها باقية ؟ » ، فضحكا .

وأصيب قبل موته ببصره ، وكان يقول لنا : « ناشدتكُم الله ، اذا عمي بصري أن تسامحوني من الجدال فاني اصير كالحية ، سمها في لسانها » . وكان مشغولاً بحب الشريف سيدي محمود محسن ، يكرر زيارته مهما أتى لتونس ، فقال لي يوماً : « قد نسي الى دار سيدي محمود » ، فقدته قود صحيح ، فقال لي : « ساعدني يا بني ، فاني أعمى جديد » .

وتنقل عنه الكرامات ، ملونة بالمقامات . أراد السفر لبيته فمنعه أبي حتى يحضر لعرس الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فكسى وقال : « رأيت في المنام ، رقى نخلة ومدّ يده لتناول عرجون منها ، فسقط فانتقطع ظهره » ، وبات تلك الليلة في أسف ، وحزن .

واجتاز سوق العطارين فرآني بحانوت جدي ، وانا صغير ، وأبي في محنة السجن ، فأتاني وقال لي : « بشر أملك فان والدك تسرح » ، وتسرح اثر ذلك بإيام . وكان يدعو الله ان لا يريه مصرع حفيده قطوم ، ولا مصرع خليله محمد بن السبعي . ولو تتبعنا حديث كراماته ، ولذيذ جواباته ، خرجنا الى التطويل .

ولم يزل مرموقاً بعين اجلال ، متجملاً بما فيه من الخلال ، ومحاضرته جارية مجرى الامثال ، منسوجة على غير مثال ، الى ان لحق برحمة الرب المتعال سنة 1256 ست وخمسين ومائتين والـ (41 - 1840 م) .

[248 - علي العنابي]

أبو الحسن علي العنابي .

من أعيان التجار الاخيار بهذه الحاضرة ، أحد أركان مجلس الحكم المتجري .
وكان خيرا ، عفيفا وجيها ، ذا صدقات سرية ، لين الجانب ، بعيدا عن
الفضول ، وفي العهد ، معدودا في الاعيان ، ذا وقار وسكينة .
توفي في صفر سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والـ (مارس - افريل 1841 م) .

[249 - محمد القسطلي]

السيد محمد بن محمد القسطلي .

هذا السيد من أشرف الاندلس ، وأعيان بيوتها . نشأ في صيانة ووجاهة ، ولسلفه
في الدولة الحسينية خدمة وقرب ووثوق .
وأبو صاحب الترجمة هو الذي بعثه الباشا علي باي الى الجزائر ليأتي له بعيله
وأمهات أولاده ، فأتى بهم في البحر .
ولهذا البيت ولاية دار السكة ، والامانة على سبك التقدين وعيارهما . وكان هذا
السيد شديد التحري في ذلك ، يعلم مقدار ما على خطته من الثقل ، وله خبرة وبصارة ،
في غير التقدين من الاحجار الثمينة .
وكان وجيها فاضلا ، نقى العرض ، عزز شرف النسب ، بشرف مكتسب ، ذا همة
ووقار ، وشيء من تغفل الاخيار .
وتوفي اوآخر شعبان من سنة 1257 (سبع وخمسين ومائتين والـ (اواسط اكتوبر
1841 م) واعقب ولدا سميه ، جرى على قدم سلفه ، وحافظ في النخطة على معالم
شرفه ، وتوفي سنة ست وستين (50 - 1849 م) ، فاعقب ابنا صغيرا ، كفله في خدمة
النخطة صاحب آية عبد الله محمد بن عاشور ، حتى بلغ الاشد . وكان المشير أبو
العباس أحمد باي يثني على هذا الوفاء ، ويتعجب من هذا الصفاء ، ولا عجب من هذه
الاوصاف ، اذا كانت قائمة بالاشراف .

[250 - محمد السقاط]

الشيخ أبو عبد الله محمد السقاط .

والد هذا الشيخ هو الذي قدم من حاضرة فاس ، واختار المقام بهذه الحاضرة ، محترفا بالتجارة في العطارين ، ونشأ أولاده في ظل تربيته ، وصون وجاهته ، فأقبل صاحب الترجمة على العلم ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم وغيرهم .

وحصل ملكة العلم ، فتصدر للاقراء بجامعة الزيتونة ، ونفع الطالبين ، وتقدم للخطط العلمية ، وجلّى في التوثيق .

وكان عالما فقيها ، محصلا موثقا ، خيرا عفيفا وحيها ، زكي النفس ، جميل العرض ، محافظا على مروءته .

ولم يزل على حاله ، متجملا بحسن خلاله : الى ان توفي ليلة الجمعة منتصف (1) رمضان سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين ولف (29 اكتوبر 1841 م.) ، وأعقب ابنا هو الآن قاضي القريضة ، وشاهد بيت المال ، معدود في الاعيان .

[251 - محمد شلبي]

أبو عبد الله محمد شلبي .

من اعيان بيوت الاندلس الوافدين على الحاضرة .

وكان وحيها خيرا ، ذا وقار ، عزيز النفس ، فاضلا ، من اركان مجلس الحكم المتجسري .

وتقدم شيخا على الاندلس ، يرتزق بالتجارة .

ولم يزل على حاله المحمود ، من اقتفاء اثر الآباء والجدود ، الى ان حل به الاجل المعدود في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين ولف (الخميس 3 فيفري 1842 م.) ، وله الآن عقب يحيي ذكره .

(1) هو X3 حسب التقويم .

[252 - محمد بن حمودة الاصرم]

أبو عبد الله محمد بن حمودة بن محمد الاصرم .

نشأ هذا الوجه ، بين يدي ابيه ، في خدمة الدولة ، وتقدم كاهية لعسكر زاوية ، وسافر بالمحال لجبل الرقبة ، وسافر مرة بمحلة الاعراض ، فاحسن السياسة ، وزان الرئاسة ، وخلص الجباية ، وأحسن الرعاية . تم ولي وكالة الحرمين الشريفين . وكان خيرا وجيها ، جاريا على سنن أسلافه ، نقي العرض ، واسع الصدر ، ثقة امينا ، كريم النفس ، ذا همة وعفة .

ولم يزل على حالاته المرضية ، الى إن وافاه رائد المنية سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والى (42 - 1841 م) ، واعقب ابنا جرى على قدم أبيه .

[253 - محمد الشافعي التليلى]

أبو عبد الله محمد الشافعي التليلى .

نشأ هذا الفقيه في بيت مجده ، وقرأ في زاوية جده ، سيدي احمد التليلى بفريانة المشهورة ، وحصل الملكة العلمية ، وله في الفقه المالكي يد طولى ، وباع في الحفظ ، حتى كاد ان يحفظ كتاب « الجواهر » لابن شاس . وكان شيخنا أبو القداء اسماعيل التميمي يثني على حفظه وبياهينا به ، فكنا نلقني عليه غرائب المسائل ، فيجيب كأنه كان مستعدا للجواب ، وينقل النص بلفظه في الغالب .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها فاضلا ، شديد الحياء ، لا يفارق اللثام ، ذا همة عالية ونفس زكية .

أتى الحاضرة في غرض ، فأناه حمامه بعد مرض ، واعتنى به المشير أبو العباس سيدي احمد باشا باي ، وجهزه ودفنه بزواية سيدي علي الزيدي ، قرب باردو ، وذلك سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والى (42 - 1841 م) .

[254 - مصطفى الداى]

أبو النخبة مصطفى الداى .

هذا الرجل من جند طرابلس ، وانتظم في ديوان الجند بتونس ، وترقى الى أن صار وكيلا على عقار الدولة بالحاضرة ، ثم صار كاهية لأغة القصبة ، ثم صار دايا . وكان وجيها نبيها ، فصيحاً ذا سياسة .

وفي آخر أمره أبدل لينه بالشدّة ، وذلك أن الفقيه أبا المحاسن يوسف ابن العالم أبي يعلى حمزة الجباس لزمه السجن لدين على محبسه (كذا) ، ووقع بينه وبين أحد المسجونين تشاجر لا يقتضي تعزيراً ، فأخرجه من السجن ، وضربه ضرب ذوى الجرائم ، فاهتز لذلك المشير أبو العباس سيدي أحمد باشا باي ، وعزله في جمادى الثانية من سنة 1258 ثمان وخمسين (جويلية - اوت 1842 م.) ، وبعد عزله بإيام توفي .

[255 - حسن بوكاف]

الكاتب أبو محمد حسن بوكاف من أولاد بوبكر :

هذا الرجل من أولاد الشيخ بوبكر الشهير الزاوية بجهة تبرسق . نشأ في حجر أبيه ، وكان من أعيان المخازنية ، وتقلب في الاعمال ، واختص بخدمة الوزير شاكير صاحب الطابع ، فوجه ابنه تلقاء مدّين العلم جامع الزيتونة ، وحصل منكرة تحسن بها المشاركة ، ثم انخرط في سلك ديوان الانشاء على قصور في الصناعة ، الا أنه استأنف بالخدمة استفادة ، حتى صار أحسن من المتوسط في كتابة ما يكثر دورانه .

وكان كريم النفس ، حسن الاخلاق ، طيب المعاشرة ، وفيها متواضعا ، ذكيا ذا مرؤفة وهمة . وكان المشير ابو العباس احمد باي يستنجه . ولم يزل على حالاته المرضية ، الى أن أجاب داعي المنية ، في أوائل ذي القعدة سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين والـف (اوائل ديسمبر 1842 م.) .

[256 - محمد شيخ رحو]

ابو عبد الله الحاج محمد

ابن الشيخ المفتي شيخ رحو الصفاقسي .

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أبيه وغيره من علماء صفاقس ، وحصل ملكة الفقه ، وتقدم لخطبة القضاء ، بعد وفاة أبيه ، ثم سلم ، ثم تقدم للفتوى . وكان فقيها خيرا ، نقى العرض . ذا مروءة ودين . وتوفي سنة 1258 ثمان وخمسين (43 - 1842 م) .

[257 - احمد مزيو]

أبو العباس احمد مزيو الصفاقسي .

نشأ هذا الكاتب بصفاقس ، وقرأ بها ، ثم أتى الحاضرة ، فقرأ بالجامع الاعظم ، واستكتبه أبو عبد الله محمد اللوز الصفاقسي مدير تجارات الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع . ثم استكتبه الوزير أبو عبد الله محمد العربي زروق في ديوان الحسبان ، فعلى في ذلك الميدان ، وجرى في صناعته طلق العنان ، الى ان صار رئيس كتبة البيت . وله في الانشاء قلم يؤدي المراد ، على حسب ما يراد . وكان خيرا عفيفا ، أدبيا فقيها ، عزيز النفس ، ضيق الصدر ، كتب يوما عن الوزير المذكور فاعترضه الوزير ، فأجاب عن الاعتراض فقال له الوزير : « اكتب كما أحب انا ، لانك كاتب لي » ، فقال له : « أكتب كما تحب الا الخطأ الذي يعاب به الكاتب » ، وقام من المجلس نافضاً يده من الخدمة ، وإرتزق بالتجارة في سوق القماش ، بعداً من صناعة القلم ، فبعث له الوزير يسترضيه ، فأبى ، فصلى الوزير العصر بجامع الزيتونة ، وخرج من باب سوق القماش ، فمرّ بدكانه وجلس عنده ، وقال له : « اكثر » ، فقال له : « يا سيدي لا يصلح للخدمة الا واسع الصدر ، وأنا لا أتحمّل » ، وتوسل اليه بآله المطهرين في استعفائه ، فأعفاه ، وآل الامر الى ان رجع للكتابة مكرما معروفا منزلة ، الى أن توفي سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين ولف (43 - 1842 م) .

[258 - مصطفى التركي]

أبو النخبة الحاج مصطفى التركي .

هذا الرجل من أعيان الجند وخيارهم ، انتخبه الوزير أبو عبد الله محمد العربي زروق وصاهره على كريمته ، وأسكنه بداره بتونس ، وتقلب في الخطط النبيهة ، كباش حانبه ، وآغة بيت المال .

وسافر لاسلامبول في الاغراض المهمة مرارا ، وهو الذي أتى بكثير من الماليك الموجودين الآن للباشا أبي عبد الله حسين باي ، وامتنحن بالنفسي بعد قتل صهره الوزير المذكور ، ثم تسرح .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن الادب ، كثير الصمت ، يميل الى الخير .

ولم يزل على صفاته الى آخر حياته في محرم سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين وalf (فيفري 1843 م) .

[259 - محمد بن السبوعي]

أبو عبد الله الحاج محمد بن السبوعي الجلاصي .

هو من أعيان بيوت جلاص ، وأفراد قومه أولاد سنداسن ، معدود في النجباء الذين كان ينتخبهم الباي أبو محمد حمودة باشا ، وله بالوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع مزيد قرب وحظوة ، يستكفي به في بابه .

وكان كريما وفيا ، صادق شجاعا ، عزيز النفس أبي الضيم ، خيمته مأوى الضيوف ، ومناخ البائس الملهوف ، فصيح عاقلا ، ذا همة .

حج الفريضة في البر على عتاق خيله ، ولا مر بطرابلس في رجوعه ، بعث له أبو المحاسن يوسف باشا قرمانلي ، لانه استحسن فرسا من جياده ، وبذل فيها اضعاف قيمتها ، فقادها اليه هدية ، وحلف أن لا يأخذ شيئا عوضها ، وقال له : « كفاني أنك استحسننت شيئا عندي » ، وعظم موقع ذلك عند الباشا ، وكاتب الباي ابا عبد الله حسين باشا بتسكروه .

ولم يزل في سجاياه العريية ، ونفسه الزكية ، وعماد بيته مقصود من كل ثنينة ، الى ان زاره رائد المنية ، سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين وارب (44 - 1843 م.) ، ودفن بمقام السيد صاحب رضي الله تعالى عنه بالقيروان ، وأعقب أولادا زانوه في حياته ، وأحيوا ذكره بعد مماته .

[260 - محمد بيرم الثالث]

شيخنا أبو عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد .
ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بيرم .

مولد هذا الفاضل في السابع والعشرين من ربيع الاول ، أول سني هذا القرن . وكان من نعم الله على أبيه ، وعلى أهل العلم . وبالغ أبوه في الاعتناء به ، وأكثر قراءته عليه وعلى العلامة شيخ الشيوخ أبي محمد سيدي حسن الشريف . وحصل العلوم واحرز قصب السبق في المعقول والمنقول ، وله في علمي البيان والمنطق اليد الطولى .

وتصدر للتدريس نائبا عن أبيه في المدرسة الباشية ، وفي الجامع الاعظم ، وبالمدرسة العنقية ، وبها أخذنا عنه .

وتقدم للخطبة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع في شبابه ، وتقدم بالاستحقاق على أثره .

وتقدم للفتيا ، وحاز المرتبة العليا ، وقام مقام والده في رئاسة المجلس الشرعي بعد وفاته ، فزان صدره ، ونشر فخره ، بدين متين ، وعلم واضح مبين ، زكت ثماره ، وسطعت أنواره ، وبقي في صدور الرجال آثاره .

وله ولوع بالتدريس ، وبث النفيس ، ويقول : « اني في حال التدريس أخطب قوما يفهمون مقاصدي ، وأستفيد من أذكيائهم في البحث ما لا أستفيده من الخصوم » ، وله كيفية في القاء الدرس ، تسهل ما صعب من المرام ، وتبعث في النفوس الغرام .

وعنايته ببناء درسه ، أشد من عناية الغارس بغرسه . دخل يوماً للمدرسة العنقية ، فوجدني في بيت ابنه بها ، ومعنا صاحبنا القتيه البارح أبو عبد الله محمد بن سلامة ،

وبأيدينا « روض الآداب » ، والاصوات عالية في نقد بيت من الشعر ، فسكتنا ، وجلس معنا ، وشاركنا ، ثم أخذ الكتاب من يد ابنه ، وقال لي : « ناولني الدواة » ، فكتب ارتجالا بخطه على ظاهره :

ان الزمان الذي تفنيسه في الادب يراه أهل التّهَى من جملة اللعب
فاصرفه في شرف ترجى عواقبه تأتيك آثاره تنهل كالسحب
وذا مقالي عن نصيح أفوه به وليس بـرجى لنصح المرء غير أب
ثم وضع الكتاب وقام ، وقال : « الخطاب لكل واحد منكم ، لاني أرى أبناء
الافادة كأبناء الولادة » .

وكان رحمه الله بحر معارف لا يغيض ، وصاحب فنون يأخذ منها ويفيض ، ويرمي
الشوارد بالسهم المصيب ، فيأخذ أوفر نصيب : فاضلا تقيا عزيز النفس ، عالي الهمة
محبا الى الناس ، طلق المحيا حسن اللقاء ، سليم الصلر مطبوعا على ما يحمد من السياسة
واخلاق الرئاسة ، ما شئت من كرم طباع ، وبداهة تدل على طول باع ، وسبق في
مضمار الانتظار ، وبلاغة تزري بالنضار ، ولذيذ محاضرة تسبي الاحلام ، وتقود الاعلام .
ولم تزل الدنيا بما آثره تتحلى ، الى أن انتقل الى الرفيق الاعلى .

وتفتنت الشعراء في مراثيه ، وتسابقوا في ذكر ما اودع الله فيه ، فكتب ابنه على
قبره ارضاء لجميع الشعراء ما نصه : « بسم الله الرحمان الرحيم . كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام ، هذا مشهد الفقير الى ربه محمد بيرم الثالث
أفتى على مذهب أبي حنيفة بالقطر الافريقي ثلاثين سنة ثم لحق يربه راجيا غفرانه
ليلة الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الانور من عام 1259 تسعة وخمسين ومائتين
والم فرحم الله امرءا دعا له بالمغفرة ، غفر الله لنا وله ولجميع المسلمين ، آمين .

[261 - رمضان باش مملوك]

أصل هذا الرجل من الافرنج ، وأسلم صغيرا في دولة أبي محمد حمودة باشا ، ثم
اختص به أبو النخبة مصطفى باشا ، ووثق به في حراسة ابنه في صغره ، ثم صاهره على
بنته .

وكان غرا حسن الاخلاق ، عفيفا خيرا ، يميل الى المسالمة والصلمت ، بعيدا عن الفضول .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في رمضان من سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين ولف (سبتمبر - اكتوبر 1843 م.) ، ودفن بتربة السيدة بركة .

[262 - مصطفى خوجة]

أبو النخبة الحاج مصطفى خوجة .

نشأ هذا الرجل في الخدمة ، وأبوه صاحب الوزير أبي النخبة مصطفى خوجة ، وتولى كاهية في ثغر بتروت ، ثم صرف عنها لصلابته وحدته .

وكان وجيها مغفلا ، وتوفي على سن عالية في ذي الحجة من سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين ولف (ديسمبر - جانفي 1844 م.) .

[263 - مصطفى غربال]

أبو النخبة مصطفى غربال .

من بكندية تونس ، وتكسب كأبيه بصناعة الشاشية ، وله فيها اسم ، وساعده البخت في المتجر . وكان من العشرة أعضاء مجلس الحكم ، مقبلا على شأنه ، جديا نقى العرض ، حسن الاخلاق .

ثم توفي في الرابع والعشرين من شوال سنة 1260 ستين ومائتين ولف (الاربعاء 6 نوفمبر 1844 م.) ، وأعقب أولادا ساروا على قدمه ، لو ساعدهم البخت ، والله مقلد الامور .

[264 - أحمد المحجوب]

أبو العباس أحمد ابن الشيخ المفتي محمد

ابن العالم المفتي محمد صدر المالكية

ابن شيخ المسلمين أبي الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الوجيه في بيت علم وشرف ، واشتغل بقراءة العلم ، وحصل ملكة المشاركة ، وانتظم في كتابة الانشاء ، وكان متوسطا في الصناعة ، عالي الهمة ، عزيز

النفس ، خيرا عفيفا ، نقي العرض ، ينحو منحى آله ، الى ان توفي في منتصف ذي القعدة من سنة 1260 ستين ومائتين ولف (الثلاثاء 26 نوفمبر 1844 م.) ، واعقب ابنا منظوما في سلك الكتابة ، تلوح عليه النجابة .

[265 - علي السقا]

الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ العالم
أبي عبد الله محمد السقا السوسي .

نشأ هذا الفاضل في بيتهم المشهور بالتقوى والعلم ، وأخذ عن أعيان يبلده بسوسة ، كوالده ، والعالم أبي محمد حسن الهدية ، والشيخ الغنوشي .
وارتحل الى الحاضرة : فأخذ عن أعيانها كالشيخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم ، والشيخ بيرم الثالث وغيرهم .
ولما امتلأ حوضه ، وأثمر روضه ، حن الى الاوطان ، وحب الوطن من الايمان ، وقدم لخطة الفتوى بسوسة ، فقبلها على كرهه ، ثم ألزم خطة القضاء بسوسة في شعبان من سنة 35 خمس وثلاثين (ماي - جوان 1820 م.) ، فصنّع بالحق ، واشتد على ما فيه من اللين ، وظاهر ما أودع فيه من قوة الدين ، لا تأخذه في الله لومة لائم .
كان رحمه الله خيرا عفيفا ، تقيا نقيا نزيه النفس ، عالي الهمة ، مقبلا على زاده ليوم معاده ، سالكا نهج المهتدين ، معدودا في العلماء العاملين ، والقضاة الصالحين .
ولم يزل معظما محببا ، ذا وقار وجاه ، الى أن أجاب داعي الله في ذي الحجة من سنة 1260 ستين ومائتين ولف (ديسمبر 1844 - جانفي 1845 م.) ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ، آمين .

[266 - سلطان الحسني]

ابو مصطفى سلطان بن محمد الحسني .

اصل هذا البيت من احفاد القايد حسن ، مملوك مراد باي صاحب التربة المعروفة بريض باب الجزيرة . قدمه مراد باي لولاية دريد ، ونزل بناجتهم كواحد منهم نازعا عن أخلاق الحضارة الى سداجة البداوة ، وتزوج من عقيلات الخيام ، وأولدهن

الاولاد ، وكثروا ، والملوك تخصصهم بالاعمال في قبائل الخيام ، واشتهرت في ذلك نجابتهم .

ومن وصايات القايد حسن لاولاده ما معناه : « اننا لسنا في منعة يعضدها النسب مع هؤلاء الناس ، فعلى العاقل منكم ان يجعل بنفسه لنفسه منعة تشبه لحمة النسب ، باصطناع الرجال ومؤاخذتهم ، والتحجب اليهم بالاحسان ، والتغافل عن العيوب ، واقالة العثرة » ، وبحفظهم وصاية ابيهم حسنوا اعمالهم ، وبلغوا من ثمرات الخدمة آمالهم .

ونشأ صاحب الترجمة في الولايات ، وتسمن ذراها ، واوثق عراها ، وكان الباى أبو محمد حمودة باشا يجله ويقربه ، ويسمع رأيه فيما يتعلق بعمود الخيام ، ويحتمل هفوته ، واقتدى به من بعده في ذلك .

فكان يجلس بين يدي الباشا أبي عبد الله حسين باي مع رجال الدولة معظما مكرما .

وكان من أفراد الرجال ، كريما يقري الضيف ، ويكسب المُعْدِم ، ويعين على نوائب الدهر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، أبي الضيم ، ثابت الجنان ، جريئا في الخطاب ، متعمقا في تيه العرب وخيلائها .

دخل المحكمة يجر احرامه (1) فقال له باش حانبه الحاج احمد بن عمار : « ارفع حُولِيكَ » ، فقال له : « أتراني أجره في بيتك ؟ » ، فضحك حمودة باشا ، وقال للحاضرين : « دعوا سلطانا وعربيته » .

وكان مهيبا ذا صمت ووقار ، ثم تراجع أمره لما شاخ ، وآنس من راحلة عمره المناخ ، فبقي بناجته ، محافظا على وقاره وسمعته ، الى ان استنزله الاجل المحتوم من رفغته ، وأخرجه من خيام منغته ، رحمه الله ، في خلال سنة 1260 ستين ومائتين والـ (45 — 1844 م) عن سن عالية ، وأعقب ابنا هو صاحب كنيته ، جرى على سنن أبيه ، لو ساعده البخت . وله ابناء يحاولون الجري في مضممار جدهم ، متشوفين الى مجدهم .

(1) الاحرام : رداء طويل يلتحف به اعيان المريان في المغرب ، وينلفظ به بدون همزة مع ترقيق الراء ، جمعه حرامات ، وانظر دوزي (قاموس اللباس ص 136) .

[267 - محمد بن الامين]

ابو عبد الله الحاج محمد بن الامين .

من بيت نبيه في الحاضرة ، معروف بالوجاهة والمروعة ، وله سلف ومجد .
وكان وجيها ، خيرا عفيفا ، نقي العرض ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .
قدمه الباي أبو محمد حمودة باشا على بناء قشلة للجند .
يرتزق بالتجارة في الشاشية وغيرها ، متحريرا في متجره ، ملازما صلاة الظهرين
بالجامع الاعظم .
ولم يزل على حاله ، متجملا بحميد خلاله ، الى أن توفي في الرابع عشر من شوال
سنة 1261 احدى وستين ومائتين والـف (الخميس 16 اكتوبر 1845 م.) ، وأعقب ولدا
اقتدى بأبيه ، معدودا في الاعيان .

[268 - قاسم عظوم]

أبو الفضل قاسم ابن الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد
ابن العالم المفتي عبد الله بن عبد اللطيف عظوم .

نشأ هذا الفاضل في بيت مجده وكماله ، سالكا سنن آله .
اخذ العلم عن اعيان العلماء بالقيروان ، كالشيخ أبي عبد الله محمد الطوير ،
والشيخ حمودة الوحيشي ، والشيخ الحاج محمد الخنقي وغيرهم .
وحصل ملكة علمية ، وتقدم لخطة القضاء ثم الفتوى بالقيروان ، وباشر الخطة
بصلابة ، وكان فقيها صعب المقادة ، عزيز النفس ، وقور المجلس ، مثبتا في قضائه ،
وربما يعتمد النسب العظومي ، ويشير لذلك ويومي ، وان كان نقي العرض خيرا
يَـزِين نسبه .
ولم يزل على حاله ، الى ان توفي ودفن مع آله في شوال سنة 1261 احدى وستين
ومائتين والـف (اكتوبر 1845 م.) . رحمه الله تعالى وعفا عنه .

[269 - محمد خوجة]

الوزير ابو عبد الله محمد بن محمد خوجة .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، وتعلم القرآن وما يلزمه من العلم ، وحصل ملكة المشاركة ، وله معرفة بعلم التاريخ ، ثم تقدم على صغر سنه كاهية في ثغر بتزرت ، في حياة أبيه ، أيام الباشا علي باي ، ولم يزل يتلرج الى ان صار امين الترسخانة بحلق الوادي ، أيام اعتناء الباي ابي محمد حمودة باشا ببناؤه وقوته ، فجلّى في ميادين الكفاية والحزم والنصح ، وقربه مخدمه فصار من رجال مشورته ، ومشورة من بعده من الملوك ، يعتمدون رأيه .

وتردد في أغراض السفارة للدول كبريطانية وفرنسا وغيرهما ، واستحسنت سفاراته ، ونجحت اشاراته ، وامتحن في ثورة الترك سنة ست وعشرين (سبتمبر 1811 م) ، ونهبوا محله بحلق الوادي ودافع عنه الاجل بالاختفاء .

وكان فاضلا كريما ، بصيرا بالعواقب ، عارفا بالسياسة ، متخلقا بأوصاف الرئاسة ، حنكته التجارب ، في غالب المآرب ، ذا عفة ووقار وهمة عالية ، ما دنّس وجوه خططه بطمع ، ولا حفظ عنه شر ، بادىّ النعمة ، محافظا على عباداته وأوراده ، متزودا ليوم معاده .

ولم يزل معظما محمود المساعي ، الى ان لبي الداعي في الرابع والعشرين من صفر الخير سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والفر (السبت 21 فيفري 1846 م) ، وحضر جنازته المشير ابو العباس احمد باي رحمه الله تعالى ووزراؤه ، ومشى خلف نعشه راجلا ، ودفن بالجلّاز ، وأعقب أولادا زانوا الخطط السياسية .

[270 - محمد بن أبي بكر صدام]

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن محمد ابن الحاج محمد بن ابي بكر بن الطيب صدام اليمني القيرواني .

هذا البيت من اعيان بيوت العلم والفضل في مدينة القيروان ، حاز بنوه قصب السبق في مضممار النجابة ، وتناولوا الخطط العلمية من قضاء وفتوى وخطابة ، وتباروا في ميادين الاصابة .

ونشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، فأخذ عن أبيه عالم عصره ، وعن عمه ، وعن الشيخ أبي حفص عمر بوحديية ، وأبي محمد حمودة الوحيشي ، وعن خاله أبي عبد الله محمد الطوير ، وغيرهم من علماء القيروان .

ولما اقتعد أريكة التحصيل ، وقوي به مجده الاصيل ، ورمى أغراض العلم البعيدة ، بسهام أفكاره السديدة ، تصدر لبث العلم في صدور الرجال ، وروى الظمان من ذلك الزلال ، ثم تقدم لخطبة الفتوى فكان من رجالها وابن رجالها ، وحاز قصب السبق في مضمار مجالها ، وخطب على منبر الجامع الاعظم ، وصلى في محراب الصحابة ، فأثر الخشوع والدموع والاناة ، وتقدم لرئاسة الفتوى ، فأصبح شمس ضحاها ، وقطب رحاها .

وكان رحمه الله عالما محدثا ، فقيها نحويا مفسرا ، اديبا شاعرا ، وشعره معروف ، تقيا عفيفا خيرا ، من أعلام الدين ، سالكا نهج المهتمدين ، متقدما في الميادين ، لين العريكة ، سليم الصدر ، متواضعا على رفعة ، محببا الى الناس ، معظما عند الملوك ، والخاص والعام ، حسن المحاضرة ، ما شئت من بشر يتألق ، وآداب تتعطر بها النسمات وتتخلق ، وإدراك ماضية نُصُولُه ، عزيزة فروعه وأصوله .

ولم يزل في الدنيا على هذا الصراط السوي ، الى ان لبي داعي الله يوم المولد النبوي ، من سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والـف (الثلاثاء 10 مارس 1846 م) ، رحمه الله . واخوه الآن هو قطب دائرة العلم والتقوى والفتوى بالقيروان .

[271 - حمدان سيضه]

أبو العباس الحاج حمدان سيضه (1) .

من اعيان بيوت الاندلس ، نشأ في مروعة ووجاهة ، يرتزق بالتجارة في الشاشية وغيرها ، وتقدم لرئاسة مجلس الحكم في التجارة .

وكان وجيها فاضلا ، حسن اللقاء ، كريم النفس ، ذكي الفكر ، متجملا بحسن الاخلاق . توفي في الرابع والعشرين من رجب سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والـف (السبت 18 جويلية 1846 م) .

(1) لعل اصله سنده ، بإبدال الدال ضادا على طريقة بعض الجهات الاسبانية .

[272 - علي الدرويش الحنفي]

الشيخ ابو الحسن علي بن يوسف الدرويش الحنفي .

نشأ هذا الوجيه في طلب العلم ، بجهد واجتهاد ، فحصل المراد ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، والعلامة المفتي ابي العباس حميدة ابن الخوجة ، والعلامة ابي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وغيرهم من أعلام الحاضرة . وقدمه الباشا أبو الثناء محمود باي إمامه بمسجد بيت الباشا ، ولرواية الحديث به ، ثم تقدم لخطة القضاء بالمذهب الحنفي ، فباشر الاحكام بتبث ودين قوي ، وسار على الصراط السوي ، محتاطا في نوازل المعاوزات للاجباس ، معدودا من قضاة اللجنة ، والنفوس به مطمئنة ، وانتفع بشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، يأتيه كل يوم اثر خروجه من دار الحكم ليستعين بمشورته ، شان قضاة العدل .

وكان عفيفا خيرا ، تقيا نقيا ، فاضلا فقيها ، حافظا لعرضه ، نزيه النفس ، ذا سكينه ووقار ، يتأنس بالانفراد . وانتقل لخطة الفتوى ، فزاناها بالعلم والتقوى . ولم يزل رافلا في حلل الديانة ، والعفة والامانة ، الى أن اجاب داعي الله يوم الاحد الخامس من ذي القعدة سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والف (25 اكتوبر 1846 م.) ، وله عقب يقتفى أثره ، رحمه الله تعالى .

[273 - محمد الشاذلي المؤدب]

الشيخ ابو عبد الله محمد الشاذلي ابن الامام ابي حفص الحاج عمر المؤدب .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، وقرأ على أبيه ، ثم دخل الجامع ، واخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهما ، وحاز درجة التحصيل ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، فروى الاكباد ، ونفع العباد ، وكان ممتزجا بامام الفقه جاره ابي الفداء اسماعيل التميمي يسامره ، وانتفع من مسامرته بالفقه وأصوله وتخاريجه ، ثم أدى فريضة الحج ، ولقي اعلام الازهر وغيرهم ، واستفاد من محاضرتهم ، ثم أكره على خطة القضا ، فقابل قضاء الله بالرضى ، وباشر الخطة بلين ، ودين متين ، وسلك سنن المتقين ، من مشاورته العلماء المفتين ، ويعظ

الخصوم ويحذرهم عقاب الله ، فتنقاد النفوس الزكية الى الاقرار ، وأعانه على ذلك ما في قلوب الناس من محبته وتعظيمه ، لا سيما اهل الطريقة الشاذلية ، وهم كثيرون في الحاضرة ، وهو شيخها وابن شيخها وحفيد شيخها .

ثم انتقل لخطة الفتوى ، وهو امام ثالث بالجامع الاعظم ، وكادت ان تقع وحشة بينه وبين الامام الثاني الشريف ابي الثناء محمود محسن ، سببها الاختلاف في التقدم والتأخر ، وأرسي الامر على تقدم الامام الثاني اعتبارا للعادة ، ولا أثر لخطة الفتوى في ذلك ، وأرسي الحال على انجلاء تلك الوحشة ، شأن الافاضل .

وكان رحمه الله خيرا عفيفا ، تقيا فاضلا ، نقي العرض حسن الاخلاق ، فقيها عالما ، فصيحاً حديد الفكر ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على رفعة مكينة ، ما شئت من محاضرة عزيزة الاسلوب ، تأخذ بمجامع القلوب .

ولم يزل رافلا في حقل الكمال على اختلاف أجناسه ، الى آخر ما قدر من أنفاسه ، أوائل صفر الخير من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والـ (أواسط جانفي 1847 م.) ، وحضر جنازته صاحب الدولة المشير ابو العباس احمد باي ، وحمل جثته بنفسه ، ومشى خلف نعشه راجلا باعتبار أنه من أبناء الطريقة الشاذلية ، ودفن قرب المغارة ، وله عقب من ذوي الالباب ، وفرسان المنبر والمحراب ، نسج على منواله ، واقتدى بصالح اعماله .

[274 - محمد بن محمد المحجوب]

ابو عبد الله محمد ابن العلامة المفتي ابي عبد الله محمد
ابن شيخ المذهب ابي الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الماجد بين يدي أبيه ، وأخذ عنه وعن غيره ، وحصل ملكة في الفقه ، وتصدر للتوثيق ، وتولى الخطط العلمية ، بعد وفاة أبيه ، وتقدم لخطة الفتوى في حياته ، عوض عالم الملة ابي الفداء اسماعيل التميمي ، لما امتحن ، ووقف في الخطة عند حده ، وحافظ على بناء أبيه وجده ، قانعا بالاسم ، شديد المحافظة على ما للخطة من الرسم ، مثبتا فيها ، لم يحفظ عنه خطأ ينافيها .

وكان وجيها مشاركا ، ماجدا من بيت علم وشرف ، كريم النفس ، عالي الهمة ، مهيبا .

ولم يزل على حاله ، مقتديا بآله ، الى حين انتقاله ، أواخر ذي القعدة من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والف (اوائل نوفمبر 1847 م.) ، رحمه الله تعالى ، آمين .

[275 - محمد السعودي]

الكاتب ابو عبد الله محمد بن محمد السعودي البوبكري .

أصل هذا الوجيه ، من أحفاد الشيخ الصالح سيدي بوبكر صاحب القبة في تراب تيرسوق .

ولد بناجعة قومه ، وقرأ القرآن ، وقدم للحاضرة ، فقرأ على الشيخ صالح وغيره ، وحصلت له مشاركة ، وله في فن التاريخ ورواية الشعر ملكة حسنة ، ثم انتخبه الكاهية رجب بونمرة ، لصحبة بينه وبين أبيه ، وتسبب له في خدمة الدولة ، فاستعمله الباي أبو محمد حمودة باشا في قلم الحسبان ببيت خزنة دار ، وضمه الى سليمان كاهية الاول ، واستكفى به في أسفاره ، وفي محلة قسنطينة المتقدم ذكرها . وعند رجوعه في المنهزمين لم يعاتبه الباي ولا أهمله بل أدناه ورفع منزلته ، يسميه كما يسمي كتابه في قلم الانشاء ، ويراها بعين نجابة ، ويكتتب له أسراره ، وهو اقرب الى صناعة الانشاء من غالب كتابه ، واستقل برئاسة قلم الحسبان لما امتحن صاحبه والذي الحاج بالضياف ، وانفصل منها في دولة أبي الثناء محمود باي ، فتصدر للتوثيق ، ثم اعيد لرئاسته .

وكان ادبيا لودعيا ، حسن المحاضرة ، فصيح القلم واللسان ، وفيه كريم النفس ، واسع الصدر ، جميل الاخلاق ، مفرطا في التواضع ، حسن القري ، يميل الى السذاجة العربية ، وجيها خيرا ، محبا للعلماء ، معظما لهم . وانتفع بدعوات الشيخ صالح الكواش لما نزل بداره ريثما بنيت دار سكنائه ، فانه قابله بما يستحق به الدعاء ، وجميل الثناء ، وبدعوات شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، ثم اقعده الكبير ، وذهب بصره ، وعوفي ، وبقي على ما يعهده من العناية ، موفى الجراية ، الى ان توفي يوم الجمعة رابع (1) ذي الحجة من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والف (12 نوفمبر 1847 م.) ، عن سن عالية ، واعقب اولادا هم الآن في خدمة الدولة ، أكبرهم من أعيان بلغاء الكتاب ، وفرسان ميادين الآداب ، صاحب « الخلاصة النقية في أمراء افريقية » ، كثر الله من امثاله .

(1) هو 3 حسب التقويم .

[276 - حمدة الشباب]

ابو عبد الله محمد ويدعى حمدة بن علي الشباب .

هذا الرجل من أبناء الحاضرة ، وأبوه أمين صناعة الشعر (1) بها ، ومثله من الامناء وجاهة على مقتضى حالته ، وله خلطة مع الدولة في أشغالها من صناعته ، وتعلق بخدمة أبي العباس احمد باي في دولة عمه ، ولم يزل معه الى ان دالت له الدولة ، فرجع منزله وقربه ، شأن ما تخلق به من الوفاء ، وأولاه الخطط النبيهة كالمقرق وغيره ، وكان يحبه حتى انه يبيت عنده بصرايته كل ليلة .

وكان كريم النفس ، حسن الاخلاق ، سمح اللقاء ، متواضعا ، لم يحفظ عنه شر ، يقول الخير أو يصمت ، يميل الى الجلد ، غير مضطلع بأموره ، مغفلا ، قانعا من الدنيا بمحبة سيده .

ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والالف (47) - 1846 م. ، وحزن مخلومه لموته ، ووزعت تركته في الديون ، رحمه الله تعالى .

[277 - محمد التميمي]

ابو عبد الله الحاج محمد بن يونس التميمي .

هذا الفقيه من منزل تميم ، وأتى الحاضرة في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كأبي العباس أحمد بوخرىص ، وأبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وأبي عبد الله محمد الطاهر ، ولازم ركن العلم أبا الفداء اسماعيل التميمي ، وحاز من العلوم أوفر نصيب ، ورمى الاغراض بالسهم المصيب ، ودرّس بالجامع ، وتصدر للشهادة ، فبرع في الوثيقة وإحكامها ، وتنزيل فصولها على مقتضى أحكامها ، وسبق الاقران في هذا الشأن ، لو تقدم لخطة القضاء ما تأخر عن الاعيان . وامتنح بالنفي ثم تسرح في محنة الشيخ اسماعيل . وكان فقيها فرّصيا ، ادبيا كاتبيا ، وجيها حسن الاخلاق ، حلو المحادثة ، لطيف الذوق ، قليل التصنع ، مغفلا في احوال الدنيا ، يشبه الزهاد .

ولم يزل هذا حاله الى أن توفي في سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والالف (47) - 1846 م. ، رحمه الله .

(1) كنسج الحيام (بيوت الشعر) والمخالي والحبال وغيرها من مصنوعات الشعر .

[278 - محمد الشاذلي بوخريص]

ابو عبد الله محمد الشاذلي ابن الشيخ العالم أبي العباس احمد بوخريص .

نشأ في طلب العلم ، فأخذ عن أبيه ، وعن اخوته ، وعن شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة . وحصل ملكة علمية ، وتقدم لخطبة الكتابة في ديوان الانشاء ، وكان من أواسط رجالها في الوقت ، حسن المشاركة ، فقيها حَيِّبًا ، عفيفا مجيدا لتلاوة القرآن ، عزيز النفس ، حسن المروءة .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والـف (اكتوبر - نوفمبر 1847 م.) ، رحمه الله تعالى .

[279 - حسونة المورالي]

ابو محمد حسن ويدعى حسونة بن يوسف المورالي .

نشأ هذا الرجل في حجر الوزير أبي عبد الله محمد خوجة ، أمين الترسخانة ، لمصاهرة بينهما ، واحسن تربيته الى أن شب ، فزوجه معه في داره ، وكانت عنايته متعلقة بالاسفار ، والجولان في الاقطار ، ومعاناة الاخطار ، وخلصته المحن خلوص التضار ، وأضافه الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى خدمته ، وتأثل من كرمه . وله معرفة تامة باللغة التركية والايطالية والرومية والفرانساوية والانقليزية .

وسافر مع أسطول دولة الانقليز في حربه للفرانسييس بمصر ، وحمدت في الخدمة أمانته ، فأعطاه الانقليز مرتبا ما دام حيا ، خلد أو لم يخدم ، وباعه كما يباع الربع والعقار .

وكان اخذه شقف من الانقليز لم يعرف منه الا الصننق ، واسم الشقف المكتوب خلفه ، فتوجه الى لندرة ، واقام بها تسع سنين يخاصم ، والدولة أذنت وكيلها ان يناضل عليه في مجلس الحكم ، حتى ظهر اسم الشقف ، وفي اي مرسى وقع انشاؤه ، وبذلك علموا من أخذه ، واستوفوا ذلك من مخلفه ، مع ما صرفه في مدة الخصام ، بمقتضى ضمان التسبب ، وتأنم من أخذ فائدة المال . وأتوه يوم الحكم بمصحف ليحلف عليه على صدق دعواه فيما ضاع له ، وكان على سفر المصحف قوله تعالى : « لا يمسه الا

المطهرون» ، فقال لهم : « لا أحلف اليوم » ، فاسترابوه ، فقال لهم : « مكتوب على سفر هذا المصحف (لا يمسه الا المطهرون) ، واني غير طاهر الآن » ، ثم تطهر ، وأتى وحلف . واتى للحاضرة ، كما تقدم ذلك في الباب الاول (1) .

ثم سافر في غرض التجارة ، فاخذ اسطول الجزيرين ايام حربهم مع تونس ، وبعثوا بشقفه للجزائر ، وبقي مأسورا في شقف من أخذه ، ومعه صندوقه ، سَهَمَ الرئيس من الغنيمة ، فنقد ما عندهم من الماء ، وانعكس عليهم الريح ، فاتاح الله له شقفا من المرِكان ، فأشاروا اليه ، ولما وصلوه قال لهم : « اني أعلم لغة الانقليز » ، فأنزله في قارب مع من يحرسه ، فقال لهم : « اني أسير في هذا الشقف ، وأتيت إليكم مستجيرا بذلك الصنجق ، وهؤلاء يطلبون منكم الماء لنفاده » ، فطلَّعوه لشقْفهم ، وخلصوا له صندوقه وتابعه ، وبعد ذلك أعطوهم الماء ، وقال له المرِكان : « أين بلادك ؟ » ، فقال له : « ضعني فيما يقرب منك من بلاد المسلمين » ، فقال له : « لا بد أن نوصلك لبلادك » ، فأتى به لغار الملح مكرما ، ولما أنزله في البر سافر لحينه خشية أن يهاديه . وكان رحمه الله يقول : « غاية ما أتمنى في الدنيا أن ألقى هذا الرجل » .

ولما سافرنا مع المشير أبي العباس أحمد باي الى باريس ، وكان سلطان الفرانسييس يومئذ لويز فيليب ، فكلمه بلغة الانقليز ، فقال له : « نطقك بنطق الانقليز نطق المولود بالانقلتيرة » ، فقال له : « اقامت فيها تسع سنين » ، فقال له : « أكنت أسيرا بها ؟ » ، فقال له : « ايها السلطان ، إن رجلا من رعية تلك الدولة التي هي دولة الحق ظلمي ، وأخذ سفيتي ، فرفعت لها شكايتي ، وأذنت وكيلها أن يناضل على حقي حتى ظهر ، وقبضته مستوفى » ، فقال له سلطان الفرانسييس : « لا غرابة في صدور الحق من تلك الدولة المنصفة » ، وكان ذلك بمحضر الباي ، ومحضرنا بعد الطعام .

وأخبار هذا الرجل فيما لاقاه في أسفاره كثيرة ، ثم ترقى بألسته (2) في دولة الباي أبي عبد الله حسين باشا الى أن صار من خواصه ، ورجال دولته ، وله ذكر في هذا الموضوع . وهو الذي كان يخبرنا باحوال اروبا ، وكنا نتهمه بالمبالغة والاغراب ، حتى ظهر مصداق قوله للعيان .

(1) انظر ص 79 ج 3 .

(2) كذا في ف ، وفي خ و ع : بالنسبة .

وكان وجيها كريم النفس ، عالي الهمة ، صادق اللهجة ، عارفا بالوقائع والتواريخ الغربية ، سليم الصدر صبورا ، يميل الى التمدن ويستحسنه ، ويبغض الظلم بطبعه ، وله مراقبة لله تعالى .

ولم يزل مكرما ، الى أن توفي عن سن عالية ، آخر كلامه الشهادة وذلك في جمادى الثانية من سنة 1264 اربع وستين ومائتين والـ (ماي 1848 م).

[280 - مصطفى ماضور]

ابو النخبة الشيخ مصطفى ماضور.

نشأ هذا الرجل في بيت عفة ودين ، من أعيان الاندلس بسليمان ، وقرأ وحصل ملكة تصدر بها للتوثيق ، وتقدم لخطبة القضاء بسليمان ، وخطبة جامعها الكبير . وكان وجيها خيرا ، محافظا على مروءته ، ذا عفة ، جاريا على سنن سلفه . ولم يزل على حاله الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1264 اربع وستين ومائتين والـ (اكتوبر 1848 م) ، وليبتهم عقب معدودون في الاخيار والاعيان .

[281 - عثمان المرابط]

ابو عمرو عثمان ابن الحاج عمر المرابط القيرواني .

اصل هذا الرجل من بني تميم ، احدى قبائل الفتح بالقيروان ، وتغرب أبوه في خدمة أولاد الباي أبي عبد الله حسين بن علي ، وجاء مع ركابهما ، فوفوا له بحق الخدمة ، وتقدم في الخطط النبيهة كسوسة والقيروان ، ونشأ ابنه هذا في خدمة الدولة على صغر سنه ، وتقدم لولاية القيروان ، وهي ما هي في ذلك العصر ، وجمع بين قيادة القيروان ورئاسة جند الصبايحية بها ، ولاعيان القيروان محبة فيه ، ووقعت محنة القيروان المتقدم ذكرها في الباب الرابع ايام ولايته (1) .

(2) انظر ص 186 ج 3 .

وكان غرا كريما ، متواضعا بعيدا عن التصنع ، قاصر الباع في السياسة ، والعا بالخييل والقنص ، غاض الطرف عن مساوىء الناس ، وجيها خيرا ، بقي عرضه بماله ، جاريا على الجادة في الكثير من أعماله ، وأصيب في آخر عمره بمرض الفالج ، ولم يزل به الى ان توفي سنة 1264 اربع وستين ومائتين والف (48 - 1847 م.) ، واعقب أولادا ضربوا في النجاة بسهم ، لو ساعدهم البخت والوقت .

[282 - أحمد الجويني]

ابو العباس احمد ويدعى المذكور بن بلقاسم الزهاني الجويني .

هذا الوجيه من سراة قومه أولاد جوين من دريد وأعيانهم ، مثل أبيه وجده وعمه ، اذ كان من خواص الباشا علي باي الحسيني ورجال مشورته .

وكان أبو صاحب الترجمة يعسوف قومه في دولة الباي أبي محمد حمودة باشا ، فامتحن بالتغريب عنهم ، المعبر عنه بالرهن . ولمكان وجاهته في القبائل غرب بتونس داخل القصبه ، وضرب بها خيامه على أهله وبنيه ، وأكبرهم صاحب الترجمة ، فقرأ بها القرآن ، ودخل الجامع لتعلم العلم ، فاستفاد ملكة ، وحصل ما لا بد منه ، وولد أخوه بالقصبه فسماه والده عثمان الفياشي ، على اسم كبير الموقنين بها .
وطال مقامه بالقصبه الى ان عجز فتسرح .

وأقبل ابنه هذا على الخدمة ، فشاخ (1) على قومه ، وطالت مدته ، ثم تسنم ذرى الاعمال كولاية الفراشيش وغيرهم ، وقربه الوزير شاكير صاحب الطابع .

وكان فقيها نبيها ، فصيح اللسان ، ذكي الفهم ، حازما يقظا ، يتقن النخوة الريدية ، ذا نفس أبية ودهاء ، حسن الوجهة الى الله ، آية الله في المحاضرة ، بتاريخ الوقائع ، وفي أخبار البلاد .

ولم يزل في تقديم وتأخير الى ان لبي داعي المنية والى الله المصير في سنة 1264 اربع وستين ومائتين والف (48 - 1847 م.) .

(1) شاخ : ولي وطيفة شيخ القبيلة .

[283 - محمد بن عاشور]

ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن عاشور الاندلسي .

نشأ هذا العالم في بيت شرفه ، وقصر نفسه على العلم مذ برز من صدقه ، فأخذ عن أعلام كالشيخ الصالح أبي عبد الله محمد المشاط ، وأبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وأبي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، وأبي عبد الله سيدي محمد بن الخوجة وغيرهم ، وفي أقرب وقت رقى ذروة التحصيل ، بماله من طبع الذكاء الاصيل ، وتصدر للافادة بالجامع الاعظم ، وأجرى به سيل الافادة ، وبدأ الفضل وأعادته ، وسعد به افق العلم أي سعادة ، وانتفع به اعلام ، من فرسان الآداب والاقلام .

وانتخبه المشير ابو العباس احمد باي لخطبة القضاء بالمحلة ، وعظم عليه الانتقال من رياض العلوم ، والسبح في تيار المفهوم ، الى مزاولة الخصوم ، فاستجار بالوزير أبي النخبة مصطفى خزنة دار ، وتعلل بضعف بدنه عن معاناة الاسفار ، وان الغضب لا ينتج الا الفرار ، ومفارقة الأوكار ، ولما رأى الوزير عزمه ، وعده وكلم الباي في هذا الشأن ، بان خروج مثل هذا الرجل نقصان ، فقبل اعتذاره وأقاله ، فرجع الى أنسه ، بفرائد درسه ، واذكياه بني جنسه .

وكان خييراً عفيفاً ، تقياً نزيه النفس ، عالي الهمة ، متضلعا بالعلوم العقلية والفقهية ، ثاقب الفكر ، مقبلا على شانه ، متقدما على أقرانه .

ولم يزل عاكفا على العلم وأسبابه ، معدودا من أبوابه ، الى ان اقتطفت المنية نور شبابه ، في السادس والعشرين من صفر الخير سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف (الاحد 21 جانفي 1849 م.) ودفن بزواوية جده .

[284 - خالد الزهاني]

ابو البقاء خالد بن محمد الزهاني .

نشأ هذا الرجل في خدمة الدولة من لدن الباي أبي محمد حمودة باشا ، وخدم كاتباً في أوجاق الصبائية ، وحصل وجاهة ونباهة شان ، وله تعلق بالوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وسافر معه في حروبه ، واستكتبه المشير أبو العباس احمد باي في قلم الانشاء ، لما له من سالف الخدمة ، وهي أوكد حرمة .

¹ وكان رحمه الله وجيها ، فصيح اللسان ، حاذقا نبيها ، عارفا بمقتضيات الاحوال وقتئذ ، خفيف الروح ، حسن اللقاء ، لم يفارق السجيا العربية .
ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في صفر سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف (جانفي 1849 م) ، وله ابن في مبادئ خدمة أبيه .

[285 — علي الشريف الاندلسي]

الشيخ ابو الحسن علي بن قاسم بن عثمان بن مصطفى
ابن الحاج ابراهيم الشريف .

جد هذا السيد من أعيان أشرف الاندلس الوافدين على هذه الحاضرة فرارا
بدينهم ، ونشأ هذا السيد في منبت شرف ومجد ، ودعم مجده الموروث بمجد مكتسب ،
فقرأ بالجامع على أعلام كالشيخ صالح الكواش ، والشيخ حسن الشريف ، وحصل
ملكته قوية ، وتصدر للتوثيق ، ثم تقدم شيخا لطريقة الولي العارف بالله سيدي محمد بن
عيسى الباقي كرامته الى الآن بعد موته ، فزان صدرها ، ونشر فخرها ، ونور طريقها ،
وأدار على المحبين رحيقها ، وله في علوم السير والتاريخ والادب يد طولى .

وكان فقيها فاضلا ، خيرا عفيفا ، تقيا نقيا ، كريم النفس ، هاشمي الهمة ، سليم
الصدر ، حسن اللقاء ، ما شئت من محاضرة تملأ الحياض ، وتفوق ازهار الرياض ،
باسمة عن حسن أخلاق ، دالة على كرم أعراق ، متحليا بالوقار والسكينة ، حالا من
الملوك وأهل الحاضرة بالمكاتب المكيّة .

ولم يزل على رفعتة ، وطيب سمعته ، وإطباق الناس على محبته ، والورود من
منهل طريقته ، الى آخر ساعته ، في الثاني عشر من رجب سنة 1265 خمس وستين
ومائتين والف (السبت 3 جوان 1849 م) ، رحمه الله تعالى بمنه .

[286 — محمد الجلولي]

ابو عبد الله محمد بن محمود بن بكار الجلولي .

مولد هذا القايد سنة 1195 خمس وتسعين ومائة والف (81 — 1780 م) ، ونشأ في
خدمة الدولة ، وثقل في أعمال ولاياتها ، وقام مقام أبيه لما بعثه الباي أبو محمد حمودة
باشا لانشاء سفن حربية بمالطة .

وكان وجيها خيرا ، جديا ، مؤثرا للخير ، غير متكالب على المال ، كريم النفس ، شديد الحياء ، محبا لاهل عمله ، بل ولغيرهم ، يغلب عليه الخير ، المطبوع عليه اهل صفاقس .

وتوفي في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف (الخميس 11 اكتوبر 1849 م.) ، وأخوه الآن بصفاقس هو ضوء صباحها ، ومشكاة مصباحها .

[287 - احمد الجزيري]

ابو العباس احمد الجزيري .

هو من ممالك أبي الحسن علي الجزيري ، قرجي الأصل ، وتبناه اذ لم يكن له ذكر ، وزوجه من بنته ، وحبس عليها سائر كسبه ، وأدخله في خدمة الدولة ، وباشر الاعمال النبيلة ، وترقى الى رتبة باش آغة ، وقربه الباي أبو محمد حمودة باشا ، ووثق بأمانته في المهمات .

وكان خيرا ثقة ، نصوحا وجيها ، مهيبا معظما ، متوسط الادراك ، سجية عصره . وتوفيت زوجته عن ذكر ، فتسرى بجارية أولدها ابنا هو سبب نكبته ، وذلك أنه تداين من بعض الافرنج حتى استغرق الدين ذمته ، وكسب أبيه ، وحملته الشفقة على حمالة دين ابنه ، فاستغرق الدين ذمة المدين والحميل ، واستصفي الغرماء كسبه ، وسجن لاجل ذلك ، فطلب الغرماء سجن المدين بالكرافة لاحتياله على أموالهم ، شبه السارق ، فأحضره الباي أبو عبد الله حسين باي بين يديه ، وقال له : « ان الناس سموك سارقا » ، فقال له : « أعطني أبي في يدي ، وأنا أستخرج منه المال » ، فقال له : « أتضر به ؟ » ، قال : « نعم » ، فأمر بسجنه في الكراكة ، ثم تسرح بعد زمن طويل ، وتوفي في هذه المدة .

وأما أبوه فانه تسرح وطرح ، وعاش بعد المحنة ، وقام به حفدته ، الى أن توفي في ذي الحجة من سنة 1265 خمس وستين (اكتوبر - نوفمبر 1849 م.) ، وحفيده الآن من الاعيان ، جزاه الله أحسن جزاء على البرور بجلده .

[288 - حسين الباهي]

أبو عبد الله الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ
اسماعيل ابن الشيخ سيدي احمد الباهي

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وصلاح ، وأقبل على العلم ، فأخذ أولاً على عمه
في زاويتهم ، ثم دخل الجامع فأخذ عن أعلام كشيخ الشيخ أبي محمد سيدي حسن
الشريف ، والشيخ سيدي الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم الرياحي ، وصهره أبي
عبد الله الشيخ محمد البحري بن عبد الستار . وحصل الملكة العلمية ، خصوصاً الفقه ،
لو زاد في قوتها بالتدريس ، وتقدم شيخاً بزواية جده .
وكان عالماً فقيهاً ، حافظاً صحيح الفهم ، نير الإدراك ، تقياً عفيفاً ، كريم النفس ،
ما شئت من مجد صميم ، وخلق كريم ، وقلب سليم .
ولم يزل على حاله ، متجعلاً بكماله ، الى أن كانت التلبية الى دار الآخرة ختام
أعماله ، في سنة 1265 خمس وستين ومائتين والـ (49 - 1848 م) ، واعقب ابناً قام
مقامه ، وتوفي ، رحمهما الله تعالى .

[289 - محمد البارودي]

أبو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ المفتي أبي النخبة مصطفى
ابن الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد ابن الشيخ المفتي الحاج حسين البارودي

نشأ هذا الخير في بيت مجده ، وتوجه للعلم ، فأخذ عن أعلام كشيخنا أبي
اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا أبي العباس سيدي احمد الأبي ، وشيخنا
أبي عبد الله سيدي محمد بيرم الثالث وغيرهم ، وحصل واستفاد ، ونال المراد ، وتقدم
للخطط العلمية ، وعلا ذروة المناير ، وأحيا نغمت آله وهم من سكان المقابر . ولما احيا
الباشا أبو النخبة مصطفى باي جامع الطراز (1) الذي بممر درية الداي ، جعله إماماً
به ، وروى به « صحيح البخاري » ، وكتب على الباب الاخير منه كتابة حسنة ،
وحضره الباي يوم الختم .

(1) انظر تاريخ معالم التوحيد ص 352

وكان فاضلا عفيفا ، نقي العرض ، محافظا على مروءته فقيها ، عالما ، حسن الاخلاق ولم يزل على حاله ، مقتديا بآله ، الى ان ارتحل الى دار البقاء مترودا بصالح أعماله ، في سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (50 – 1849 م.) ، واعقب ابنا يجري على قدم أبيه ، كثر الله من أمثاله .

[290 – محمد الشريف]

ابو عبد الله محمد ابن الامام محمد ابن الامام عبد الكبير الشريف

نشأ هذا السيد في بيت شرفه ، جاريا على نهج سلفه ، وأخذ عن والده وغيره ، وحصل ملكة المشاركة في العلم ، ثم تقدم لشهادة الديوان . وكان حميد الاوصاف ، متجملا بهمة وعفاف ، سالكا نهج السادة الاشراف حسن الاخلاق ، محمود المعاشرة ، كريم النفس ، متواضعا على رفعة شأنه ، محببا للقلوب . ولم يزل في برود كماله ، الى أن كانت الشهادة آخر اعماله ، يوم الاربعاء الثالث والعشرين من اشرف الربيعين سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (6 فيفري 1850 م.) ، بالمرض الوبائي ، المعروف بالكوليرة ، واعقب اولادا معدودين في الاعيان ، أصغرهم يتلرج في سلم المعارف والعرفان ، جاريا في مضمار اهل الشان .

[291 – احمد امير لواء الخيالة]

ابو العباس احمد امير لواء الخيالة

اصله من المماليك الروم ، جاء ومعه أخوه الوزير الآن ابو النخبة مصطفى خزنه دار ، المتقدم ذكره ، وكانا في خدمة الباشا أبي النخبة مصطفى باي ، فترى صاحب الترجمة مع أترابه في الصرايا ، وأخوه لصغر سنه تبناه المشير أبو العباس أحمد باي ، وجعله في حضانة أمه ، فعانته معاناة الحفيد ، الى أن شب ، وأخوه على خدمته بالصرايا يترقى ، وجعله المشير أمير لواء الخيالة ، واستكفى به في خدمته .

وكان فارسا راميا ، شجاعا ثابت الجنان ، فصيح اللسان ، نقي العرض ، سخيا كريما ، مطبوعا على الاخلاق العسكرية ، آية الله في الوفاء والصدق والتواضع ، محببا الى الناس ، حسن الاخلاق ، كريم السجايا .

ولم يزل على حاله ، الى أن بعثه مخدومه بعسكر الى الجهة الغربية ، يمنع الواردين ايام شدة المرض ، فأصيب ، وجيء به الى بستانه [يمتوية] (1) ، ودفن بسيدي عبد الوهاب في أوائل سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (اواخر 1849 م) .

[292 — محمد الطيب الرياحي]

العالم ابو عبد الله محمد الطيب
ابن شيخ المسلمين ابي اسحاق ابراهيم الرياحي

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، وحفظ القرآن ، واعتنى به أبوه ، وأخذ عن العلامة المحقق أبي العباس الشيخ احمد بن حسين القمار الكافي ، باذن من الشيخ والده . ولما حاز درجة التحصيل ، أذنه شيخنا والده بالتدريس ، فدرّس بالجامع الاعظم وحلّق ، وسطع منه نور التحقيق وتألّق ، فأفاد وأجاد ، واتى بما يستجاد ، وجلى في هذا المضمار ، وسبق النظر ، وعزت مباحثه عن الانتقاد ، وسلمها اللسان والاعتقاد ، وألقت البلاغة اليه المقاد ، وانفسح في مجال العلم ميدانه ، فعظم شأنه ، وحل المشكلات بيانه .

وتقدم خطيبا بجامع أبي محمد الحفصي ، وقراءة صحيح البخاري ، وحضره امير العصر ، وحضر والده ، فشنت الاسماع ، وظهر ما فيه من الباع ، وسأله ذلك الامير عن الميت بالمرض الوبائي ، المعروف بالكوليرة ، هل هو شهيد ، فأجاب بانه من الشهداء . وكتب في ذلك عقدا نفيسا ، لولا الاطالة جلبناه .

وتقدم في الباب السادس من شعره ، ما جعله الزمان قلادة نحره ، وشاح فخره . وكان رحمه الله عالما فقيها ، متضلعا بالعلوم العقلية والنقلية ، ذكيا تقيا ، صحيح النقل ، ناظما ناثرا ، عالي الهمة ، طامحا الى قنن المعالي ، أبي الضميم ، زكي النفس .

وبينما هو جادّ في هذه الثنية ، إذ اقتطفته يد المنية ، في الثالث والعشرين من ربيع الانور سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (الاربعاء 6 فيفري 1850 م) ، بالمرض الوبائي المسمى بالكوليرة ، قبيل (كذا) جوابه بان ميته شهيد ، وانقطع عن البلاد وابله

(1) الزيادة عن ن

ومُرُّنُهُ ، وعمها حزنه ، وتخوف المشير ابو العباس أحمد باي على أبيه ، وكاتبه وعزاه ، وكان ما خاف ان يكون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وتوفي الشيخ بعده ، كما تقدم ذكر ترجمته ، استطرادا مع ائمة الجامع الاعظم .

[293 — محمد برتقيز]

الفقيه ابو عبد الله محمد برتقيز

من بيت مجد وعلم ، كان خيرا وجيها ، عفيفا نقي العرض ، محمود السيرة ، مقبلا على شأنه ، بعيداً عن الفضول ، حافظا لوجاهة بيته ، من المعدودين في اعيان العدول ، وتوفي في اشرف الربيعين من سنة 1266 ست وستين (جانفي — فيفري 1850 م).

[294 — حسونة بن الحاج]

ابو محمد حسونه بن أبي الربيع سليمان بن الجاج

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة مع اخوته ، وهو أنجبهم ، وتدرج في الخطط والاعمال ، كالقمرق ودار الجلد وغيرهما . وحصل اقبالا مع الوزير شاكير صاحب الطابع ، كاد أن يزاحم به آل بن عياد ، ثم خشي ضرر الملك المطلق ، فنجا بنفسه وبنيه الى مالطة ، وتقدم اخوه محمد الى خططه ، فعمل فيها على ذمة أخيه ، بتقديم من الباي ، واتبعه الباي الكاتب الفقيه صاحبنا ابا الحسن علي الحداد ، وإيزاكوزيزانه ومنعاه من السفر بمقتضى الحكم ، كما تقدم في الباب السادس (1) ، ثم بدا له ان ركب احدى سفن الدولة ، وأتى المشير أحمد باي على حين غفلة ، ملقيا الله القيادة ، طالبا منه الفضل ، فعفا عنه عفو الكرام ، ورجعه لخدمته ، وابتدأ في التراجع .

وكان حازما حاد الفكر ، محججا ذا مروءة وسياسة .

ولم يزل في اضمحلال ، وللأمور آجال ، الى أن توفي في التاسع عشر من رجب سنة 1266 ست وستين ومائتين والـ (الجمعة 31 ماي 1870 م) ، وأعقب أولادا تلوح عليهم سيماء النجابة ، لو ساعدتهم الاقبال .

(1) انظر ج 4 ص 81

[295 - اسكندر آغة]

ابو محمد اسكندر آغة

هو من الموالي ، وأصله من الابازا (1) وترقى في خدمة الباشا ابي عبد الله حسين باي وصار آغة لعسكر زواوة ، ورأى إلحاقهم بآداب عسكر الترك ، وترقى في مدارج الخطط ، واكتفى به المشير ابو العباس احمد باي في المهمات ، فجل في الاخطار ، وقضى بسياسته الاوطار ، وحسنت منه الآثار .

وكان فاضلا نبيها ، وجيها حسن الاخلاق ، طلق الوجه ، متخلقا بما تقتضيه الرئاسة ، يذكر بالجميل ، فارسا راميا ، صبورا كريم النفس ، نقي العرض . ولم يزل على حاله الى ان توفي في الرابع من شعبان سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (السبت 15 جوان 1850 م) .

[296 - محمد بن سلامة]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الفقيه العدل ابي عبد الله محمد الطيب ابن الشيخ ابي العباس احمد ابن الشيخ الفاضل ابي الحسن علي بن سلامة .

نشأ هذا الفاضل في بيته النبويه بين يدي جده ، واعتنى بتمرينه وتدريبه ، وتعليمه وتهذيبه ، ثم قرأ على الشيخ العالم ابي عبد الله محمد الشاذلي بن المؤدب ، ولازمه ، وعلى شيخنا العلامة ابي اسحاق ابراهيم الرياحي ، وأجازه ، وعلى شيخنا ابي عبد الله محمد بن ملوكة ، وشيخنا ابي العباس احمد الابي ، وشيخنا الكاتب ابني عبد الله محمد المناعي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وله سند في « صحيح البخاري » عن شيخنا الاسلام ابي عبد الله محمد بيرم الثاني .

ولما بلغ رتبة التحصيل ، لمساعدة ذكائه الاصيل ، تصدر للتدريس قليلا ، ثم لازم شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وأخذ عنه فقه الاحكام والوثائق ، وهو الذي دربه لخطة القضاء ، وتقدم قاضيا بالمحلة ، ثم يباردو ، ثم الى خطة القضاء

(1) اسم لاحد شعوب القوقاز انظر Abazes في لاروس الكبير)

بالحاضرة ، ثم الى الفتوى ، وتقدم على المفتين ، فكان كاهية شيخنا الرئيس ، وغيرهما من الخطط العلمية ، كالخطبة في جامع سبحان الله ، وَخَطَبَ من انشائه ، وغيرها . وله مع المشير أبي العباس احمد باي صحبة وتقريب ، من ايام سفره معه بالمحلة . وكان عالما فقيها ، أدبيا ذكيا حافظا ، راش سهام الاحكام وبراهما ، وأجرى القواعد الشرعية مجراها ، حتى تَقَدَّمَ تَقَدَّمَ البازل ، لحمل أحكام النوازل ، وأجال في كل فن قداما ، وأورى زند الذكاء اقتداحا ، ما شئت من حفظ واطلاع ، وامتداد باع ، وعلو همة ، وكرم نفس .

وله حاشية على شرح الشيخ التاودي للتحفة ، لم تزل في مسودتها ، وتاريخ لدولة المشير نحا فيها منحى التاريخ الباشي ، لم يخرج عن مسودته ايضا ، ثم آنس أقرانه منه الترفع ، فأنفوا لذلك ، وذلك انه لما أقرأ « الشفاء » بالجامع الاعظم ، لم يستدع يوم الختم الا شيخنا ابا عبد الله محمد بن الخوجة ، وصاحبنا ابا عبد الله محمد بيرم ، وشيخنا ابا اسحاق ابراهيم الرياحي ، واجابه بعدم تيسر الحضور ، ولم يستدع بقية أهل المجلس ، ظنا منه انهم يعرفون اليوم والوقت ، وجاذب الصحبة يقودهم ، ولم يحضر يوم الختم غير شيخي الحنفية ، وحضر الباي ورجال دولته ، فتنغير من عدم حضورهم ، وتغير من الباي حيث لم يعاتبهم ، ورام التسليم في الخطة ، لولا رجال من أصحابه منعه .

ولما وقع المرض الوبائي سنة ست وستين ، اجتمع اهل المجلس ، في مأتم الشيخ الطيب ابن الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي ، فقال لهم بمحضر الشيخ : « يا اخواننا نحن منتسبون للعلم الشريف ، وأخوته مدعمة لآخوة الاسلام ، ويجمل بمن هذه نسبته أن يعفو ويصفح ، وأشهدكم أنني سأحمت كل واحد منكم » ، وطلب منهم المسامحة ، وتسامح جميعهم ، غفر الله لهم ، وعُدَّت من حسناته الدالة على سلامة صدره ، وتحدث الناس بها ، وتصافحوا والشيخ معهم ، ومن عفا واصلح فأجره على الله .

ولم يزل رحمه الله على رفعته في ارتقاء ، الى ان ليبي الى دار البقاء ، والآخرة خير وابقى ، يوم الخميس الحادي عشر (1) من شعبان سنة 1266 ست وستين ومائتين

(1) هو 9 حسب التقويم

والف (20 جوان 1850 م.) ، وهو بجبل سيدي أبي سعيد ، وأوصى ان يدفن في جوار الولي العارف بالله سيدي عبد العزيز ، نفعه الله بما اختاره من الجوار ، وحشره مع الأبرار .

[297 - حسين البارودي الثاني]

ابو عبد الله الشيخ حسين ابن المفتي ابي عبد الله محمد
ابن المفتي ابي عبد الله الحاج حسين البارودي

نشأ هذا الشيخ في بيت مجده ، وأخذ العلم عن عمه ، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد الفاسي ، ولازمه وانتفع به ، كآل بيته ، وحصل في الفقه الحنفي ملكة ، وله باع في علوم القرآن .

وتقدم لخطة الفتوى ، فباشرها بدين ، ومراقبة لله ، واتياد الى الحق .
حضرته يوما بالمجلس الشرعي بباردو ، وقد حكم بين خصمين في تونس ،
وراجعه بعض الفقهاء فبين مستنده ، ووجه غلظه ، وأشهد المجلس انه رجع .
وكان قاضيا وجيها ، ماجدا خيرا ، عفيفا متواضعا ، ذا حسب توارثه الكابري
عن الكابري ، ووجاهة تأصلت من بطون المحارب وظهر المنابر .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في خامس رمضان من سنة 1266 ست وستين ومائتين
والف (الاثنين 15 جويلية 1850 م.) ، وابعب ابنا هو الآن في الخطط العلمية ، من
تدريس وامامة ، ثم تقدم لخطة القضاء بالمذهب الحنفي ، كثر الله تعالى من أمثاله .

[298 - علي التيمي]

الشيخ ابو الحسن علي بن محمد التيمي

هذا الرجل من بيت نبيه ، مشهور في خدمة الدولة ، ايام الباشا علي باي بن محمد ،
نال جدهم الخطوة والتقديم ، وقاد الجنود الى الكاف ، وتقدم له ذكر في هذا
الموضوع ، وحفيده صاحب الترجمة نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن شيخ الشيوخ
ابي محمد سيدي حسن الشريف وغيره ، وحصل ملكة حسنة ، لا سيما في الفرائض
والتوثيق ، وتصلر للشهادة معلودا من أعيان الدول ، ودرس بالجامع الاعظم مشهورا
بقوة العارضة ، وحدة الفكر والتحصيل ، وناب الخطة الشرعية بجبل المنار .

وكان فاضلا وجيها ، خيرا عفيفا ، نقي العرض .
ولم يزل على احترامه الى ان توفي سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (50) —
1849 م .) ، واعقب ابنا اقتفى سنن أبيه ، وهو الآن من اعيان العلول .

[299 — مصطفى البلهوان]

أبو النخبة مصطفى البلهوان التركي

هذا الرجل من أفراد الجند بالحاضرة ، وانتمى للوزير ابي الربيع سليمان كاهية الثاني ، وترقى بنجاته ، الى أن صار باش حانبه ، ثم صار آغة بيت المال ، وهي من الخطط التي يترقى منها الى منصب الداي في بعض الاحوال ، وسافر لاسلامبول في بعض الأغراض ، واصطُحبت معه في سفرة من اسفاره لها ، وتقدم له ذكر في هذا المجموع .

وكان محمود السيرة ، طيب السريرة ، وجيها خيرا عفيفا ، ذا همة ، كريم النفس ، ذا صدقات سرية ، ظهرت بعد موته ، لين العريكة ، متواضعا حسن الخلق ، شجاعا ذا عبادة واوراد ، وله آثار بجبل المنار كالسييل ، والبئر وغيرهما .
ولم يزل طيب الاثر ، حميد الخبر الى ان توفي سنة 1266 ست وستين ومائتين والـف (50) — 1849 م.) رحمه الله تعالى ، آمين .

[300 — محمود باكير]

الامام ابو الثناء محمود ابن الامام الشيخ حمودة باكير

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، وقرأ عليه وعلى أعلام منهم شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد يريم الثاني وغيره ، وحصل وتفقه ، ودرس بالجامع الاعظم ، واختصه الباي أبو محمد حمودة باشا اماما يصلي به الخمس ، بمسجد بيت الباشا ، وكان مقربا أثيرا عنده ، وعند اخيه ، ثم صرف عن هذه الامامة ، وبقي يدرس بالجامع ، اماما بجامع القصر ، ثم ألزم لخطه القضاء ، فكان من قضاة العدل .

وكان عالماً فقيهاً ، متفنناً حافظاً ، فصيحاً شاعراً ، عزيز النفس ، أبي الضمير ، كريم الاخلاق ، حسن البداهة ، حاضر الجواب ، عزيز المحاضرة .
ولم يزل على وجاهته ونباهته ، الى آخر ساعته ، في أوائل ربيع الاول سنة 1267 سبع وستين ومائتين والـف (اوائل جانفي 1851 م) .

[301 — محمد الخضار]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد الخضار
نشأ هذا السيد في طلب العلم ، فأخذ عن شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكة ، ثم أخذ عن شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، والشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، والشيخ أبي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم .
وحصل في زمن قليل ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، فأفاد وأجاد ، ثم تقدم لخطبة القضاء بالمحلة ، ونقله المشير أبو العباس أحمد باي منها الى الفتوى بالحاضرة ، فقام بأعبائها ، وكان من نجوم سمائها ، مثبتاً فيها ، بعيداً عما ينافيها . وتولى غيرها من الخطط العلمية .

وكان عالماً فقيهاً ، ذكياً خيراً عفيفاً ، كريم النفس ، غراً كريماً ، شاعراً بليغاً ، وله في الرثاء المتنازع الغربية ، خطيباً من انشائه ، فصيحاً جهوري الصوت ، وله في إلقاء المواعظ أسلوب ، تخشع به القلوب ، بعيداً عن التصنع ، شبيهاً بالزهاد ، حسن المحاضرة ، حلو الدعاية ، ما نقصه ذلك ولا عابه ، ما شئت من ايناس يسرى في الارواح مسرى الراح ، ومذاكرة أشهى من العذب القراح .

ولم يزل محمود السيرة ، طيب السريرة ، الى ان توفاه الله في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة 1267 سبع وستين ومائتين والـف (الاربعاء 23 سبتمبر 1851 م) .

[302 — سليمان المحجوب]

الشيخ ابو الربيع سليمان ابن الشيخ القاضي ابي حفص عمر
ابن العلامة ابي الفضل قاسم المحجوب

نشأ هذا الشريف بين يدي أبيه ، واعتنى به ، واخذ عنه جلّ الفنون ، وأخذ عن عمه شيخ الفتوى ابي عبد الله محمد المحجوب ، وعن شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف وغيرهم .

وحصل الملكة العلمية ، وتصدر للتوثيق ، ونحا فيه منحى والده ، ثم استكتبه ابو النخبة مصطفى باي ، وسافر معه في المحال ، ثم انتقل لديوان الانشاء ، وله فيه تقدم وباع ، أخذ ذلك عن والده ، اذ كان هو المشار اليه في ذلك العصر ، وله عند مخدومه مكانة ، وصار كاهية رئيس الكتبة .

أرهبه دين في آخره ، سجن لاجله في بيت الضياف بباردو ، ثم انفصل من قلم الانشاء ، وبقي حليف داره ، متجملا على إعساره ، ثم تقدم لخطة الفتوى منخرطا في سلك المفتين .

وكان فقيها كاتباً ، ناثراً خيراً ، عفيفاً وجيهاً ، ماجداً ذا وقار ، الى ان توفي سنة 1267 سبع وستين ومائتين والـف (51 — 1850 م.) .

[303 — حميدة عزيز]

ابو العباس احمد ويدعى حميدة عزيز الصفاقسي

اصله من صفاقس ، وهو ممن تقدم بنفسه في بني جنسه ، وانتمى الى القايد أبي الثناء محمود الجلولي ، وكان ثقته ، ثم أقبل على الفلاحة والتجارة ، وسكن بلد سليمان ، وداره بها معلومة ، ثم سكن تونس ، وتقرب في خدمة الدولة ، موثوقاً بأمانته ، في كل ما يرجع للامانة .

وكان فطنا ذكياً ، نقي العرض ، محافظاً على مروءته .

وقربه المشير أبو العباس أحمد باي ، واستكفى بأمانته في المهمات ، اذ كان خيراً يوثر عنه الجميل ، ثم لبى الى فريضة الحج ، وعند سفره لما اتى مودعا للمشير بكى ، وقال له : « ها أنا قادم الى الله ، ولم اترك في الدنيا غير ابني محمود ، وهو مكفول نظرك » ، فقال له المشير : « ادع لنا ، ومحمود الآن ابني » ، وسافر مع صهره العلامة أبي عبد الله محمد النيفر ، وتوفاه الله في عبادة ، وعَدَّأ مثاله فيها بأن يوكل ملكاً يحج عنه في كل سنة ، كما ورد ، رحمه الله .

وكانت وفاته في ذي القعدة سنة 1267 سبع وستين ومائتين والـف (أوت — سبتمبر 1851 م.) ، واعقب ابناً اقتضى نهج أبيه وزاد ، وهو الآن في الخطط والاعمال من الافراد ، محمود السيرة ، الدالة على طيب السريرة .

[304 - على الرياحي]

أبو الحسن علي ابن شيخنا العلامة ابي اسحاق ابراهيم الرياحي

هذا الفاضل نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أبيه وأخيه وغيرهما ، واعتنى به الشيخ والده اعظم اعتناء ، ورآه بعين بصيرته من نجباء الابناء ، فكان كما رأى ، والله عند ظن عبده به ، وطوع صعاب المسائل بقريحته الوقادة ، فائته طائفة منقادة ، وحصل الفنون ، وأحرز جوهرها المكنون ، وتقدم بعقله ونقله لافادة الطالبين ، واخذ الراية باليمين ، وزان على صغر سنه سلك المدرسين .

وكان خيرا تقيا ، عفيفا نقيا ، فقيها عالما ، نحريرا اديبا شاعرا ، حسن الاخلاق ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، نقى العرض ، حسن المحاضرة ، ما شئت من آداب تسحر الالباب ، وفكر يحل الصعاب .

ولم يزل على حاله ، يتدرج في مرعاة كماله ، الى ان اقتطفت المنية نورَه من غصن شبابه ، وعظمت الرزية بمصابه ، في محرم سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والـ (اكتوبر - نوفمبر 1851) ، ودفن بزواية أبيه ، واعقب ابنا هو الآن من أعيان الكتاب ، واهل الآداب .

[305 - علي الحداد]

ابو الحسن علي بن احمد بن حسونة الحداد

هذا الماجد من أعيان بيوت الاندلس ، وتقدم ذكر أبيه ، ولد سنة 1209 تسع ومائتين والـ (95 - 1794 م) ، وتربى في بيت مجده ، في عز أبيه وجدته ، وأقبل على قراءة العلم ، فأخذ عن الشيخ الطاهر ، والشيخ ابراهيم ، والشيخ ابي العباس احمد الأبي ، وأعيان من العلماء ، وحصل ملكة علمية تحسن بها المشاركة ، ثم انفصل عن القراءة ، ثم ضمه الباشا ابو عبد الله حسين باي الى الكتابة في قلم الانشاء ، على كلال في قريحته ، ونسيان لما حصله في شببته ، ومع ذلك كان متوسطا في الصناعة .

وسافر مع أبي عبد الله محمد باي في المحال .

وكان كريم النفس ، عالي الهممة ، فصيح اللسان ، نير العقل ، حسن البداهة ، غريب المنازع ، اديبا نقي العرض ، حسن المحاضرة ، ما شئت من محادثة ألطف من نسيم الفجر ، وألذّ من الوصل بعد الهجر ، وله وجاهة عند المشير ابي العباس احمد باي ولم يزل وجيها مكرما ، الى ان توفي يوم الجمعة سادس محرم (1) من سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (31 اكتوبر 1851 م) .

[306 - احمد آغة]

ابو العباس احمد آغة التركي

اصله من جند طرابلس ، ورسم في الجند التونسي وترقى بالنصح والوفاء الى ان صار باش حانبة . وهو الذي حل ثورة الجند على الباشا ابي الثناء محمود باي ، وحقق بفعله دماء من المسلمين ، باعانة الحاج حميدة الغماد ، شيخ المدينة كما تقدم في الباب الثالث ، وبذلك وغيره صار محببا لاهل الحاضرة .

وسقّر الى الدولة العلية العثمانية غير مرة ، وقدمه المشير أبو العباس أحمد باي دايا ، فاعطى الخطة حقها ، وضبط البلاد ، وخافه اهل الشر والفساد ، وتأنس به اهل الخير والعافية . وكان خيرا وجيها ، نزيها شجاعا ، حسن المروءة ، كريم النفس ، ذا وقار ، عالما بمنازل الناس ، يتدب اصحاب المروءات الى الصلح .

ولم يزل معظما محببا الى ان توفي عن سبع وتسعين سنة في 25 الخامس والعشرين من رجب سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (السبت 15 ماي 1852 م) ، ودفن بمقبرة الاشراف بيطحاء القصبية ، التي جدد بناءها المشير أحمد باي ، كأنما بناها له ، وله عقب يحيي الاسم ، ويضرب في النجابة بسهم .

[307 - حميدة بن دالية الرزقي]

ابو العباس حميدة بن علي بن عزوز بن عمارة بن دالية الرزقي

هذا السري من سراة بني رزق ، في صميم دريد ، وجده عمارة بن دالية ، كان من خواص البايعين بن علي ، معروف المنزلة ، شهد معه الحروب ، ومات في بعض

(1) هو 5 حسب النفوس .

حروبه ، كما تقدم في العقد الثاني من هذا الكتاب ، وحزن مخدومه لموته ، وله ذكر في « التاريخ الباشي » .

ولم تزل رئاسة بني رزق في بنيه ، وحفيده هذا نشأ في ظل الدولة واحسانها ، مغذى بلبانها ، وحملته الهمة العربية ، والنفس الابية ، على تعاطي المجد المكتسب ، ولم يقف عند مجد النسب ، فأقبل على العلم ، وقرأ بزواية الشيخ سيدي احمد التليلي بفريانة شيئاً من النحو والعقائد ، وحصل في الفقه ملكة تحسن بها المحاضرة ، وتمكن بها المناظرة ، يحسن بها ان يكون قاضياً في غير الحواضر ، يتقل من « مختصر » ابن الحاجب ، وشرحه لابن راشد القفصي ، ثابت النقل ، مستحضراً ، وأقرأ بناجعة قومه ، فحصل رفعة زادته سمعة ، ثم تولى رئاستهم ، فأحسن سياستهم ، ثم رقاہ المشير ابو العباس احمد باي في مدارج الاعمال ، الى ولاية نواجع دريد بتمامهم ، وجعل أخاه ابا الفضل عباس بن علي في رئاسة بني رزق ، وقربه المشير ، وجالسه واشركه في بعض الامور مع رجال دولته في الرأي ، وله رأي سديد ، وباع في الفكر مديد .

ولم يزل يرقبه الى ان صار في رتبة امير آلاي من الخطط العسكرية ، ويصغي لرأيه في أحوال القبائل من العربان .

وكان رحمه الله نزيه النفس ، عالي الهمة ، واسع الصدر ، أصيل الرأي ، سريع الفهم ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، زان سؤدده بحملى الكلى ، وكسب المعلم ، والاعانة على نوائب الدهر ، مثبتاً في الامور ، لم يتزحزح برياح القرب عن جادة الاستقامة ، لا يستعمل السجية الدريدية الا في موضعها ، وعند لزومها في عاداتهم ، صادق اللهجة ، نصحوا عارفاً بمقتضى الحال ، ممتع المحاضرة بفن التاريخ ، آية الله في الوفاء ، ما شئت من أخلاق العرب ، وظرف اهل الادب .

ولم يزل على حاله ، يجر رداء كماله ، الى ان مرض المشير أبو العباس احمد باي بالمحمدية ، وهو معنا ، فبكى وقال : « اللهم لا تُحَيِّنِي بعده » ، واشتد اسفه وحزنه ، فتغير مزاجه ، واصيب بدمل من غليان الدم ، والباي في مرضه يسأل عنه ، ويبعث له العوَاد ، وتقبل الله دعاءه ، فتوفي ، ومخدومه في فراش مرضه ، سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والى 52 (1851 م) ، وامر الوزير ابو النخبة مصطفى خزنه دار بكتمان موته عن الباي ، خشية ان يتغير مزاجه ، وما علم بموته الا بعد ايام ، ودفن

بزواية شيخ العصر وبركة هذا المصر ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وكان من تلاميذه في الطريقة التجانية ، وصرف مبلغا من ماله على بناء هذه الزاوية ، واعقب ابنا اقتفوا أثر أبيهم ، وكان يستنجب ابن اخيه ، ويوصي به اصحابه ، وهو ابو اسحاق ابراهيم الملقب بالرياحي ، وقام مقامه في ولاية دريد .

[308 - محمد ثابت]

ابو عبد الله محمد ثابت

نشأ هذا الوجيه في بيته النبيه ، وحفظ القرآن ، وكان كسبه من التجارة في الشاشية ، وتقدم لخطه يازجي المتجر ، وهي كتابة مجلس الحكم المتجري ، وصاحبها من العشرة الحكام ، ولها اعتبار يومئذ في الحاضرة ، ثم قدمه الباي شيخا بربض باب المنارة ، وقدم اكبر بنيه ابا حفص عمر لكتابة المتجر ، وثقل على صاحب الترجمة حمل اعباء هذه المشيخة ، لكن الله أعانه ، فاعطى حق الرئاسة ، بما اودع الله فيه من السياسة ، ثم سلم فيها لابنه ابي عبد الله محمد ، فنسج على منوال ابيه ، وثقته ومريه ، وكان لهذا الفاضل حجة في طريقة الولي العارف بالله سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ، وجلى في ميدان هذه الطريقة ، وشرب من أسرارها رحيقه ، والاعمال بالنيات ، وظهرت بركتها للعيان فيه ، وفي اعقابه وبنيه ، وذلك انه انقطع الى الله بمراجعة القرآن ، فصار يتلوه عن ظهر قلب ، شاهدته يتلو في جامع الزيتونة ، وقسم أوقاته بين ظل المسجد وركن الدار ، عاكفا على التلاوة والاذكار ، سالكا نهج الاتقياء الابرار ، مترودا الى تلك الدار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ثم حن لأداء فريضة الحج ، فتوفي في تلك العبادة ، ولحق بالرفيق الاعلى ، وجاء خيره لتونس سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (52 - 1851 م) .

وكان وجيها فاضلا ، خيرا ، حيا ، نقي العرض حسن الاخلاق ، طيب الاعراق طلق المحيا ، فقيه النفس ، عالي الهمة ، محببا الى الناس ، وحبهم موصول بحب الله ، فتروا التقوى ، وحن الى المأوى ، رحمه الله .

واكبر بنيه الآن على قدمه ، في جميع ما تقدم ، والولد نسخة من ابيه ، وحفيده معدود في الاعيان من أهل الادب والشان ، اكثر الله تعالى في الامة من أمثالهم .

[309 - محمد عباس]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن محمد بن محمد عباس

نشأ هذا الفاضل الماجد في صون وعفاف ، وتخلق بحميد الاوصاف ، على سنن آل بيته ، وولى وجهه شطر مسجد العلم ، وأخذ عن أعلام كشيخنا ابي العباس احمد الأبّي ، وشيخ الجماعة ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخنا ابي عبد الله محمد ابن ملوكة ، وشيخنا ابي العباس أحمد بن الخوجه ، وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم ، فاستفاد وحصل ، وأنفق مما تحصل ، وعد من أعيان المذهب الحنفي ، وتقدم اماما بجامع القصبه ، وتجرد للخلوة والعبادة ، واختارها على الاكثار من الافادة .

يقال انه يتصرف في الجان ، وقصده الناس للتبرك به في اغراضهم ، ومداواة امراضهم ، والاعمال بالنية .

ثم قدمه المشير ابو العباس احمد باي الى خطة الفتوى ، فزانه بعلمه ودينه وتواضعه ، مثبتا في نقل الفقه من مواضعه ، وأقرأ وهو في الخطة جانبا من « تفسير القاضي البيضاوي » .

وكان عالما فقيها خيرا عفيفا ، تقيا تقيا ، مراقبا لله مراقبة الابرار ، متواضعا حيا ، مقبلا على شأنه ، نزيه النفس عن الفضول ، سليم الصدر ، يعفو ويصفح ، محبا الى الناس . ولم يزل على حاله ، متجملا بحسن خلاله ، الى حين انتقاله ، في جمادى الثانية من سنة 1269 تسع وستين ومائتين والفرس (مارس - افريل 1853 م.) واعقب ابنا جرى على سنن أبيه وزانه ، وهو الآن امام بجامع القصبه .

[310 - عبد الوهاب الشارني]

ابو محمد عبد الوهاب بن يوسف الشارني

من بيوت قبيلة شارن ، ونشأ في جند الفرسان من المخازنية ، وتدرج في خطتها . بما فيه من النجابة والسياسة .

وكان الباي أبو محمد حموده باشا يميزه من بين أقرانه ، ويستكفي به في البعوث ، ويقدمه بين يديه ان غاب باش حانبه . وبعثه مع الميرة والمال الى سليمان كاهية الاول بمحلة قسنطينة .

وله اختصاص بالباشا ابي عبد الله حسين باي ، من ايام الشباب ، ولما آلت الدولة الى ابي النور عثمان باي ، واستبد به الحاج احمد بن عمار في تلك الايام القليلة ، وكان يغار من نجابته ، تسبب في عزله ، ومنعوه من الدخول الى باردو ، وكان يأتي الى الباي حسين تحت جناح الاختفاء .

ولما كانت الثورة على الباي عثمان تقلد سلاحه ، وأتى باردو ، وقال للباي حسين « اغتتم الفرصة باللاحاق الى حلق الوادي » ، وركب أمامه ، وكان ما كان مما هو مقرر في الباب الثاني .

وقدم معه من حلق الوادي بخطة باش حانبة ، ونال معه تقريبا وحظوة ، لم تؤثر فيها صولة الوزير شاكير صاحب الطابع ، وسالم كل منهما صاحبه . وكان فصيحاً فيما يقصد منه ، حسن البداهة ، متضلعا بأحوال القبائل والعربان ، لين الجانب ، متواضعا متوددا الى الناس ، واسع الخلق ، يعرف للناس أقدارهم . ولم يزل معظما عند الملوك ورجال الدولة ، وأصيب في آخر عمره بذهاب بصره ، ومع ذلك يتجلد للخدمة ، الى ان توفي في آخر جمادى الثانية سنة 1269 تسع وستين ومائتين والالف (أوائل افريل 1853 م) .

[311 — حسن عامل المنستير]

ابو محمد حسن عامل المنستير

هو من ممالك أبي النخبة مصطفى باي ، من اعيان ساقس ، أتى لاجله شقف حربي انقليز ، لانه بلغ أهله أنه أكره على الاسلام ، ولما أتى رئيس الشقف مع القنصل ، وطلبوا الخلوة به ، أجابهم بانه رغب في الاسلام وأسلم طوعا ، وقال له : « هل لك في الرجوع الى بلدك ، لان اهلك في انتظارك ، ولا تخش شيئا » ، فامتنع كل الامتناع ، وبقي بالصرايا ، فقرأ ما تيسر من القرآن ، وقدمه المشير ابو العباس الى الخطط النبوية ،

كالمستير و صفاقس ، ورحل الى محل أعماله ، وساس الناس برفق ولين ، واحتفاظ في الجباية ، مع عدل في خلاصها .

وابتنى علوا بلدية الصغير حمودة ، يسكنه اذا أتى الحاضرة ، وتزوج وظهرت منه مروءة مع جيرانه ، دلت على حسن اخلاق ، يهاديهم بثمار عمله ، وينظف الحومة على دوابه ، ويحمل منهم الكتل ، ويعين على النوائب . رايت كثيرا منهم يبكي يوم موته .

وكان خيرا وجيها ، ذا مروءة ، عزيز النفس مهيبا ، وقور المجلس مع تواضع ، ناقص الفصاحة ، واسع الصدر ، نقي العرض ، كريم النفس ، متوسط الفكر ، ندي الكف ، يميل بطبعه الى الخير .

ولم يزل على حاله الى ان مرض بصفاقس ، وأتي به ، فتوفي قرب هرقله في أواخر سنة 1269 تسع وستين ومائتين والـف (ذو الحجة — سبتمبر 1853 م.) ، ودفن بالجلالز رحمه الله تعالى .

[312 — محمد بن حميدة بن عياد]

ابو عبد الله محمد بن حميدة بن قاسم بن عياد

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة ، متفيا ظلالها ، وبيتهم في خدمة الدولة معروف ، وقرأ في صغره شيئا من مبادئ النحو والتاريخ ، بقي فيه أثره ، وتدرج في الخطط كجربة ، وفيها ولد أولاده ، وسوسة ، والاعراض ، وغيرها .

وتوجه لباريس سفيرا عن الباشا أبي عبد الله حسين باي ، بعد أخذ الجزائر . وتوجه لها ايضا سفيرا عن المشير أبي العباس احمد باي ، وكان يستوثق به في كل مجال ، اذ هو من أفراد الرجال .

واستكفى به الوزير شاكير صاحب الطابع ، واعتمد رأيه في أموره ، وبرأيه تقدم ، وهو مع ذلك يعظم الوزير ، ويقف بين يديه موقف الخضوع ، ويعجب من حسن تصرفه . حضرت الوزير يوما في بيت خدمته ، وقد اتاه قنصل الفرنسي ، الكولير دي لسبس ، وكان يحسن النطق بالعربية ، في نازلة بالساحل ، فنادى محمد

ابن عياد ، وسأله فأجابه بان « ذلك كان قبل ان يمن الله علينا بوزارتك ، حتى عمرت بلادنا » . وانفصلت النازلة على غير شهوة القنصل ، فودع الوزير ، وخرج وانتظرتني في صحن البرج . ولما خرجت أخذ بيدي وقال لي : « انتم المسلمين تبالغون في الانكار علينا في شأن الصليب ، وتقولون ينجرون خشبة بأيديهم ثم يعبدونها ، وان كان الامر بخلاف ذلك ، فاننا لا نعبد الا الله ، وتلك الخشبة مثال نتذكر به ، ولكن انتم مثلنا » ، فسألته عن وجه الشبه ، فقال : « وزيركم هذا اشترى كالسائمة من جباية أموالكم ، ورببتموه ، وعلمتموه لغتكم وعاداتكم ، حتى وصل محمد بن عياد ، وهو من رجال دولتكم ، وأعيان بلادكم ، أن يقول له : « من الله علينا بك ، فعمرت بلادنا ، واني على يقين بأن الوزير لا يتكلم الا بلسان ابن عياد ، لكن له العذر حيث لم يظهر شينٌ ببلاده ، بانه ليس فيها من ترجى منه مصلحتها » ، ولما أردت الجواب ، قال لي : « لا أسمع جوابك ، لانك ان قلت الحق تخشى على نفسك ، وان قلت غيره لا أقبله منك » . وودعني وانصرف .

ثم ان هذا الوزير تنكر لابن عياد ، فلاذ منه بجوار الباشا ابي عبد الله حسين باي . [واحكم معه وصلة سرية ، وثق بها ولم يُظهر للوزير انه فهم منه التنكر ، ومرض الباي] (1) واشتغل الناس بمرضه .

وكان هذا الرجل من أفراد الدنيا ، وكل فرد على حسب مكانه وزمانه ، آية الله في ثقوب الفكر واتساع دائرة العقل والدهاء ، طمح الى الغايات فتالها ، وسابق رجالها ، فصيح اللسان ، محجاجا بقوة البرهان ، كريم النفس ، ندي الكف ، حسن اللقاء ، غيوراً على أهل جرية ، يرى صغيرهم ابنا وكبيرهم أنخا ، يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم ، معاوناً لهم على نوائب الدهر ، صعب المقادة حتى مع بنيه ، لجوجاً ولو في ضرره ، يعين أغراضه بماله ، وهو اول من زاد في التزام دار الجلد ، من ثلاثمائة الف الى سبعمائة الف ، ليكيد دار ابن الحاج ، ومع ذلك يغلب خيره على شره ، وامتحن بموت اكبر بنيه ، وأبرهم به ، وهو أبو زيد عبد الرحمان ، وبمفارقة ابنه أبي الشناء محمود ، بعد وحشة وخصام ، تقدم تفصيل ذلك في الباب السادس ، ولم يجد معينا لهرمه وشيبته ، الا حفيده الاكبر ابا العباس أحمد ابن ابنه الابن المتقدم ، وأنزله في

(1) الزيادة عن ق .

وصيته منزلة أبيه في الارث ، لانه عانى معه مشقة هروبه لدار الانقليز ، ودفع عليه الديون ، وبذل ماله المصون ، وغنم منه الدعاء له ولبنيه ، والله القريب يجيب دعوة الداعي ، ولا تضيع عنده المساعي ، وظهر مصداق ذلك في الوجود .

ثم طلق الدنيا بتاتا ، وتحقق غرورها ، وتقلبها بالعيان ، ولكل شيء اذا تم نقصان ، فلازم كسر بيته على صورة الحكماء والزهاد ، واستوحش حتى من الاهل والاولاد ، ونقض يده من الدنيا أبلغ نقض ، وقابلها بالاحتقار والرفض ، بعد ان شغل ميادينها بالركض ، في الابرام والنقض ، الى ان صار الى عفو الله ورحمته ، بمرض الكبر ، وهو ثابت العقل ينطق بالشهادة ، ويقرأ سورة الاخلاص ، سمعت ذلك من الفقيه الكاتب ابي محمد عبد القادرين غشام ، وقد طلبه ليشهد احتضاره ، ويلقنه ، وكان ذلك سنة 1269 تسع وستين ومائتين والف (53 - 1852 م.) ، وأعقب احفادا من الاعيان .

[313 - محمد الفراتي]

ابو عبد الله محمد الفراتي الصفاقسي

نشأ هذا الشيخ في بيت مجده ، وأخذ العلم عن أعيان بلده ، كالشيخ الشرفي ، والشيخ خليف ، وغيرهما .

وله براعة في علوم القراءات ، وأكثر دروسه في التفسير والحديث ، وتقدم خطيبا ، وتقدم لخطبة القضاء ، وصرف عنها ، واعتزل الناس ، واقبل على كتب القوم . وكان فقيها خيرا ، حسن الاخلاق . توفي أواسط ربيع الثاني سنة 1269 تسع وستين ومائتين والف (أواخر جانفي 1853 م.) ، رحمه الله تعالى .

[314 - محمد الريفي]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ العالم
محمد ابن العالم الفاضل ابي عبد الله محمد الريفي

هذا الفاضل من بيت علم ومجد ، من أعيان بيوت سوسة ، نشأ بين يدي أبيه ، واستفاد منه ومن غيره من علماء سوسة ، كالشيخ الفاضل أبي الحسن علي السقا .

وتدرج في المناصب العلمية ببلده ، من تدريس وتوثيق وقضاء وفتوى ، ثم صرف عن القضاء برهة من الزمن ، لمنافسة علمية وقعت بينه وبين عالم البلد ومفتيها الشيخ ابي محمد حسن الهدية ، كادت أن تعطل بها الاحكام الشرعية ، فأمر امير العصر وهو يومئذ ابو الثناء محمود باشا المجلس الشرعي ان يكتب لهما رسالة في اصلاح البيّن ، فصدرت لهما من انشاء عالم العصر القاضي ابي الفداء الشيخ سيدي اسماعيل التميمي ، نصها : « وبعد ، فان المنافسة التي وقعت بينكم قد تفاقم أمرها ، وعظم على الناس ضررها ، وعم اهل عملكم شررها ، فتعطل بينكم الانصاف ، وكثر بسبب ذلك الاعتساف ، وصار من يطلب حقه متطلباً لما هو أعز من الابلق العقوق ، وامنع من يبض الانوق . ولقد كنا عاجلناها من قبل هذا بصلح ، فلم ينجح ، فأملناكم عسى ان تراجعوا انفسكم فلم ينفع ، وما ذاك الا لصغوكم لسامسة الفتن ، وأهل الوشاية ، وعدم احترامكم من عقارب السعاية ، حتى ابغوكم خبالاً ، وضرب الناس بكم أمشالاً ، بينما نحن ندبر في حسم ذلك ، واغلاق أبواب تلك المسالك ، باقامة ثالث يكون ناصرًا للشرعية ، اذ فجأنا امر هذه الواقعة الاخيرة الشنيعة ، فتبين لولي النعم ، ومنصف المظلوم ممن ظلم ، سدد الله احواله ، وبلغه من نصر دعوة الاسلام آماله ، بعد ان تحقق امرها ، وعرف عجزها وبجرها ، ان الخرق اتسع ، وان السكوت عن ذلك لا يسع ، اذ قد انقسمتم طائفتين ، وتفرقت عدولكم شعبتين ، وجاوز الحزام الطيبين ، وصارت الخطتان في المعنى شاغرتين ، وتعرس تمييز الحق من ضده لعدم قبول كل وطائفته ، على صاحبه وشيعته ، فاتبع (1) الطريق الاقوم ، وحاد عما يفضي الى التحكم ، وتوجهت همته الزكية ، وفكرته القلمية ، الى حسم هذه القضية ، باقامة غيركم للاحكام الشرعية ، اداء بما يجب عليه من اقامة المراسم الدينية ، قائلًا : « ان من لا ينقاد اليها ، كيف يؤمن عليها ؟ أم كيف يتيسر له إجراؤها في مجاريها ؟ » ودبر — أيده الله — في ذلك فأصاب ، لولا ان الله تعالى تدارككم بمفاوضة مع جماعتنا وقعت ، وشفاعات منهم بعد التسي والتليا قبلت ، فانتنى عما همّ به عزمه ، وغلبه — والحمد لله — حلمه ، فاختر ايسر الطريقتين ، لعل الله يصلح بين الفريقين ، فتقدم لكم بالانذار ، مبالغة في الاعذار ، فأمركم على لساننا أوامر يساعدها الشرع ، ويوافقها الطبع ، منها ان تلتزموا ان لا تعودوا

(1) اي الامير

لما نهيتهم عنه ، وان يقوم كل بخطته ، ويعرف ما وُلِّي عليه ، فلا يتجاوز ذلك ، ولا يتتري احدكم على ما في ولاية الآخر ، وان تجنبوا الخلاف المذموم ، الذي لا سبب له الا اتباع الهوى ، فاذا اختلفتم في شيء فردوه الى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، بمراجعة مواد الاحكام ، فان اهتديتم في ذلك والا فاعرضوه علينا ، عساكم ان تجدوا جوابه بنعمة الله لدينا ، وان تلتزموا حضور مجلس يوم الخميس على الوجه القويم ، ولتعطوا المجلس ما يستحقه من التعظيم ، فلا يباشر أحدكم صاحبه ، الا بما يقتضيه مقامه ويلائم منصبه ، وأن تصرفوا الوشاة عن أبوابكم ، وتحترسوا من عقارب السعاية حوزة اعتباركم ، الى غير ذلك من الصفات المناسبة لمقامكم ، فالله الله في أنفسكم بادروا علاجها ، وأصلحوا مزاجها ، بتقوى الله واصلاح ذات البين ، ومقابلة تلك الاوامر المطاعة ، بالسمع لها والطاعة ، فان رجعتم الى الحقيقة ، واستقمتم على الطريقة ، فلکم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، والا فربما يسبق السيف العنذل ، ويقع على الوجه الشنيع البشيع العزل ، فلا شفاعة شافع ، ولا يصغي اليه سامع ، ويعود الامر الى ما كان ، وما شاء الله كان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكتب في ربيع الانور سنة 1233 (جانفي — فيفري 1818 م) .

ولما لم تنفع تلك الرسالة ، صرف عن القضاء ، ثم وُلِّي الفتوى سنة 1238 ثمان وثلاثين (23 — 1822 م) ، ثم صار رئيس المجلس الشرعي في بلده ، سنة 1249 تسع واربعين (34 — 1833 م) .

وكان فاضلا فقيها ، حديد الفكر ، عالما بتطبيق النوازل ، واسرار التوثيق ، عالي الهمة ، صعب المقادة ، عزيز النفس ، شديد الاحتراس والاحتفاظ على عرضه ، موقرا معظما ، الى ان توفي عن سن عالية أواخر ربيع الاول من سنة 1270 سبعين ومائتين وalf (اواخر ديسمبر 1853 م) ، وله عقب يحيي اسمه ، ويحفظ رسمه .

[315 — احمد العثماني بو عتور]

ابو العباس احمد العثماني ابن الشيخ الاكث

ابي عبد الله محمد الطيب بو عتور

نشأ هذا الوجيه ، في بيت مجده بين يدي أبيه ، واشتغل بالعلم برهة من الزمان ، فحصل ما تميز به عن العامة ، واستكثب في ديوان الانشاء ، وكان بيده دفتر ديوان

المخازنية ، ودفتر ديوان زاوية ، فأتقن خدمته ، وان كان قاصرا في الانشاء ، معترفا بقصوره ، لا يأنف من السؤال .

وكان كريم النفس ، حسن الاخلاق ، ذا همة ومروءة ، وفيآ بالعهد ، جاريا في خلاله على سنن آله .

ولم يزل على الصراط السوي ، حافظا مجد بيته الاموي ، الى ان توفي أواخر ربيع الثاني سنة 1270 سبعين ومائتين والف (أواخر جانفي 1854 م.) ، وله عقب منظوم في سلك الكتاب .

[316 - فرحات الجلولي]

أبو المسرة فرحات بن أبي الثناء محمود بن بكار الجلولي .

ولد في ربيع الأول سنة 1213 (أوت - سبتمبر 1798 م.) ، ونشأ في خدمة الدولة على حدائة سنة ، مرؤوسا بأبيه ، وتقلب في الخطط والاعمال ، ونال الآمال ، وجبى الاموال . وتخوف من سطوة ابن عياد ففر مع اخيه أبي عبد الله حسونة للالطة ، واستقرا بها في أرغد عيش ، على بساط أمن ، ثم رجعا بواسطة قنصل الفرنسي الى مسقط الرأس ، ومعهد الاناس .

وكان وجيها غرا كريما ، سامي الهمة ، جميل الظاهر ، عربي السجية ، أعجوبة في الفروسية والرماية ، يغلب عليه الخير .

ولم يزل مرضي الخلال ، بين غنى وإقلال ، لم يتدنس عرضه على كل حال ، الى أن توفي في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة 1270 سبعين ومائتين والف (الجمعة 17 فيفري 1854 م.) ، وخلف اولادا نجباء ، في كفالة عمهم ، الذي هو الآن عماد بيتهم ، وكافل حبيهم ومحبيي ذكر ميتهم ، كثر الله من أمثاله .

[317 - علالة قايجي]

ابو الحسن علي ويدعى علالة بن محمد بن قايجي محمد التركي .

جد هذا الرجل من أعيان الجند ، وترقى الى ان صار باش حانبه ، وحفيده هذا ربيب الباشا أبي عبد الله حسين باي ، تربى في حجره مثل ابناء صلبه ، لمكانة أمه

عنده ، وزوجه من بنته ، وأسكنه بداره معه في باردو ، واعتنى بعمره ، كما يعتني
الاب ببناء صلبه ، وأجرى عليه الجراية كآله ، وملّكه الربع والعقار ، وكانت امه
لما ولدت من الباى ، قدمت ابنها هذا على إخوته ، اعتبارا لسنه ، وأغضى لها الباى عن
ذلك ، لمكانتها عنده .

ولما توفيت امه بقى ذلك التقدم في نفسه ، ولم ينتبه الى ان علاقة الوصلة انقطعت ،
ولم يطلب عملا ، ولا خطة في الخدمة ، اعتبارا لما دار في فكره من عدم التمييز بينه
وبين اخوته ، مع ما حصل له من التقدم في السن ، ونسي أن النسب لولد الصلب ، وكتب
في ختمه علي باى ، وانكر الباى عليه ذلك في نفسه ، وظهر في وجهه إعراضه عنه ،
فأساء القول فيه ، متجاهرا غير محاشٍ ، وبلغ الباى ذلك ، فزاد في الاعراض عنه ،
فصار يتقم على احوال الوزير شاكير ، وجاهره الوزير بالفرق بين الابن والريب .

ولما توفي الباى ، وتقدم شقيقه ابو النخبة مصطفى باشا ، والاه باكرام وميرة
ووصلة ، ولما قدم ابن اخيه للسفر بالمحال رأى في وجهه الانكار ، وتغافل عنه .

ولما تقدم المشير ابو العباس احمد باى امره بالتأخر عن اخوته في المواكب ،
فاحتملها على مضض ، وزال ما دار في نفسه ، وهب من نومته ، وتنبه من غفلته ، ولازم
السكنى بيستانه ، مقبلا على شانه ، مشتغلا بخويصة نفسه ، منحرفا في سلك بني جنسه ،
راجعا على ما انقدح في جلسه .

وكان خيرا عفيفا ، ذا وقار وسكينة ، ممن سلم الناس من لسانه ويده .

ولم ينزل على حاله ، في برود اجلاله ، الى ان توفي يوم الاربعاء الرابع
والعشرين (1) من صفر سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والى (15 نوفمبر 1854 م.) ،
بيستانه في المرسى ، ودفن من القعد بمقبرة الاشراف ، حنو ضريح سيدي عبد العزيز ،
وأعقب أولادا من جارية تزوجها بعد وفاة بنت الباى ، تلوح عليهم سيماء النجابة ، في
ظل هذه القرابة .

(1) هو 23 حسب التقويم

[318 - محمد الحداد]

ابو عبد الله محمد الحداد .

نشأ في مروعة وعفة ، وأخذ العلم عن أعيان كالشيخ سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهما . وحصل ملكة علمية مع ما في فطرته من الذكاء ، وتصدر للتوثيق ، وعد من مشاهير الموثقين ، ثم تقدم لخطبة الشهادة على الغابة . وكان وجيها فقيها ، حسن الاخلاق ، محمود السيرة ، ثاقب الفكر ، فصيح اللسان ، حسن المحاضرة ، لا سيما في أخبار هذه الحاضرة ، ومعرفة بيوتها وعاداتها ، محببا الى الناس ، لطيف الشمائل .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي في الرابع عشر من ذي القعدة سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والـ الف (الاحد 29 جويلية 1855 م) ، وأعقب ابنا زانوا قبره ، وأحيوا ذكره ، أكبرهم الآن في خطه ابيه ، كثر الله من امثالهم .

[319 - صالح الزكراوي]

ابو الفلاح صالح بن بلقاسم الزكراوي العوني .

أصل هذا الرجل من أعيان قبيلته ، وزاويتهم في أولاد عون معروفة ، خدم والده في فرسان الصبائية وصار من الشواش ، ولما علا سنه بقيت له جراية أمثاله العاجزين ، وابنه هذا ترقى في الخدمة الى ان صار كاهية الوجج التونسي في دولة أبي محمد حمودة باشا ، ثم صار باش حانبة أواخر شوال سنة 1249 تسع واربعين (أوائل مارس 1834 م) . وكان كريما ذا ولوع بالفلاحة ، مكشرا منها ، اتخذها عونا لقبيلته في المسابغ ، يسلفها لهم عند الغلاء ، ويقبلها منهم عند الرخاء ، وحاك على منواله في هذا الصنع رجل من أعيان هذه القبيلة ، وهو بلقاسم بن طاع الله ، وبذلك اكتسبا مزيد المحبة من قبيلتهما . وكان جديا ، سليم الصدر ، وجيها ، ملازما لاخلاق السداجة العربية ، لم تؤثر الحضارة في أخلاقه ، حسن اللقاء ، وفي العهد ، قريبا الى الخير ، سليم العرض ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والـ الف (جويلية - اوت 1855 م) . وأعقب ابنا جرى نحو ابيه فأعقب ابنا مغفلا ضيع قراث أبيه وجده . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

[320 - عبد الله الهدة]

أبو محمد عبد الله ابن الشيخ احمد ابن الشيخ محمد الهدة السوسي .

نشأ هذا الرجل في بيت مجده ، وقرأ شيئاً من العلم ، وتصدر للتوثيق بسوسة ، ثم تولى خطة الفتوى بها ، واستعان فيها بعمه العلامة أبي محمد حسن الهدة ، وتولى غيرها من الخطط العلمية .

وكان فقيها مشاركا موثقا ، كريم المحتد ، ذا وقار ، محافظا على ناموس الخطة ، توفي في ذي الحجة من سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والـف (أوت - سبتمبر 1855 م.) واعقب ابنا جرى على سنن الاعلام ، من علماء الاسلام .

[321 - خلف المحرزي]

أبو البركات خلف المحرزي .

نشأ هذا الخير في بيت مجده ، واقتفى سنن أبيه وجده ، وقرأ العلم فحصل على ملكة المشاركة ، وله معرفة بالتوثيق ، وتولى قضاء القريضة بيت المال ، وتقدم شيخا بزواية جده سيدي محرز بن خلف .

وكان خيرا عفيفا ، فاضلا تقيا ، نقي العرض ، غيرا والمؤمن غر كريم ، ذا مهابة ومروءة .

ولم يزل على اخلاقه ، الاستفادة من طيب أعراقه الى ان توفي سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والـف (55 - 1854 م.) ، واعقب ابنا جرى على قدمه ، وتولى خطة الشهادة في البحيرة ، وتوفي فأعقب ابنا جرى على سنن آله ، متجملا بحسن خلاله ، كثر الله تعالى من امثاله .

[322 - محمد القبائل]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد القبائلي .

نشأ هذا الوجه في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كالشيخ حسن الشريف ، والشيخ احمد بوخريص والشيخ الطاهر ، والشيخ ابراهيم ، والشيخ بن ملوكة وغيرهم .

وله قوة عارضة في الفهم ، وحصل العلوم ، ودرس ، ثم احترف بالتجارة لمعاشه ، ولم يترك العلم ولا نبذه .

وقدمه المشير أبو العباس احمد باي لخطبة الفتوى ، فاحسن القيام بها في التثبت . وكان تقيا خيرا ، عفيفا حسن المحاضرة ، ألمعياً جيد المباحثة ، حسن الاخلاق ، منصفاً من نفسه ، نقي العرض ، فقيها غير متصنع .

ولم يزل محبباً في الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، في ذي الحجة من سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والف (اوت — سبتمبر 1855 م.) ، رحمه الله تعالى .

[323 — خير الدين كاهية]

ابو محمد خير الدين كاهية .

أصل هذا الخير من بلاد القرج ، قدم صغيراً مع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، حين رجع من سفارته للدولة العلية ، وأهداه الوزير لسيدته ، فنشأ في خدمته ومحبته .

وكان عند مخدومه في محل الثقة والامانة ، فحسده مملوك اسمه دلوار ، وشى به لسيدته ، بانه يترصد الفتك به على غفلة ، حين يقف وراءه ، فاعتقله زمناً طويلاً بالزندالة ، ثم سرحه قبيل وفاته ، وبقي في خدمته .

ولما جاءت دولة عثمان باي ، أعتقه مع من أعتق من ممالك أخيه ، وبقي عند الوزير أبي المحاسن .

ولما جاءت دولة ابي الثناء الباشا محمود باي قرّبه ، وصار آغة وجق من اوجاق الصباحية ، وصاهره على بنت الوزير أبي الفداء اسماعيل كاهية ، ومات في عصمته . ولم يزل يتدرج في الخطط الى ان صار كاهية بدار الباشا .

وكان خيراً فاضلاً ، عفيفاً نقياً تقياً ، صادق اللهجة ، متواضعاً نقي العرض ، سليم الصدر . سألته ليلة ، ونحن في سفين سفرنا الى اسلامبول ، عن سبب محنته ، فسكى وأخبرني بها ، وقال لي : « اشهد علي بين يدي الله اني سمحت من تسبب لي ، وسمحت من سجنني ، وله العذر ، ويا ليتني مت فداءه » .

وكان شجاعاً ثباتاً في الحروب ، قوي الجنان . لما ثار جند الترك على سيده ، سنة ست وعشرين ، وبعث الوزير ابا المحاسن يوسف صاحب الطابع الى تونس في الليل ، وبقي في قلق انتظار ، وخير الدين من جملة مَنْ بين يديه ، بكى فقال له سيده : « لِم تبكي ؟ » ، فقال له : « أي حاجة لك بأمثالنا غير هذه الحاجة ، دعني ألحق الوزير الى تونس » ، فسرّحه ، وظهر منه عدم الاكتراث برمي الرصاص من القنينة .

وكان يكتب بالقلم المشرقي ، صاحب أذكار وأوراد ، أخذنا سييل الجند والاقتصاد ، قانعا بالكفاف ، متأخرا في الفصاحة مع حبسة في نطقه ، يميل الى الخير والجد ، وله في اهل المملكة محبة قوية ، لا سيما العلماء .

ولم يزل بهذا الحال ، محمود الخلال ، مشكور الخصال ، مرضي المقال والفعال ، مومقاً بعين المحبة والاجلال ، الى أن صار الى رحمة الرحيم المتعال ، يوم الثلاثاء من ربيع الثاني من سنة 1272 اثنتين وسبعين ومائتين والف (ديسمبر 1855 — جانفي 1856 م) ، ودفن بصحن التربة الحسينية ، وشهد أمير العصر جنازته ، وأعقب أولاداً هم الآن في الخدمة . وأما صاحبه دلوّار الذي تسبّب له في المحنة ، فقد مات بجزيرة ، متفياً فاقد الصبر ، على أسوأ حال ، والله يجزي الذين أسأؤوا بما عملوا ، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى .

[324 - احمد الكيلاني]

الشيخ ابو العباس احمد بن محمد الكيلاني .

نشأ هذا العالم بين يدي ابيه ، في صون مروءة ، وقرأ عليه مبادئ العلوم ، ثم أخذ بالجامع الاعظم عن أعلام ، كالشيخ صالح الكواش وغيره ، وتصلع بالفنون العقلية والادبية ، ولازم التدريس بالجامع الاعظم ، وأكثر دروسه في النحو والبيان ، وانتفع به جم عظيم من الطلبة ، مع الانتصاب للتوثيق . وله في الفقه درجة . وله قدم راسخ في الآداب .

وتولى من الخطط العلمية الشهادة على دار البارود بالقنينة .

وكان عالماً ذكياً فصيحاً بليغاً أديباً خيراً عزيز النفس ، عالي الهممة ، حسن اللقاء ، وجيهاً نقى العرض ، آية الله في المحاضرة بالتاريخ والفنون الادبية ، أشعاره تسع مجلداً ، معظمها عند الخاصة والعامة .

ولم يزل على فضله واشتهاره ، وسكنته ووقاره ، الى ان توفي في سن التعمير ، والى الله المصير ، في السادس والعشرين من جمادى الثانية من سنة 1272 اثنتين وسبعين ومائتين والـف (الثلاثاء 4 مارس 1856 م) ، واعقب ابناً قام مقامه ، وحفيداً كاتباً شاعراً ، كثر الله من أمثاله .

[325 - محمد العصفوري]

ابو عبد الله محمد ابن الشيخ حمودة العصفوري .

نشأ هذا الوجه بين يدي أبيه في بيته المشهور ، وناهيك برئيس النبلاء ابن عصفور ، وتربى في عفاف ، وجميل أوصاف ، ثم اجتباه المشير ابو العباس احمد باي ، وأقامه شيخ المدينة ، على عادة اعتنائه باعيان البيوت ، وقال لوالده : « انت رجل كبير ، فدرّب ابنك على نظرك » ، فتقدم للخطة وزانها ، وستر البلاد وأعيانها ، وأمن ليايها . وكان ذكياً فصيحاً ، محجاجاً ، نقى العرض ، عالي الهممة ، كريم النفس ، حسن السياسة ، مطبوعاً على اخلاق الرئاسة .

ثم صرف عن الولاية بعد وفاة المشير ، وبقي عزيزاً بعد عزله ، متجملاً بعرضه ونبله ، الى ان اقتطفته يد المنية ، من بين اترابه ، على نظارة شبابه ، وأجمل والده الصبر على مصابه ، في منتصف ذي الحجة من 1272 اثنتين وسبعين ومائتين والـف (الاحد 17 أوت 1856 م) ، واعقب أولاداً يتعلمون باسم بيتهم ، وذكر ميتهم .

[326 - محمد الوزير]

ابو عبد الله محمد بن حسونة الوزير .

نشأ هذا الرجل في بيت نباهته ووجاهته ، جارياً على سنن أسلافه ، متجملاً بأوصافه يحترف بالتجارة في الشاشية ، ثم ولي رئاسة مجلس التجارة والشواشية ، لما سلم فيها الفاضل الوجه ابو محمد حسونة الحداد .

وكان وجيها خيرا ، معدودا من الاعيان وأهل الشان ، جدّي الطبع ، عالي الهممة ، عزيز النفس ، حسن اللقاء ، لطيف السجية ، يميل الى الحق ، جاريا على سنن آله ، الا ان الدهر ، وان اسعفه بكرم الخلال ، لم يسعفه في نمو المال ، ومع ضيقه لم تنزل مروءته على حالها ، واخلاقه على كمالها ، وتأخر في آخر مدته عن الخطه ، وولّيها اخوه ابو العباس احمد الوزير ، وبقي هو في معاناة مرضه ، الى أن توفي في محرم سنة 1273 ثلاث وسبعين ومائتين والف (سبتمبر 1856 م) .

[327 - احمد البارودي]

ابو العباس احمد ابن الشيخ الامام المفتي ابي عبد الله محمد
أبن الشيخ الامام المفتي ابي عبد الله الحاج حسين البارودي .

نشا هذا الخير بين يدي أبيه ، وأخذ عنه وعن عمه ، وعن الشيخ أبي العباس احمد بوعبده ، وعن العلامة المحقق أبي عبد الله محمد الفاسي ، وحصلت له مشاركة في الفقه ، لا سيما في العبادات ، والنحو ، وتقدم اماما بمسجد بيت الباشا ، وخطيبا بالجامع الحسيني المعروف بالجامع الجديد ، وتوابه .

وكان فاضلا خيرا ، عفيفا سليم الصدر ، حسن اللقاء ، مطبوعا على الجد ، حافظا لمروءة الخطه وزيّها ، حسن الصوت بتلاوة القرآن ، ولخطبه تأثير في الآذان ، يوقظ القلب الوسنان ، ما شئت من حسب توارثه الكابر عن الكابر ، ومجد تأصلت أدواحه بين بطون المحارب وظهور المنابر .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، يرفل في برود كماله ، الى ان لبي إلى دار البقاء ، والآخرة خير وأبقى ، يوم الخميس السابع والعشرين (1) من ربيع الانور سنة 1273 ثلاث وسبعين ومائتين والف (27 نوفمبر 1856 م) ، واعقب أولادا ، أكبرهم من زين محرابه ومنبره ، وأحيا خبره ، كثر الله من أمثاله .

(1) هو 29 حسب التقويم

[328 - محمود خوجة]

الوزير ابو الثناء محمود كاهية ابن الوزير أبي عبد الله
محمد خوجة أمين الترسخانة ابن محمد خوجة .

نشأ هذا الفاضل بين يدي ابيه ، في ظل الدولة ، مغدّي بلبائها ، سابحا في بحار
إحسانها ، وقرأ القرآن ، وشيئا من العبادات والعربية ، مع حسن الكتابة ، وناب والده
في حلق الوادي ، مدة حياته ، وسابق في ميادين السياسة فجلّي ، ما كبا جواده ولا
تولّي ، وتوجه سفيرا الى السلطنة الفرانساوية عن الباشا ابي عبد الله حسين باي ليشهد
لبس السلطان يومئذ للتاج ، وقوبل بحسن القبول ، وله معرفة باللغة الاطالمانية .
ولما توفي والده في الدولة الاحمدية ، أقامه المشير أبو العباس احمد باي مقام أبيه ،
ثم سماه وزير البحر .

ولما سافر الى فرانس فوّض له امر حلق الوادي ، وهو باب الحاضرة ، لانه كان
يعتمد امانته ، ويعرف رقبته ، ويدني منزلته ، حتى ان والده هذا الباي اذا لزمها تبديل
الهواء لمرضاها ، تنزل بداره في حلق الوادي ، مع آل بيته ، مُتَنَزِّلَةٌ منهم منزلة الام
في السدار .

وكان فاضلا عفيفا ، نقي العرض ، سليم الصدر ، عالي الهمة ، نزيه النفس ،
متين الديانة ، فريدة سلك بيته ، وفخر حيه وميته ، وقور المجلس ، فصيح اللسان ،
اصيل الرأي ، صحيح الفهم ، بعيدا عن الفضول ، يميل الى الصمت ، حتى لزمه من
لم يعرفه بالكبير ، مقتصر على خطته وخويصة نفسه ، يميل الى جهة الخير ، وله في
السياسة حسن سلوك ، يقول الحق ولو لم يوافق اغراض الملوك ، كثير الحياء ، صادق
اللهجة ، استحق بنفسه مزية التقديم ، غير ملتفت لما في بيته من مجد الخدمة في القديم ،
صبورا لا يتبدل حاله في الملمات ، كثير التجمل على ضعف جرائته ، ملازما لجادة
الخير ، سائرا في طريق الاستقامة أحسن سير ، ما شئت من خلق تدل على الكمال
مخائله ، ومجد كرمته وأواثله .

ولم يزل رفيع المقام ، في سلك اهل الحل والابرام ، الى ان حل به خاطف
الحمام ، في الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة 1273 ثلاث وسبعين وماتين والف

(الخميس 19 فيفري 1857 م.) ، وحضر جنازته أمير العصر ابو عبد الله محمد باي وآله ، وجميع الاعيان ، ودفن بتربة آله بالجلاز ، وله ابن في الخدمة ينظر الى خلال ابيه ، وتقدم عوضه لهذه الوزارة ابو محمد خير الدين .

[329 - محمد بن محمد المناعي]

أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان المناعي .

نشأ هذا الكاتب بين يدي أبيه ، واحسن تربيته ، وسلك به طريق العلم ، فحفظ من المتون والشروح عددا مستكثرا ، وقرأ على أبيه ، وعلى أعيان من المدرسين ، وحصل ملكة علمية ، واستكتبه الباي في حياة أبيه بديوان الانشاء ، فأبدع فيه ما شاء ، مع جمال في الخط .

وكان ادبيا شاعرا ، كاتبا مفلقا ، يستوقف الاسماع ، يبدائع اليراع ، ذا فهم حديد ، وباع في الآداب مديد ، حاز من المفاخر أوفر نصيب ، ورمى الاغراض بالسهم المصيب ، وأضافه شاكير صاحب الطابع الى الخدمة معه ، ثم سافر مع أبي عبد الله محمد باي في المحال ، ما من وجهة قام فيها الا زانها ، واعلى شانها ، ما شئت من فصاحة وأدب وظرف ، وفهم يسبق رد الطرف ، ومحاضرة تسحر الافكار ، وتستوقف الانظار ، وتزري بالعقار ، ومع هذه الصفات الواضحة وضوح النهار ، لم تساعده في دنياه الاقدار ، وعاش حليف لإقلال وإعسار ، وانفصل من الكتابة في آخره ، لعدم مواظبته الخدمة ، والرزق بالتقدير لا بالتدبير .

ولم يزل على حاله الى ان توفي رحمه الله وسامحه ، وغفر له وقابله بما هو اهله من المغفرة ، في شعبان من سنة 1273 ثلاث وسبعين ومائتين والف (مارس - افريل 1857 م.)

[330 - محمد الامين الكيلاني]

أبو عبد الله محمد الامين ابن الفقيه الاديبي

ابي العباس احمد ابن الفقيه ابي عبد الله محمد الكيلاني .

نشأ هذا الفاضل في بيته النبيه ، واخذ العلم عن ابيه ، وعن غيره كالشيخ ابي اسحاق ابراهيم الرياحي والشيخ ابي العباس احمد الابي ، والشيخ ابي عبد الله محمد المناعي ، وحصل واستفاد ، ودرس واقبل على صناعة التوثيق .

وكان فقيها ذكيا ، خيرا وجيها ، نقي العرض ، كريم النفس ، عالي الهمة ، حسن الخلق ، طيب المعاشرة ، ممتع المحاضرة .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي في الثامن من جمادى الاولى سنة 1274 اربع وسبعين ومائتين والفر (الجمعة 25 ديسمبر 1857 م.) ، واعقب ابنا امتطى ذروة الادب والنجابة ، وانتظم في فرائد سلك الكتابة .

[331 — احمد الابى الحنفى]

شيخنا ابو العباس احمد ابن الشيخ الفقيه ابى الثناء محمود الابى الحنفى

مولده ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب سنة 1180 ثمانين ومائة والفر (الاحد 12 رجب — 14 ديسمبر 1766 م.) ، ونشأ في حجر أبيه ، وأخذ عنه مبادئ العلوم ، ثم أقبل بقلبه وقالبه على العلم ، فأخذ عن الشيخ صالح الكواش ولازمه ، وأخذ عن شيخ الاسلام ابى عبد الله محمد بيرم الثاني ، وغيرهما من الاعلام .

ولما اخذ راية التحصيل باليمين ، ألزمه شيخه ابو الفلاح صالح الكواش للتدريس على شبابه ، فامتنع ، ورأى نفسه قاصرا عن رتبة الافادة ، فقال له شيخه : « أنا اعلم بحالك منك » ، فتصدّر بالجامع الاعظم ، وأفاد ، وعد من الافراد ، وروى منهله الوراد ، وكان لا يحسن النطق بالراء ، ولم يشن ذلك فصاحته ، وعمر الجامع بحلق التدريس ، يث الجواهر النفيس ، ثم انتخبه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى امامة جامعه والتدريس به ، وغمره في بحر كرمه ، فدرس بالجامع النحو والفقه وغيرهما ، واستفاد منه جم غفير ، ويروي بعد العصر « صحيح البخارى » ، على كيفية لم يسبق اليها ، وذلك لانه لا يتعبّد بلفظ الحديث ، بل يفسر ألفاظه ، واجمال ما استفاد منه ، ويسرد الظاهر الذي لا يحتاج الى التفسير ، وأمرني أن الازم درس الحديث ، واعطاني نسخة من الحبس .

وكان رحمه الله عزيز النفس ، أبى الضيم ، عالي الهمة ، ذا قدم راسخ في تحقيق العلوم ، لا سيما الفقه والنحو والبيان والاصول ، ثابت الجنان في قول الحق ، يرى الحق اكبر من كل كبير ، آية الله في الوفاء .

لما طولب بنقل دروسه للجامع الاعظم ، اجاب بانه امام الخمس بجامع صاحب الطابع ، وان ثياب صاحب الجامع باقية عنده على جدتها ، فكيف ينسى عهده ، ومن جملة طيلسان من الكشمير أبيض ، كان يقول : « أرجو الله ان اغطي به على نعشي » . ولم يزل في بث العلم ، الى ان قيده السن ، وقدمه المشير ابو العباس احمد باي مفتيا ، فجلس حذو الرئيس ، ولم يتصدر للفتوى ، وامتنح على سنه بموت اكبر بنيه ، فاستقبل محن الدنيا الدنية ، الى ان طرقة رائد المنية ، يوم السبت الخامس والعشرين (1) من رمضان سنة 1274 اربع وسبعين ومائتين والـف (8 ماي 1858 م) ، وغطي على نعشه بذلك الطيلسان ، وصلى عليه الشريف العالم ابو الثناء محمود محسن ، أمام باب البهور من الجامع الاعظم ، ودفن بتربة آله في الجلاز ، قرب الامام ابن عرفة ، وأعقب ابنا هو الآن من المدرسين ، كثر الله من امثاله .

[332 - حسين خوجة]

الوزير ابو عبد الله حسين خوجة .

اصل هذا الوزير من عمل مدينة نابلي ، ونشأ في تربية الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وسافر معه الى القسطنطينية ، طفلا صغيرا دون الاثغار ، وأسلم في مرسى ساقس ، من غير دعوة ، وكان الوزير كشك حسين قبودان باشا في المرسى ، بالاسطول السلطاني ، فطلب ان يسمى باسمه ، فسماه سيده بذلك ، ونسبه الى ساقس ، وتبناه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وأدخله المكتب ، فنال ما تيسر من القرآن ، وشيئا من الكتابة ، واجهد نفسه في مطالعة الكتب ، لا سيما التاريخ ، ولازم الوزير ملازمة ظله ، وصاحبه في أسفاره ، وهو الذي قدم بشيرا بخبر النصر في محلة سرّاط ، وانقطع الى الباشا أبي عبد الله حسين باي ، بعد مقتل سيده ، فنال منه حظوة التقريب ، وصاهره على بنته ، وبني له داره المعروفة بباردو ، وسمي باش مملوك ، ومنه ظهر لهذه الخطة اسم .

(X) هو 24 حسب التفويم .

ولم يزل يترقى بما يُسَمَّى نجابة في ذلك الوقت ، وزاحم الوزير ابا عبد الله محمد العربي زروق حتى غص منه بالريق ، وخلا له جو الوزارة بعد قتله ، برهة من الزمن ، وعيون الحوادث نائمة ، واعلام السعود قائمة ، فجرى في أغراض سيده ، ملء العنان ، من غير توقف ولا اعمال فكر في شان ، شأن الوزراء للملك الاطلاق ، وتأنق في اقتناء الظرف ، وسار في ميادين السرف ، وأعانه على ذلك اختصاص الدولة يومئذ بزيوت الساحل ، ثم زوحم بالوزير شاكير صاحب الطابع ، لما توقفت الدولة بسبب السرف في الترف ، وعُدَّ ذلك من سوء تدبيره ، وهو عبد مأمور ، حسبه تنفيذ الامور ، شان الوزراء للملك الاطلاق ، فاستمال الوزير شاكير الرجال ، وفسح لهم في الامل المجال ، وبقي صاحب الترجمة على حاله ، وظاهر لإجلاله ، وسائر ما له من المصوغ المرهون ، أفنته فائدة الديون ، ثم استدان مالا لا يفي به كسبه ، وظن ان الدولة تدفعه ، وهو في الحقيقة مصرعه .

ولما طلب ارباب الديون اموالهم عند توقف فائدتها بيع فيه كسبه ، وسجن في بقيتها بالصرايا ، ايام المشير أبي العباس احمد باي ، ثم تسرح لطول سجنه .

ومن كسبه كتبه ، اشتراها المشير ، ودفع الثمن للغرماء ، ووقفها بالجامع الاعظم ، كما تقدم في الباب السادس .

وكان كريما لين العريكة ، حسن اللقاء ، فصيح اللسان ، مطواعا لسيده ، غير مفكر فيما ينشأ له من ذلك ، وفي العهد ، صبورا محببا لاهل الحاضرة ، يتبع ما استطاع آثار سيده الاول ومربيه في اصطناع المعروف ، واغاثة الملهوف ، وقد وقته مصارع السوء .

ولم يزل على هذا الحال ، غير متأسف على ضياع ما له من المال ، صابرا على الاقلال ، شاكرا ربه على اللطف في المال ، الى ان توفاه الله تعالى في سنة 1274 اربع وسبعين ومائتين والـ (1857/58 م) ، وترك ابنين هما الآن من الاعيان ، لو ساعدهما الوقت .

[333 - محمد المعيل]

أبو عبد الله محمد ابن الحاج محمد المعيل التميمي القيرواني .

من أعيان قبائل الفتح بالقيروان ، نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعيان العلماء بالقيروان ، كالفقيه الحاج قاسم بو الاجضان ، والشيخ القاضي أبي عبد الله محمد بوراس وغيرهما .

وتصدر للتدريس والتوثيق ، ثم ولي القضاء ببلاده ، ثم انتقل للفتوى .

وكان خيرا ، فقيها عفيفا ، موثقا .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي سنة 1275 خمسين وسبعين ومائتين والف (1858/59 م) .

[334 - محمد الفراتي]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ المفتي

عبد العزيز الفراتي الصفاقسي .

أخذ من علماء بلاده ، كالشيخ مقديش الكبير ، والشيخ الشرفي ، والشيخ علي خليف ، ورحل في طلب العلم لتونس ، فأخذ عن بعض أعلام الجامع ، ثم رجع لبلده ، ودرس وتصدر للتوثيق ، ثم لخطبة الفتوى ، وانفصل عنها .

وكان عالما فقيها ، ذا عفة وصيانة ، الى ان توفي طاعنا في السن غرة رجب من سنة 1275 خمس وسبعين ومائتين والف (الجمعة 4 فيفري 1859 م) .

[335 - احمد الاصرم]

ابو العباس احمد بن ابي عبد الله محمد الاصرم .

نشأ هذا الخير مع أبيه وأخويه ، في خدمة الدولة ، وتدرج الى ان صار وكيلا على رابطة الحبوب ، وهي من الخطط النبوية ، عوض أبي النخبة مصطفى الارناووط .

وكان ثقة أمينا ، خيرا عفيفا ، غراً كريما . وامتنحن بموت ابنه ، ثم تخلى عن الخدمة ، ولزم كسر بيته ، وطعن في السن ، وأصيب في آخر عمره بسرقة داره ، وتلونت في شأنها الاخبار .

وتوفي طاعنا في السن ، في اشرف الربيعين سنة 1275 خمس وسبعين ومائتين والف (اكتوبر - نوفمبر 1858 م).

[336 - حمودة الطرابلسي]

أبو محمد حمودة بن احمد الطرابلسي

ولد هذا الرجل بتستور ، وحفظ بها القرآن العظيم ، ورحل في طلب العلم بتونس ، وسكن بمدرسة حوانيت عاشور ، وقرأ على شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، وعلى الشيخ أبي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهما . وحصلت له ملكة المشاركة ، وله معرفة بالسير وعلم التاريخ ، حسن الكتابة ، واضطره الحال الى الارتزاق بقلمه ، فكتب في أشغال الدولة كالعلفة والكوشة والغابة وغيرها . وأرسى حاله عند القائد الشهير ابي الربيع سليمان بن الحاج ، فاستكفى به في مهماته ، واشركه في أمره ، موثوقا بأمانته ، حتى انه اودع ختمه عنده ، لما توجه الى الساحل ، خشية تعطيل دفع الاعشار ، ولم يأتمن عليه ابنه ، وانتفع كل منهما بصاحبه .

ولما اشتاقت زوجة هذا القائد لاداء فريضة الحج ، وجهها مع ابنه منها ، وخاطب كاتبه هذا ان يحج ناظرا على ابنه .

ثم جذبه الوزير شاكير صاحب الطابع الى الكتابة عنده ، ثم انتظم في ديوان الانشاء ، يسافر مع الوزير للساحل وغيره .

ولما توفي الوزير بقي في سلك الكتاب ، وكان المشير ابو العباس احمد باي يستنجه ، ووجهه مع الوزير ابي النخبة مصطفى خزنة دار لفرانسة .

وكان حسن المحاضرة ، مشاركا ادبيا ، صحيح الفكر ، مصيب البداهة ، كريم النفس ، عربي السجية ، يميل الى السذاجة ، بصيرا بعواقب الامور ، حنكته التجارب ، عارفا بجهات المملكة كاد ان يعرف سائر سكانها ، أعجوبة في ذلك .

ولم يزل حسن الحال ، نبيه الخلال ، الى ان توفي في الحادي عشر من شعبان الاكرم سنة 1276 ست وسبعين ومائتين والـف عن سن عالية (السبت 3 مارس 1860 م) .

[337 - محمد بن ملوكة]

شيخنا ابو عبد الله محمد ابن الولي ابي الفلاح صالح بن ملوكة

نشأ هذا الفاضل في بركة أبيه ، المزار بزايته المعروفة خارج باب القرجاني ، وحفظ القرآن ، واشتغل بتحصيل العلوم ، فأخذ عن العلامة أحمد بوخريص ولازمه ، وعن شيخ الشيوخ وعمدة أهل الرسوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وعن العلامة ابي عبد الله سيدي محمد الطاهر بن مسعود ، وعن امام المحققين ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وعلا درجة التحصيل ، ولم يلبث ان اقتحم على العويصات أغيالها ، وطمح الى الغايات فنالها ، وأثمر روضه ، وفاض بالعلوم حوضه ، مع الفكر الحديد ، والفهم السديد .

ثم تصدق للتدريس ، ونثر الدر الفاخر ، من البحر الزاخر ، وأرى الناس مصداق قولهم : كم ترك الاول للآخر ، حتى قيل ان علمه وهبي لاكسبي .

ولما برز في ميادين المعارف وجلّى ، واشتهر اشتهار النهار اذا تجلّى ، اقبل على نفع الناس ، واختار تعليم القرآن على اسلوب لم يسبق اليه ، فكان التلميذ يخرج من زاويته حافظا للقرآن ، عارفا بالرسم ، عالما بضروريات دينه ، وتقويم لسانه بالعربية ، حافظا لمتون علمية . ويروض أبدانهم خشية السامة بالمصارعة والرماية ، وتلقف الكرة ، ونحو ذلك مما يحسن بالرجال ، ويدرب على اقتحام الـوجال ، وهو مع ذلك لا ينفك عن التدريس تارة بجامع الزيتونة ، واخرى بغيره من المساجد القريبة من زاويته ، واخرى بالزاوية نفسها ، على حسب النفحات (1) .

وانتفع به غالب من يشار اليه في هذه المملكة . اذا استفتح الدرس ترى البحر العجاج ، والواابل الثجاج ، يوضح الغامض ، بفكر يسبق البرق الوامض ، وله قدم راسخ في الفرائض والعلوم العقلية ، كالحساب والهندسة ، وله في معارف التصوف ذوق واطلاع ، ورسوخ قدم وطول باع ، تقف دونه الاطماع .

(1) النفحة : ميل الساعة (لهجة نوسه)

وخوطف في القضاء والفتوى ، فأعانه الله على الامتناع ، وخوطف لامامة الجامع فامتنع بظرف ، وهو أن لا يغير زيّ لِبسه الى زيّ الائمة ، لانه كان يلتحف بالحرام . ويلبس الخشن ، ولا يعتمُ بعمامة الفقهاء .

وزاوية منزله العلماء والأتقياء ، ومرتع الأدباء والاذكياء ، وهو مع ذلك يجالس تلاميذه مجالسة الاقران ، ويجاريهم في ميادين العرفان ، وربما باشر معهم الرماية ، وكان فيها آية ، وهو على فضله وجلالته ، يباشر ما يلزمه ، ويخدم ضيفه ، ويناوله الطعام بنفسه ، ويحلب شاته ، الى غير ذلك من اخلاق الصالحين ، وسجايا الزاهدين . وكان رحمه الله صالحا معتقدا ، عالما فصيحاً ، تقياً نقياً ، ذكياً نزيه النفس ، محققاً للدنيا ، صبوراً سليم الصدر ، يعفو ويصفح .

بلغه أن العلامة القاضي اسماعيل التميمي ذكره في مجلسه ، بما يتقص مقامه ، فأتاه الى داره ، وقال له : « بلغني ما ذكرتني به ، واني أقبح مما ذكرت ، واتيئك لتعلم أنني ساعمتك في الدنيا والآخرة ، فقل ما شئت ، وانت في حل مني ، لانك من الاشراف ، ولا احب ان الله يعاتب شريفا من اجلي » ، فخجل الشيخ ، وتسامحا ، غفر الله لهما ، وصار الشيخ اسماعيل بعد ذلك يعبر عليه بالولي في لسان الشرع .

وكنت من تلاميذه الساكنين بزوايته ، وشاهدت من حسن أخلاقه وعبادته ، ما يستوقف القلم .

فكان يصلي بنا العشاء ، ثم يدخل داره ، ويخرج في جوف الليل الى جهة القرجاني ، في زيّ اختفاء ، ليصلي ، ويأتي قبل الفجر ليوقظنا للصلاة بقوله رافعا صوته : « وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا » .

وكان متواضعا على تلك الرفعة ، جميل الظن بالناس ، وله صدقات سرية وجهرية على فقراء يأتون الزاوية للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حسن اللقاء ، ممتع المحاضرة في غير الشعر ، ما شئت من ظرف وعلم ودين ، وتقدم في مستحسن الميادين ، وعلو نفوس الزاهدين ، ووقار المهتمدين ، وانقطاع العابدين ، وثقوب فكر المجتهدين .

ولم يزل معظما عند الملوك ، محببا للعامة ، يقصدونه في استشفاء مرضاهم ، والتيمن باسبابه في كشف بلواهم ، الى ان ارتحل من دنياهم ، ولحق بالرفيق الاعلى ، وترك

الاجبار الجميلة تتلى ، وذلك في منتصف نهار الجمعة الثامن والعشرين (1) من شوال سنة 1276 ست وسبعين ومائتين والف (18 ماي 1860 م) ، ودفن بزوايته قرب والده ، وحضر جنازته صاحب القانون المشير ابو عبد الله محمد الصادق باشا باي ، في آل بيته ورجال دولته ، وباشر بنفسه حمله من بيته الى نعشه ، وصلي عليه بالجامع الاعظم امام باب البهور ، ولم يعقب ولدا ذكرا ، لانه امتحن بموته ، وانما اعقب شرحا نفيسا على « الدررة » في الفرائض ، لم ينقطع به عمله ولا اسمه ، مع ما بثته من العلم في صدور الرجال ، قابله الله بالرضوان والاجلال ، ورحمه ورضي عنه ، آمين .

[338 - صالح الغنوشي]

الشيخ أبو الفلاح صالح الغنوشي السوسي .

نشأ هذا الفاضل بسوسة ، وأخذ عن الاعلام من مشيخة الاسلام ، وكان شيخنا أبو الفداء اسماعيل التميمي يطيل الثناء على علمه ، ودقة فهمه ، وتولى الخطط العلمية كالتوثيق والفتوى والخطبة بالجامع الاكبر في بلده ، وصار رئيسا بالمجلس الشرعي في بلده ، بعد ان درس فافاد ، ونفع العباد ، وتضلع من منهله الوارد ، وعد في المملكة من الافراد ، والحفاظ النقاد .

وكان موثقا ، متبحرا في الفقه ، عالما في غيره ، مطالعا جيد الحفظ ، بارع التطبيق ، كريم النفس ، عالي الهمة ، ذا مهابة ووقار ، مع حسن اخلاق واستبشار . ولم يزل مقصودا للافادة ، معروفا بالحفظ والاجادة ، الى أن ألقى بيد المنية المقادة ، في شوال سنة 1276 ست وسبعين ومائتين والف (افريل - ماي 1860 م) ، رحمه الله .

[339 - محمد النيفر]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن احمد النيفر .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، على عفاف وصيانة ، وهو من بيت شرف أصله من صفاقس ، فحفظ القرآن العظيم ، وشمر في طلب العلم عن ساقه ، واستخراج ثماره

(1) هو 27 حسب التقويم .

من أوراقه ، فقرأ على شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا أبي العباس سيدي احمد الابي ، وشيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بيرم الثالث ، وشيخنا ابي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، وشيخنا ابي عبد الله سيدي محمد المناعي ، وشيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن الخوجة وغيرهم .

وانقطع الى العلم انقطاعا كلياً ، ونبذ ما سواه ظهرياً ، فلم يلبث ان سبق الاقران ، وفاق من تقدمه بأزمان ، والعبء الفقير ممن تقدمه ، ويقر له بفضيلة التقدم ، والمتشبع بما ليس عنده كلابس ثوبسي زور ، فحصل واستفاد ، واقتنى من كنوز انقطاعه ما لا يخاف عليه النقاد ، بفكر وقاد ، يومئذ به الى الشوارد فتنقاد ، ملقياً للمقاد .

ثم تصدر للتدريس ، فانهل ودق العلم وانثال ، ونسج على غير مثال ، ما سرى مسرى الامثال ، بفصاحة سحرانية ، وبلاغة حسانية ، وابدع في القاء العلوم ما شاء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

درّس « تفسير القاضي البيضاوي » بالجامع الاعظم ، فجلّى في مضممار الانظار ، وأتى بما يزري بالنصار ، فكان يتلو الآية من حفظه ، ويأني بجميع ما يمكن ان يقال في تفسيرها من حفظه ، ولا كتاب معه ، يظن سامعه انه يؤلف في حاشية على التفسير ، ويقول في الدرس ما كتبه ، جلوسه في الدرس بخشوع ووقار وسكينة ، لا يستعين في تقريره باشارة يد . وكان شيخنا أبو عبد الله محمد بن الخوجة اذا رآه على تلك الحالة ، يقول لنا : « هذا معنى راحة العلم ، لان مسائل الدرس صارت في نظره كالضرورة » .

وتقدم لخطة القضاء بالمحلة ، وكاد ان لا يقبلها ، لولا الزام شيخه ابي عبد الله محمد بيرم ، وهو الذي أشار بولايته ، وكتب للباي في ذلك بخطه ، فسافر قاضياً ، وهو على السداجة العلمية الدينية ، يرى الحق أعظم من كل عظيم ، فرفعت اليه مظالمه من الكاهية صالح بن محمد في أمر سياسي فأقر ، لما يرى انه غير مؤاخذ باقراره ، فحكم عليه برد الحق او السجن ، فبعث اليه باي المحلة ، وهو يومئذ ابو عبد الله محمد باي ، كاتبه البارع الاديب صاحبنا أبا عبد الله محمد الباجي المسعودي بلاطفه ، بما حصله : « ان هذا الرجل ، والحالة هذه ، أمير جيش في خدمة ، وانا لا أقدر على سجنه ، الا باذن خاص » ، فقال له : « انا قلت ما لزمني ، وله النظر في السجن وعلمه » . ولما

رجعت المحلة قدم الباي المشير أبو العباس احمد غيره للخطة ، فاستراح ، وأقبل على دروسه ، ومجالسة كتبه وطروسه ، والتلذذ بمألوفه ومأنوسه ، وفرح بنجاته من مزائق الاقدام ، وجبائل الخصوم ، الى رياض الجنة وثمرات الفهوم . وترقب الباي ، لَمَّا فعل فعلته ، متزلفا او مداهنا يحسنها ، او يَشِينُ الرجل ، بعدم السياسة ، فلم يسمع الا السكوت ، فندم ولات حين ندم .

وكان مهما تذكرها ، يقول : « فعل ما يجب عليه ، وابقى لنفسه فخرا » . ثم داوى استعجاله ، وكان من السياسة بالمكان المكين ، فقدمه لخطة القضاء بالحاضرة ، وكانت ولايته يوم ولاية شبيهه ابي عبد الله محمد البَنَّاء للفتوى ، واحضر يوم ولايتهما رئيس المفتين ، وبركة المصر شيخنا ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، فقال له بمحضر الملاء من الديوان : « أصبت في انتخابك ، لا زلت تصيب ، هما خير أقرانها علما ودينا » ، وناهيك بهذه الشهادة ، من ذلك العدل ، في ذلك المشهد ، فقبل الولاية بعد لأي وما كاد ، وقام ما استطاع لحق الله وحق العباد ، بدين متين ، وشدة مكسوة بلين ، أعانها الانصاف ، والقناعة بالكفاف .

ثم انتقل لخطة الفتوى ، فزاناها بالفتوى ، واعتماد القول الاقوى ، مع غيرها من الخطط العلمية .

وكان رحمه الله تقيا عفيفا ، نقي العرض ، موثرا لحق الله ، سالكا نهج الصالحين ، متضلعا بالعلوم ، واسع الصدر ، يعفو عن ظلمه ، بعيدا عن الفضول ، محببا الى الناس ، وحبهم موصول بحب الله ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على تلك الرفعة المكيئة ، منشورة عليه بركات مكة والمدينة ، ما شئت من كرم اخلاق ، وطيب اعراق ، وعلو همة ، ونفس بمعادها مهتمة ، وادراك ماضية نصوله ، وتحقيق علت فروعه وطابت اصوله ، ومحاضرة كالروض لما اعتدلت فصوله .

حج الفريضة وتطوع بثانية ، وثالثة ، وحمل أمانة الحرمين الشريفين في سفين الدولة ، اعتناء بشأنه ، وثبطته في الحجة الثالثة ، وقلت له : « درس التفسير المتعدي نفعه خير من التطوع بحجة مقتصر ثوابها عليك » ، ولما أكثرت عليه من الالحاح ، لِمَا رأيت من قوة عزمه ، قال لي : « أريد ان أدفن في البقيع » ، أو « لا تحرمني من مدفن البقيع » ، نسبت اللفظ ، وهو يدور على هذا المركز ، وحقق الله رجاءه ، فانتقل الى

ما عند الله ، وهو خير وأبقى ، يوم الاحد الثاني عشر (1) من محرم فاتح سنة 1277 سبعمائة وسبعين ومائتين والف (29 جويلية 1860 م.) ، وصلي عليه بالمسجد الحرام النبوي ، ودفن بالبقيع ، بمقربة من قبة الخليفة ذي النورين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وأعقب أولادا تخلقوا بخلقه النفيس ، زانوا المجالس ، وحلق التدريس ، وعضدوا مجد النسب ، بمجدهم المكتسب ، كثر الله من أمثالهم .

واخوته سلكوا نهجه في العلم والقضاء والفتوى ، كثر الله من أمثالهم .

[940 - كشك محمد الداوي]

أبو عبد الله كشك محمد الداوي .

أصل هذا الرجل من الارناووط ، قدم لهذه الحاضرة ببضاعة يتجر فيها ، وهو صغير ، وكان خاله من عسكر البحر في حلق الوادي ، فاستقل ببضاعته ، وقال له : « انت في قوة شبابك ، لم لا تثبت نفسك في ديوان الجند » ، فامتنع ، فنسبه الى الجبن ، وقال له : « اين اخلاق التجار ، من اخلاق الصبر والثبات في المخاوف ؟ » ، فانف من ذلك ، وثبت في الجند ، وسافر اثر ثبوته في شقف حربى للغزو ، فحمدت شجاعته .

ولم يزل يترقى الى ان صار قبطان البحر ، وهو رئيس الرؤساء في البحر ، وخرج أميراً في الاسطول الذي حرق باورين (2) .

وسافر الى الدولة العلية العثمانية مرارا ، وقضى أوطارا . وكان المشير أبو العباس احمد باي يعرف درجته ويستكفي به ، الى ان اولاه خطة الداوي ، وقال له يوم الولاية : « أمثل أمرك في كل خدمة ، وأعرف ما لهذه الخطة من العادات والظروف الفارغة ، التي منها أن تقدم اليّ ، ولا آتيك الا باذن ، وهو اشدها علي ، وان يكون الترجمان هو الرسول بيني وبينك ، وان لا اتوجه لموضع الا باذن خاص كالمسجون ، الى غير

(1) هو IO حسب التفويم

(2) يريد نافرين او ناورين ، وهو خليج في اليونان وضعت به معركة بحرية في 1827 (1243 م) انتهت بانتصار اساطيل بريطانيا وفرنسا وروسيا على الاساطيل العثمانية قتال الشيخ بيسم في الصفوة (ص 136 ج I) : « وفي سنة 1243 (1827 م) ارسل حسين باشا سبع سفن اردفها باثنتي لاعانة الدولة على حرب اليونان ، واحترى مع جملة سفن الدولة ومصر والمرائر بعزل اساطيل الدول ... » ولم يعرض ابن ابي الضياف لهذه الواقعة في قسم التاريخ .

ذلك ، فان أعفيتني من هذه الامور ، بان تقدم اليك متى اردت ، وأقبل يدك كسائر وزرائك ، وأقوم معهم بين يديك ، واتوجه حيث شئت ، فاني خادملك ، تضعني فيما تراه ، والا فاني في خدمتي بحلق الوادي ، شاكرا لله ، محسوبا من الاعيان ، فقبل منه المشير ذلك بسرور ، واذن له في التوجه حيث يشاء ، بشرط ان لا يبيت خارج الحاضرة ، لان حراستها في عهده ، فقبل الولاية بالمحمدية ، واطلقت عليه المدافع لما خرج ، وقلت للمشير : « ان هذا اشترط ان لا يكون مثل الدايات في عاداتهم ، ومن عاداتهم ان لا يزورهم احد منا الا باذن خاص ، فلا استأذنك حينئذ في زيارته ، لان لي معه صحبة ، أحكم ربطها السفر في البحر » ، فضحك وقال لي : « لك ولغيرك الاذن في ذلك مهما أردتم » .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا ذا همة عالية ، وشجاعة وصبر ، صادق اللهجة ، سوي الظاهر والباطن ، عزيز النفس ، آية الله في الوفاء والنصح ، وآداب المعاشرة .

ولم يزل معظما مكرما ، مشكور الخدمة ، موفيا الحرمة ، الى ان توفي يوم الجمعة الحادي والعشرين (1) من صفر سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـف (7 سبتمبر 1860م) ودفن من الغد بزواية سيدي احمد بن قيس من السلسلة (2) ، ولم يتخلف عن جنازته أحد من الاعيان .

[341 - محمد بن محمد الاصرم]

الوزير ابو عبد الله محمد ابن الوزير ابي عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد الاصرم .

نشأ هذا الوجيه في بيت مجادته ، ونجم في أفق سعادته ، راضعا من الدولة ثدي نعمائها ، مستنيرا بضيائها ، ولسلفه في خدمتها اختصاص قديم ، ومزايا اقتضت التقديم ، فأقبل على العلم في شبابه ، واتى المجد المكتسب من بابه ، فأخذ عن شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهما . وحصل ملكة في النحو والبيان ، والحساب والعلوم الرياضية كالفلك ، وشيء من الفقه .

(1) هو 20 حسب التقويم

(2) هي مقابر قديمة كانت متسلسلة داخل سور المدينة ابتداء من خريج سيدي علي بن زياد الى ما يسمى الان باب الجديد .

وولع بقرض الشعر، وحاك منه ما يستحسن ، ويضرب في صناعة الانشاء بسهم .
استكتبه الباى أبو محمد حمودة باشا في صغره ، فرغب عن ذلك ، واختار الاقبال
على شأنه ، واجتناء ثمر العلم من أغصانه .

ولما توفي والده قدمه الباشا ابو عبد الله حسين باي كاهية لعمه أبي النشاء محمود ،
وتخطى أعناق من تقدمه كشيخنا أبي عبد الله محمد المناعي ، وأبي الربيع سليمان
المحجوب ، وهما من فرسان الانشاء يومئذ ، ثم تقدم لرئاسة القلم بعد وفاته (1) ،
فكانت الرئاسة له ، والقلم بيد غيره ، ولا أقول عن قصور ، الا انه يكتب كما يريد ،
قياسا على حوك الشعر ، لا كما يراد منه ، وهو سر قلم الانشاء .

ونال في دولة المشير أبي العباس احمد باي جاها واقبالا ، وأفاض عليه من صنوف
الانعام سجالا ، وبلغ من الخطوة والاجلال آمالا ، واختص بوزير الدولة يومئذ أبي
النخبة مصطفى خزنه دار ، ثم نافره ، ونبذ الخدمة ، مُدَلًّا بتوقف الامر عليه ، ولا
سبب يقتضي استرضاءه أو اقصاءه ، فأقبل الوزير يسوس أحوال الدولة بمن يستكفى
به ، وللشيخ اسم الخطة ، فانتخب كتابا للحسبان ، وآخرين للانشاء ، فجزت احوال
الدولة على منهاجها ، وصدقت مقدمات انتاجها ، فأنف الشيخ لذلك وارتمض ، وهكذا
كل من يرى توقف شيء عليه ، وانحجز في داره ، مستوحشا حتى من جواره ، وساءت
ظنونه ، وتوقع المكروه ، وحفيده بين يديه طوع امره ونهيه ، وابنه خارج عنه ، حتى
انه لم يأت مخدمه عند سفره لفرانسه ، ولا يوم قدومه ، ولا عزاه في موت أمه ،
فأثر ذلك فيه ، وغلبه ما جبل عليه من الاحتمال ، والتجاوز عن زلات الرجال ، ولما
مرض أتاه الى المحمدية ، فلم يجتمع به .

ثم جاءت دولة المشير أبي عبد الله محمد باي فجاءه للبيعة ، وتعرض للخدمة ،
واستأنف لها عمرا جليدا ، يقال لحاجة في نفسه على الوزير أبي النخبة مصطفى خزنه
دار ، ولما ايس منها ، ترك الخدمة واعرض عنها ، ولازم ظل جداره ، وانقبض في
كنن داره ، على جراية خطته من الدولة ، مرموقا بعين اجلال واحترام ، على ما للخطة
من المقام .

(1) اي بعد وفاة عمه

وكان فقيها مشاركا ، أدبيا عالي الهممة ، منصفا عزيز النفس حتى أفرط ، أبيّ الضميم ، صعب المقادة ، حتى نسب للشدة في غير محلها ، مشغولا بخويصة نفسه ، حتى عن آله وبني جنسه ، ضيق الصدر ، حافظا لحطام دنياه ، الا انه يعين على نوابغ الدهر بالقرض ، غير غافل عما يجب من إنظار المعسر ، مقتصدا في معيشته . يقال ان والده قال فيه ، مع شدة حبه له ، اذ هو اكبر بنيه ، واحقهم بالحب : « ان ابني سيدي محمد أمة برأسها » . وقال فيه ابنه : « ان أبي نافر أباه واخوته ومخلومه ، فانا معهم » . ومع ذلك فلم ينقل عنه شر ، ولا تسبب لاحد في ضرر ، وله ان يفعل في نفسه بما يراه ملائما ، وان خالف عقول الناس ، اذ رضاهم غاية لا تترك ، وله وجهة الى الله ، يقول الخير أو يصمت .

ولم يزل على حاله ، في احترامه واجلاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي رحمه الله يوم الجمعة العشرين (1) من شوال سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـ (3 مائ) 1861 م. ، ودفن بمقبرة ابيه من الجلاز ، وحضر جنازته امير العصر المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي ، ومعه اخوته ورجال الدولة ، واعقب ابنا سعى في هدم المبنى من مجده ، وحفيدا اقتفى أثر جده ، وهو الآن من الاعيان ، وكل من عليها فان .

[342 - مصطفى صاحب الطابع]

الوزير أبو النخبة مصطفى صاحب الطابع.

أصل هذا الفاضل من القرجستان ، أهده القائد ابو الثناء محمود الجلولي الى الباي أبي محمد حمودة باشا ، وهو صغير السن ، كبير العقل ، فنشأ في الخدمة بين يدي سيده في الصرايا ، وكان يستنجه ، ويثق به على حداثة سنه .

ولما توفي سيده عتق مع سائر من عتق من المماليك ، و اراد الخروج من الصرايا مع ابني النجاة سليم ، المتقدم ذكره ، فمنعه الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ضنا به ، لانه رأى فيه مخائل الصدق والنجابة ، وضمه اليه في علوه بباردو ،

(1) هو 22 حسب التقويم

ثم ضمه الى ابن البايع عثمان أبي الفلاح صالح باي ، فقربه في تلك المدة القصيرة ، وأبلى ليلة الثورة البلاء الحسن ، سمعت ذلك ممن حضرها .

ولما جاءت دولة الباشا ابي التناء محمود باي ضمه الى ابنه مصطفى باي ، ولقبه بصاحب الطابع ، ولازمه في سائر أسفاره بالمحال ، واستكفى به في أموره ، وقربه نجيا ، وفتح أذنه لرأيه ، وجعل لنظره تربية ابنه أبي العباس احمد باي ، فكان يجالسه مجالسة الصاحب ، ويفيده في صورة محادثة ومؤانسة ، وهو الذي حضه على معرفة التاريخ ، وأخبار الناس ، ويقول له : « الجهل في نفسه قبيح ، وهو في عظمة الناس أقبح » ، سمعت ذلك مرارا من المقول له .

وله عند الباشا حسين باي منزلة نبيهة ، يُحْضِرُه في مجالس مشورته ، ويعتبر رأيه ، ويبني على اساس تدبيره ، فَوَزَّانُه في هذه الدولة وَزَّان الوَزيز الشهير ابي النخبة مصطفى خوجة (1) في دولة البايع أبي محمد حمودة باشا ، يقتدي به الكبير والصغير ، ولا يقطعون أمرا دونه ، تيمنا برأيه ، وهمهُ صلاح ذات البين بين الاخوين ، وسائر اهل هذا البيت ، حتى ان شيخنا العلامة ابا عبد الله محمد بيرم الثالث يسميه بقية السلف الصالح .

وصاهره البايع مصطفى باشا على بنته ، وبنى بها في داره ، قبيل وفاته ، وأوصاه على بنيه وبناته ، في مرض موته ، فكان فوق الظن ، حنا عليهم حتى الام على الفطيم ، حتى زوجهم ، وقال لما تزوجت الاخيرة ، بالوزير الخطير أبي النخبة مصطفى خزنه دار : « الآن ملكت أمر نفسي » .

وبالجمللة ، فعل مع اولاد سيده أكثر مما يفعله الاب البر والام الشفيقة .

وله فراسة في الرجال تكاد لا تخطيء ، والمؤمن ينظر بنور الله ، كان يتوسم في أبي عبد الله محمد خزنه دار ، وفي أبي محمد خير الدين ، ما رأناه منهما الآن ، وكان يجلسهما بين يديه ، ويحادثهما ، ويسألهما كالمسترشد ، ويفتح أذنه لجوابهما ، وهما في اول سن الشباب ، وشأوه لا يلحق في السياسة ، وغوره فيها بعيد ، لم يتجه عليه انكار ولا اعتراض ، في سائر ما باشره على اختلاف الاغراض .

(1) في غ و ع : خزنه دار ، وهو خطأ (انظر ج 3 ص 12)

وسافر في غرض سياسي الى الجزائر اثر أخذها ، ومعه الاكتب البارع ابو الربيع سليمان المحجوب .

ملأ حب الوطن قلبه ، وخامر لبه ، يوتر عادات البلد ، في النفس والولد ، يقدم المصلحة على نفع ذاته ، وسائر لذاته .

لما جلس ابن تربيته المشير ابو العباس احمد باي على أريكة المملكة ، رأى (1) ان يوتر بوزارته ابا النخبة مصطفى خزنه دار ، لاسباب قررها لمحبيه ، منها ان سيده يحبه ، والانسان ينقاد بالطبع الى رأي من يحبه ، ومنها أنه رأى في هذا الرجل مخائل النجابة ، واسباب التقدم ، فأراد أن يضم له عقل الممارسة والتجريب . ولما امتنع من القبول كلمه ، وأغلظ له في القول ، فأبى ان يتقدم ، فاستأذن في التوجه لتفقد احوال الساحل ، وقال له : « ها أنا مسافر ، فان تقدمت لخدمة سيدك الذي رباك في حجر أمه ، فعلت بعض ما يجب عليك ، والا فالتبس جبة العقوق » ، فتقدم عن كره خوفا من وصمة العقوق .

وتقدم لهذا الفاضل ذكر في الباب الخامس والسادس ، والآثار تغني عن الاخبار . وكان خيرا فاضلا ، سليم الصدر ، صبورا ، غاض الطرف عن المعائب ، كريم النفس ، عالي الهمة ، حسن الخلق ، ندي الكف ، قل ان تجد واحدا ممن عاصره ليس له فضل عليه ، ولذلك لم يتمول كأمثاله ، شجاعا ثبنا ، جيد الفهم ، ثاقب الفكر ، لو أوتي فصاحة على قدر فكره ما جرى لاحق في مضماره ، يحب التاني والرفق ، متخلقا باوصاف الكمال والخير ، لم يحفظ عنه انه تسبب في ضرر ، بل يحتمل المضرة ، ويصفح .

اشتكى به القايد محمد بن سليمان بن الحاج في نازلة بالمحكمة ، لو سمعها أنصفه قبل الشكاية ، وأساء الادب معه ، ونال منه ، كأنه مغررى به ، فاحتملها ، وتجاوز له ، ولما عضه الدهر رق له وأعانه ، وذكر لامير الوقت سلفه في الخدمة ، واستعطفه الى مؤاساته وجبره . ولامه بعض خواصه في ذلك ، فقال : « سبحان الله ، المؤمن لا يبصر على حقد » . الى غير ذلك من أخلاق الاخيار .

(1) اي صاحب الطابع

يحب العلماء ويعظمهم ، ويعرف معنى العلم وثمرته ، وان لم يكن من اهله ، يقول الحق ولو على نفسه . استشار المشير رحمه الله رجال دولته في أمر ، وكان هو وجه الجماعة ، فقال للمشير : « أي شيء تشتهي [سيادتكم ؟] » ، فبين له مراده ، وانفض الجمع على غير رأي . ولما خرجنا انكرت عليه قوله : « أي شيء تشتهي سيادتكم ؟ » [وقلت له : « لو أراد شهوته لفعلها بدون مشورة » ، فقال لي : « اذا غالطنا أنفسنا ، لا نغالط ربنا ، وهو أعلم بنا منا ، ناشدتك الله ، أترى خدمتنا مقصورة على المصلحة ، وما يقتضيه العقل والتجربة ، من غير اعتبار لشهوة الملوك ؟ أترى نفسك في فرانسا ايها الشيخ ، ودليل ذلك عدم نتيجة هذا الجمع » ، فلم اجد جوابا .

يُحِبُّ المساواة في الحكم ، كانت له غنم بيستانه المعروف بسالة الكاهية ، فأكلت غلة الزيتون المجاور له ، فرفعت الشكاية للمشير ، فقال له : « ما افضل يا أباي ؟ » ، فقال له : « الواجب عليك ان تفعل ما تفعله مع اقل الناس » ، فقال له : « نعم نطيع الغنم ، ونطعمها للعسكر على العادة » ، ففرح ، وبأغ الاذن في طبعها بنفسه ، سرورا بلذة التساوي .

ولما وقع عهد الامان والقانون ، قال : « هذا ما كنت اهتف به مذ عرفتكم » ، يشير الى ان ملك الاطلاق لا يكون الا لله ، وان القانون لا محيص عنه ولو بعد حين ، « وارى انه تجدد ملك لاولاد حسين بن علي بهذا القانون في هذا القطر » .

وكان ذا ولوع بمقدمة ابن خلدون ، حتى كاد يحفظ محل الحاجة منها ، وصار رئيس المجلس الاكبر ، وهو مجلس الشورى .

وكان لا يستحسن صرف العناية في التحسين والتقليد ، ويقول لنا : « بقدر العناية بهذه الزوائد تضعف العناية بالاصل ، والتحسين جاء لاهله شيئا بعد شيء » ، وهذا شأنه في التصيحة .

وكان ابن العريكة ، طلق الوجه ، يغلب عليه الصمت ، لقصور فصاحته ، متوددا الى الناس . أتاه ابن صلبه ليقبل يده ، ونحن معه ، في انتظار خروج الباي صباحا ، وقد صدر امر يتحجير قبيل يد غير الباي ، فانتهره وقال له : « ألم يبلغك الامر ؟ » ، فأجابه الابن بان التحجير في غير الآباء ، فقال له : « انت الآن في محل خدمة ، وأنا وأنت كساتر رجالها ، كل على حسبه ، فاذا صرنا الى دارنا تمحضت الابوة والبنوة ،

وهؤلاء الناس كل واحد منهم يراني كأبيه ، وأراه كابني ، ولا أوثرك من بينهم ، وفيهم من يعزّ عليّ مثلك ، وأكثر منك ، باعتبار ما فيه من النفع لهذه البلاد ، الى غير ذلك من اسباب المودات ، ولو من الحساد العداة .

وكان آية الله في الوفاء ، فعل مع دار الجلولي من الاعانة على نواب الدهر ، ما بعد العهد بمثله في أخبار الوفاء ، يعرف ما للبيوت النبيهة من المنازل ، سواء في ذلك الحواضر والعربان .

ركبه دين في أواخر امره ، اضطر فيه الى بيع الربع والعقار ، وذلك في دولة أبي عبد الله محمد باي ، فأخذ الله بيده ، والله يأخذ بيد الكريم ، وأتاح له من غيرة الوزير أبي النخبة مصطفى خزنه دار ما فرج كربه ، وأدى أكثره من ماله ، وان فعل معه في أوائل هذه الدولة ما لا يقتضي ذلك ، مما لا يعد الا على مثله من الافاضل ، ومن الذي ما ساء قط ، ومن له الحسنى فقط .

ثم لم يزل بالغ الامنية ، رافلا في أوصافه السنية ، واعماله الدالة على خلوص النية ، والسياسات على رأيه مبنية ، والاجلال يرد عليه من كل ثنية ، الى ان وافاه رائد المنية ، عشية يوم الجمعة سلخ شوال سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـف (10 ماي 1861 م) ، وحضر جنازته أمير العصر المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي وآل بيته ، ودفن بالتربة الحسينية ، وهو الذي قبل عزاءه ، وتولى رئاسة المجلس الاكبر عوضه الوزير أبو محمد خير الدين ، الذي كان يستنجه ، وهو كاهيته .

[343 - محمد علي آغة]

أبو عبد الله محمد علي آغة

أصل هذا المملوك من جنوة ، وأسلم صغيرا ، وثرى في الخدمة في الصرايا عند الباشا أبي عبد الله حسين باي ، وأجراه خلف ابنه حتى كبر ، وسافر معه في المحلة من جملة المماليك ، وقدمه الباشا أبو النخبة مصطفى باي آغة وجق ، عوض أبي عبد الله محمد شولاقي ، لما قتل الوزير شاكير صاحب الطابع .

وتدرج في الخدمة وساعده البخت ، وتولى الاعمال كوطن رياح ، والوطن القبلي ، واشتدت وطأته على أهل عمله ، وعاث في أقارب شيخنا بركة العصر سيدى

ابراهيم الرياحي ، ولم يرع فيهم إلاّ ولا ذمة . وسبب ذلك انه طلبه رجل بحق شرعي عند الشيخ ، فبعث له الشيخ يعلمه ليحجب ، فأنف من ذلك ، وصدرت منه مقالات ، انتقدها عليه اهل العقل والكمال ، من بنسي جنسه ، وسقط من أعينهم . ثم ان الشيخ لم يرفع به شكاية ، وانتصف بالله القوي المتين ، وذلك ايام مرض المشير أبي العباس احمد باي .

ولما دالت الدولة لابني عبد الله محمد باي ، وهو عامل بالوطن ، اشتد على رجل من اهل الوطن ، وضربه ضربا مبرحا ، حتى اشرف على القتل ، فشكاه أهله ، فكتب اليه برفع يده ، وحلف اذا مات المضروب ليقتلنه به ، وقدم منكرا لفعل الباي فمرض . وكان عسوقا جريئا ، متهورا على الاحكام الشرعية ، ضيق الصدر ، فارسا راميا ، وأصيب ببصره في مرضه الطويل ، الى أن تمنى له أحبابه الموت .

ويقال ان الرجل الذي ضربه مات ، فصالح صهره الاولياء على مال ، وعند الله تجتمع الخصوم .

وتوفي ببستانه بمنوبة سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـ (61 - 1860 م) ، ودفن بزاوية سيدي عبد الوهاب ، ساعه الله وغفر له .

[344 - احمد حافظ خوجة]

أبو العباس احمد حافظ خوجة

أصل هذا الرجل من قبرص ، وحفظ القرآن ببلده ، وسمي حافظا على عادة الترك ، ثم قدم الى اسلامبول لقراءة العلم ، وسكن بعض المدارس ، ورام زيارة بلده ، في بعض ايام البطالة من الدروس ، فصار يأتي الى المرسى باسلامبول ليجد مركبا متوجها لبلده ، وفيها سفن لتونس بجمع العسكر ، على العادة السابقة ، فقابله الرايس علي العشي ، وقال له : « انا أحملك الى بلدك في سفيتي بلا كراء ، لان مروري عليها » ، فحمله ، ولما خرج به من البوغاز ، قال له : « انا متوجه الى تونس » ، فجاء به ، ورسم في دفتر الجند ، على عهد الباي أبي محمد حمودة باشا على كره ، وخدم في صناعة القلم خوجة ، وبعد عام أتى الباي يطلب التسريح لبلده ، فقال له الباي : « اني متوجه في العام المقبل

الى اسلامبول ، واحملك معي بلا كراء ، كما قَدِمْت « ، فرجع الى القشلة مسرورا ،
وأخبر رفقائه من الجند بهذا الوعد ، فضحكوا من جده ، وأعلموه بخلطه ، فصبر .
وترقى الى ان صار باش خوجة في المحكمة ، ثم باش خوجة الديوان ، وانحصر
فيه ، على قصوره ، القلم التركي .

وسافر للقسطنطينية مع الوجيه محمد امين باش خوجة .
وسفر لمصر عن الباشا أبي عبد الله حسين باي ، بهدية العزيز مصر ، الطائر
الصيت محمد علي .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا غرا كريما ، حسن الاخلاق ، جميل المعاشرة ، بعيدا
عن منازع الفضول ، لين العريكة ، وفيا بالعهد .

واعتراه مرض قبل وفاته اقعده عن الخروج من محله ، الى ان توفي يوم الخميس
الثالث عشر (1) من ذي الحجة سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـف (20 جوان
1861 م) ، واعقب اولادا تخلقوا بخلق أبيهم ، من أمائل اهل الحضارة .

[345 - سليمان الحسني]

أبو الربيع سليمان بن خالد الحسني

هذا القائد من نهباء بيوت القائد حسن ، مملوك مراد باي ، نشأ في خدمة الدولة على
عادة آله ، وتسلم ذرى الاعمال النبيهة في العروش ككريد وغيرهم . وله عند مخدومه
الباشا ابي عبد الله حسين باي مكساةة وقربى ، يجالسه ويسامره .

وكان وجيها كريم النفس ، ندي الكف ، حسن اللقاء ، فطنا ليبيا ، فصيح
اللسان ، حلو المحادثة ، جامعا بين سداجة العرب وحذق الحضارة .

ثم تراجع به الاقبال ، ورمته الليالي بالنبال ، وافضى حاله الى الاضمحلال ،
والدنيا لا تدوم على حال ، وتوفي بحال اقلال سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والـف
(61 - 1860 م) .

(1) هو II حسب التقويم .

[346 — محمد بن احمد بوخريص]

الكاتب ابو عبد الله محمد ابن العلامة أبي العباس أحمد بوخريص

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، وهو أكبر النجباء بنيه ، فأخذ عنه ، وعن العلامة ابني عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وأبني عبد الله محمد بن صالح بن ملوكة وغيرهما . وحصل درجة التحصيل ، الا انه لم يدرس بالجامع الاعظم ، وتصدر للتوثيق ، ثم استكتبه ابو النخبة مصطفى باي ، وسافر معه في المحالّ ، ثم تقدم لخطبة الانشاء ، ويسافر مع الباي . وصار كاهية الرئيس في ديوان الانشاء .

وكان فقيها محصلا ، موثقا ، كاتباً ، جميل الخط ، خيرا وجيها ، عفيفا نقيا العرض ، ذا همة عالية ، ونفس ابية ، حسن المحاضرة ، كريم النفس . وله الى الله وجهة حسنة .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي في ربيع الثاني من سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والف (اكتوبر 1861 م) .

[347 — محمد بيرم الرابع]

شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام ابني عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام ابني عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام ابني عبد الله محمد بن حسين ييسرم .

ولد هذا الفاضل ليلة الاثنين آخر جمادى الاولى سنة 1220 عشرين ومائتين والف (26 اوت 1805 م) . ونشأ بين يدي أبيه ، واستأثر به جده . وأخذ عنهما الفقه الحنفي ، وأصوله ، وأخذ عن شيخنا ابني اسحاق ابراهيم الرياحي ، في جامع صاحب الطابع ، وشيخنا ابني العباس احمد الابني ، وشيخنا ابني عبد الله محمد بن ملوكة ، وشيخنا ابني زيد عبد الرحمان الكامل . وجنى ثمار التحصيل ، بغير استناد لاصله الاصيل .

ودرس بالجامع الاعظم ، والمدرسة العنقية والباشية ، وتقدم لخطبة الفتوى ، عند وفاة جده ، مرثوسا بأبيه ، فأخذ رايته باليمين ، وسابق في ميدانها السابقين ، وعُدّ فيها من الراسخين ، وعارض أباه في مجالس الحكم بما أوتي من حدة الفهم .

وتقدم للخطبة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فجلّى في ميادين الخطباء ، كما جلّى في ميادين الادباء .

ثم انتقل لخطبة الجامع اليوسفي ، وكان المشير أبو العباس احمد باي يستشيره ويدينه ، ويسرع الى بلوغ أمانيه ، ويصله بما يغنيه ، وبكسل إجلال يعنيه .

وامتحن في آخر أمره ، بما امتحن به جده ، وهو انتخاب عدد معين من الشهود ، فسخطه كثير من اهل البلاد ، وسلقته اللسن الحداد ، وأتّى للمخلوق وارضاء العباد .

وذلك ان ابا عبد الله محمد باي كان ينكر كثرة الشهود ، ويراهم مفسدة ، ولما دالت الدولة له ، تكلم مع الشيخ في ذلك ، وقال له : « ان الحاضرة لا يكون فيها أكثر من مائتي شاهد ، وبلدانها على حسب اتساعها » ، وامره بانتخاب المائتين في الحاضرة ، فنقل عليه ذلك ، وقال له : « الاوّل ان يتقيد سائر من في الحاضرة من الشهود ، وتعطى نسخة من ذلك التقييد لكل واحد من اهل المجلس الشرعي ، ينتخب منها مائتين بمقتضى ما يدين الله به ، ثم تجمع تلك النسخ ، فمن وقع عليه الاتفاق من سائر المجلس في الانتخاب لا كلام فيه ، وما وقع عليه اتفاق الاكثر يُبقَى الى تمام المائتين » .

وكان في الحاضرة يومئذ أكثر من ستمائة شاهد ، ولما تم الانتخاب ، ظهر للباي ان يثبت ما انتخبه الشيخ وحده ، ظنا منه ان ذلك من تعظيم الشيخ ، فكتب له في جريدة انتخابه ، وأمره ان يكتب في أمر كل واحد ممن انتخبهم خطّه ، كما فعل جده ، فامثل الشيخ هذا الامر ، من غير مراجعة ولا توقف ، حتى يظهر للعيان أنه مأمور بتنفيذه ، وأنف أهل المجلس الشرعي من ذلك ، ورأوا ازدراء بهم وحطه ، وتجرعوا مرارتها ، وعاداه كل من لم ينتخبه ، واطلق لسانه في مصون عرضه ، وجاهر بالدعاء عليه وبغضه ، وصدق مَنْ هَدَّ بِهِ لا يترك ، « رضى الناس غاية لا تدرك » ، قال الله تعالى لرسوله : « وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطُوا مِنْهَا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وهو من أشد الناس خوفا على عرضه ، ومن المقدور لا يغني الحذر .

وكان رحمه الله تعالى من أفراد الدنيا ، حالاً من الكمال بالمرتبة العليا ، رجل الفتوى وابن رجالها ، وفارس مجالها ، ان نطق استمال القلوب ، أو كتب فاز بكل مطلوب ، بذهن يكشف الغوامض ، ويسبق البرق الوامض .

وله في الفقه باع ، وتبحر واطلاع ، وفي غيره من العلوم أوفر نصيب ، يرمي فيها بالسهم المصيب .

وله في الادب سهام راشقة ، وعقود متناسقة ، ما شئت من همة عليّة ، ونفس عصامية ، ومحاضرة تفعم الحياض ، واخلاق كازهار الرياض ، وسياسة ودين ، وتقديم في الميادين ، التي منها الاجتماع الشرعي بالديوان ، والامر المعلق به من انشائه ، ليومنا هذا .

ولم يزل متقدماً بنفسه ، على ابناء جنسه ، الى يوم رسمه .

توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء الرابع (1) من جمادى الاولى سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والف (5 نوفمبر 1861 م.) ، وحضر جنازته المشير ابو عبد الله محمد الصادق باي ، في آل بيته ووزرائه ، وحمله بنفسه ، ودفن بالجلال حذو ابيه ، وبكته الاشعار بمراثيها .

وله رسالة في الشفعة ، وموضوع في تراجم خطباء الحنفية ، لم يخرج من مسودته . وكتاب في شعر المتأخرين سماه « الجواهر السنّية » ، ورسالة شرح بها قواعد عهد الامان .

[348 - علي الخليوي]

أبو الحسن علي ابن الحاج قاسم الخليوي العراقي القيرواني

نشأ هذا الرجل بالقيروان ، وحفظ بها القرآن العظيم ، ثم جد في طلب العلم ، ورحل اليه من بلده على نقص في رحله ، وهو فاقد البصر ، حاد البصيرة ، فأخذ عن أعيان الحاضرة ، كشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي العباس احمد الابي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار وغيرهم .

(1) هو 2 حسب التقويم .

ولما حصل ملء حوضه ، رجع الى مسقط رأسه ومنبت روضه ، فأخذ ييثر العلم في الصدور ، ويزين الصدور .

وكان خيرا عفيفا ، جيد الحفظ ، فصيح اللفظ ، يصيب الاغراض بسهمه ، على قوس فهمه ، حسن الخلق ، طيب المعاشرة ، زكي النفس ، لطيف المحاضرة .

ولم يزل في هذه الثنية ، الى ان وافته المنية ، في العشرين من شعبان سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والفر (الخميس 20 فيفري 1862 م) .

[349 - حسونة القسطنطينى]

أبو محمد حسونة ابن الحاج احمد القسطنطينى

نشأ هذا الرجل بين يدي أبيه ، واقبل على التجارة ، ولما توفي والده قام مقامه في وكالة الجامع الاعظم ، ثم انضم الى الوزير أبي عبد الله حسين خوجة ، وامل الانتظام في سلك رجال الدولة ، وطلب من الباشا أبي عبد الله حسين باي ان يزور بستانه في في مرناق ، فاحتفل لذلك ، وأتاه الباي ، وتغدى عنده ، وترفع في أحواله عن سيرة ابيه ، فضيع الموجود ، ولم يحصل المقصود ، واخذ القهقرى وأرهقه الدين والربا ، وطار كسبه كالهبا ، وتوفي سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والفر (62 - 1861 م) ، وكان يتمنى الموت في آخره ، وشر من الموت ما يُتمنى به الموت ، رحمه الله تعالى وغفر له .

[350 - محمد بن حميدة بن الخوجة]

شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد

ابن العلامة شيخنا ابي العباس حميدة بن الخوجة.

نشأ هذا العلامة بين يدي أبيه ، واخذ عنه ، وعن غيره كالشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخ الاسلام ابي عبد الله سيدي محمد بيرم الثاني ، والشيخ بيرم الثالث ، وغيرهم .

وشمر في طلب العلم عن الساق ، حتى سبق اهل السباق ، ثم تصدر للتدريس ، ونثر الدر النفيس ، بتقرير يدل على امتداد الباع ، وسعة الاطلاع ، تقف دونه الاطماع ،

فاستمدت من شمس علومه البدور ، وانتفعت به العامة والصدور ، وعلق أياديه في النحور ولم يتقطع عمله بعد موته ، كما في الحديث المأثور .

ثم زين خطة القضاء بالمذهب الحنفي ، فأجرى الحق ووضح ما خفي ، وبرع في تطبيق الاحكام على النوازل ، مسوياً بين الخصوم وان اختلفوا في المنازل ، بعدلٍ ميزانه قائم ، وجزالة لا تنثني عن الحق بلائم .

وكان شديدا في معاوضة الاحباس . ظهر للباشا أبي النخبة مصطفى باي ان يعطي هنشيرا يعرف بهشام ، لوزيره وصهره أبي النخبة مصطفى صاحب الطابع ، لقربه من بستانه المعروف بسبالة الكاهية ، وكان الهنشير من احباس جد الباي ، وهو احد المستحقين ، فأمرني بخطاب هذا القاضي ، فامتنع ، فلاطفته ، فليج في الامتناع ، فقلت له : « سبحان الله ، من مذهبيكم جواز معاوضة الحبس ، بما هو أعود نفعاً ، واطيب صنعا » ، فقال لي : « ذلك موكول الى قاضي الجنة ، الذي النفس به مطمئة » ، ثم استأذنت الباي أن اكلمه في المجلس بمحضر الجماعة ، فقال لي : « تكلم بالنيابة عني » ، فجلست مجلس الخصوم ، وأعدت المطلب ، فقال لي في ذلك المشهد : « يا ابني ، ان بدني لا يطيق النار » ، ثم التفت الى الباي ، وقال له : « انا نائب عنك ، ولم تظهر لي مصلحة في هذا العوض ، فان ظهرت لك المصلحة فافعل ، وكاتبك هذا يحسن الكتابة ، وانت تحسن النظر » ، فرجع الباي ، على عادته في الوقوف مع الاحكام الشرعية ، والادب معها ، رحمه الله .

ثم انتقل الى خطة الفتوى ، فأخذ رايتها باليمين ، وتزينت بالعالم المحقق الامين ، وتقدم لخطة القضاء أكبر بنيه ، فابتدأ من حيث انتهى أبوه ، وزانها بالعلم والتقوى ، كثر الله من امثاله في العلماء .

ثم انتقل الشيخ من الفتوى الى رئاستها ، فبلغت به الى غايتها .

وكان هذا المحقق تقياً نقياً ، ورعاً معدوداً في درجة المجتهدين ، خاتمة المحدثين ، كاد ان يحفظ « صحيح البخاري » ، لانه اتخذ قراءته كل يوم ورداً ، ذا فكرة يدعوها فلا تتوقف ، ويلقي عصاها فتتلقف ، رفع للعلم راية خافقة ، واقام له سوقاً نافقة ، وجرى في ميادينه طلق الاعنة ، ماضي الطُّبَا والاسنة ، متبلاً بما دون الكفاف ، متجملاً بالعفاف ، ما شئت من كرم أخلاق ، وأيادي في الاعناق ، ألزمت من الاطواق ،

ونفس لطيفة الشمائل والشيم ، ومحاضرة يفوق نفعها الدائم ، مع بركة تظهر عليه سيماها
وديانة لا تعرف الشبهات حماها ، ولا غير الدهر اسمها ولا مسماها .

ولم يزل ركن استلام ، الى ان فجع بنعيه الاسلام ، في يوم عاشوراء من سنة 1279
تسع وسبعين ومائتين والـف (الثلاثاء 8 جويلية 1862 م.) بجبل المنار ، وأتى به الى داره
بتونس ، وقدم لجنازته صاحب الدولة المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي من حلق
الوادي ، في يوم شديد الحر . وطلب بعض الاعيان ان يصلّي عليه بصحن جامع ، فقال
الباي : «العادة ان يُصلّي على مثله يبطحاء القصبية ، وربما يظن ابنه اننا عدلنا به عن
أمثاله » ، ولما استؤذن في ذلك ، قال : « لا اختيار لي ولا نظر ، والنظر لمن له النظر ،
غير أنني أعرف ان والذي يحب الرفق مطلقا » ، فصلّي عليه بجامعه ، ودفن حنو والده
بزواية سيدي عطية قرب داره ، وجدد الباي هذه الزاوية .

وأعقب ابناء تسابقوا في ميادين الكمال والنجابة ، من قضاء وقتوى وتدريس
وكتابة .

واقضى ان كان تاريخه لفظ « عاشوراء » ، رحمه الله .

[351 - فرحات الملوك]

أبو المسرة فرحات الملوك

هو من الجراكسة ، ومن ممالك الباي أبي محمد حمودة باشا . نشأ في الخدمة
في الصرايا ، ثم خرج في دولة الباشا ابي عبد الله حسين باي ، وتزوج بتونس ، وقربه
المشير أبو العباس احمد باي ، وسفر عنه الى الدولة العلية العثمانية غير مرة ، ثم قدمه امير
آلاي عسكر زاوية .

وكان تركي السجية ، فصيحاً بالتركية والعربية ، فارساً رامياً ، حسن النعمة بتلاوة
القرآن . قرأ بالمحفل (1) يوم اقيمت الصلاة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب
الطابع ، فشئف الاسماع ، وظهر منه في الاداء باع .

(1) المحفل : منصة تجاه المحراب يصعد اليها بسلم في جوامع الحنفية ، جعلت للقراءة والثناء

وكان حسن الاخلاق ، عالي الهممة ، نزيه النفس ، نقي العرض ، حسن المحادثة ، يكتب بالقلم التركي ، ورتبته في ديوان الجند خوجة .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان صار الى مآله ، في ذي القعدة من سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والـف (افريل — ماي 1863 م) .

[352 — عبد القادر بن غشام]

الكاتب ابو محمد عبد القادر بن غشام

نشأ في بيت شرف وعفاف ، وأصل جده من سلا ، قدم الحاضرة ، وتنقل في الخطط العلمية ، من عدالة وامامة ، وتولى خطة القضاء في بتزرت ، وخطه معروف في الكتب ، وله تأليف في الادب سماه « الكوكب الثاقب في الاخبار والمناقب » ، ونسج بنوه وحفدته على منواله ، وتسابقوا للاتصاف بخلاله .

وكان هذا الخير منهم ، فحفظ القرآن ، واقبل على العلم ، فأخذ عن عالم العصر شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي العباس احمد الابي وغيرهما .

واستفاد وحصل الملكة ، ثم تصدر للتوثيق ، فكان من رجاله ، وفرسان مجاله ، ثم استكتبه ابو الثناء محمود بن عياد في بعض أشغال عمله ، وتعلق به ليستفيد منه ، وأنزله منزلة شيخ ، وقرأ عليه كتبا عديدة ، من تواريخ الاسلام .

وسافر معه لفرنسا على كره ، بالزام من المشير أبي العباس احمد باي . ولما طالت مدة الاقامة ، رجع الى مسقط رأسه ، ومعهد ايناسه ، صفر اليدين ، مثقلا بالدين ، ونفص يده من هذه الطريقة ، وارترق من رشح قلم الوثيقة .

ثم ان المشير استكتبه في قلم الإنشاء ، فقام بخطته ، ثم توجه لاداء فريضة الحج ، فحج وزار ، وغسل الاوزار ، وقفل راجعا للوطن والمصر ، فوافاه رائد المنية بمصر ، في سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والـف (63 — 1862 م) .

وكان فقيها مشاركا ، فرضيا ، كريم المحند ، حسن الاخلاق ، طيب المعاشرة ، خيرا وجيها ، محافظا على عبادته ، وهي من أسباب سعادته ، رحمه الله .

[353 - مصطفى بوغازلي]

أبو النخبة مصطفى بوغازلي الحنفي

نشأ هذا الرجل في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخنا أبي العباس سيدي أحمد الابي وغيرهما .
ودرس بالجامع الاعظم ، وغالب دروسه الفقه الحنفي ، وتولى شيخا في مدرسة باردو ، واضافه المشير ابو العباس احمد باي الى ابن تربيته الوزير الشهير الطائر الصيت أبي النخبة مصطفى خزنه دار ، فقرأ عليه الفقه ، وانتفع به .
كان فقيها خيرا وجيها ، عفيفا نقي العرض ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .
ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي عن سن عالية ، اواسط محرم من سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والـف (اواسط جويلية 1862) .

[354 - محمد بابوش]

الكاتب ابو عبد الله محمد ابن الكاتب ابي المحاسن يوسف بابوش

نشأ هذا الرجل في طلب العلم ، وأخذ عن أعيان كشيخنا ابي العباس احمد الابي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد ابن الخوجة ، وشيخنا ابي عبد الله محمد يرم الثالث ، وعالم العصر شيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم .
واستفاد وحصل ملكة المشاركة ، وتقدم خطيبا بجامع القصبية ، وكتابة دار الباشا ، بعد أبيه ، ثم انفصل عنها بلا ذنب ، ثم أعمد لها ، الى ان انقرض الديوان بدار الباشا ، وكان فقيها خيرا وجيها ، مشتغلا بنفسه ، رافضا للفضول ، يغلب عليه الحياء ، ذا مروءة وعزة نفس .
ولم يزل على أدبه ، الى ان اجاب داعي ربه في منتصف رجب سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والـف (اوائل جانفي 1863 م) .

[355 - مصطفى بيرم]

ابو النخبة مصطفى ابن شيخنا شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم نشأ هذا الرجل في شرف بيته ، ومجد حيه وميته ، فقرأ ما تيسر ، وعلم ما يجب لديته ، واقبل على أحوال معاشه ، ونمو كسبه ورياشه ، وصرح لايه بانه اختار هذا المسلك فأسغه .

ثم قدمه صهره المشير ابو عبد الله محمد باي لخطبة الحسبة على الاحباس ونحوها ، فرام ان يسلك بها سبيل السلف الصالح ، ولم يسغه طبع آخر الزمان الكالح ، وصار بين قادح ومادح ، شأن من يلي الاحكام . ثم دفع ما استخلصه من فواضل الاحباس ، وآثر امانة الدولة على أمانته ، ورآه من ديانته .

وكان ثقة أمينا ، وجيها ماجدا ، خيرا عزيز النفس ، حسن المعاشرة ، جاريا على سنن آله ، في غالب احواله ، وعافاه الله من ثقل الحسبة .

توفي في جمادى الاولى من سنة 1280 ثمانين ومائتين والـف (اكتوبر - نوفمبر 1863 م) ، واعقب ابنا هو الآن في سلك المدرسين .
[وهلاله في نمو ، كثر الله من امثاله] (1) .

[356 - محمد العربي الشريف]

أبو عبد الله محمد العربي الشريف

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كالشيخ حسن ، والشيخ الطاهر ، والشيخ الرياحي ، والشيخ بن ملوكة . فحصل واستفاد ، ودرس فافاد ، ونفع العباد . وكان فقيها فرضيا ، ذكيا فصيحاً ، خيرا عفيفا ، حسن الاخلاق ، عالي الهمة ، نقسي العرض .

ولم يزل على حاله ، متجملا بلروسه وخلاله ، الى ان توفي اوآخر جمادى الاولى من سنة ثمانين ومائتين والـف (أوائل نوفمبر 1863 م) .

(1) ما بين القوسين ساعد من خ مثبت في ع و ق .

[357 - فرحات الملوكة]

أبو المسرة فرحات المملوك

أصله من أبناء الروم ، رباه المشير ابو العباس احمد باي ، وقرأ القرآن ، وحفظ ما تيسر منه ، وجوّد على الشيخ ابي عبد الله محمد المكيني ، مع غيره من مماليكه ، على عادة اعتنائه بتهذيبهم ، قبل استعمالهم وتقريبهم ، ثم استعمله وعلمه الصناعة العسكرية ، وبرع فيها ، ثم أمّره على عسة صرايته من العسكر ، فقام بواجبها ، وبعثه سفيرا عنه لطرابلس ، فرجع ناجح السعي .

ولما هرب أبو الثناء محمود بن عياد استكفى به سيده في ضبط خططه ، واهمها يومئذ الرابطة ، بعد ان عرضها على قرينه أبي محمد خير الدين ، فامتنع واعتذر ، وأمره ان يقتضي سيرة بن عياد ، ففعل وحصل للدولة ما كان يستأثر به ابن عياد ، كما ذلك محرر في دفاتر حسابه ، ونجم في هذه الخدم ، وبرع على حسب ما اريد منه ، وما أمر به ، وان لم يسلم من اعتراض ، على حسب الاغراض ، وقام بخدمة سيده في مرضه على حسب غرضه . ولما توفي اقره الباشا المشير ابو عبد الله محمد باي في امارة العسة ، وبعض ما بيده من الخطط ، وسافر في المحلة مع ابي عبد الله محمد الصادق باي . ولما رجع تقم عليه صاحب الدولة أمورا عزله بسببها ، لاجل التربية ، وبعد أيام رضي عنه ، وأعادته الى منزلته ، وسافر عنه في غرض التهئة ليريّ نَابُلِيّ ، فاحسن السفارة .

ولما آلت الدولة لصاحبها الآن المشير ابي عبد الله محمد الصادق باي ، قربه ورفع منزلته ، وصيره من رجال مشورته في مجلسه ، وأولاه آغة بالكاف ، واعمال عروش ونيفة ، وسافر لها وجبى الستة والثلاثين ، مغلول اليد بالقانون ويطبعه .

ثم اقتضى نظر الباي ورأى من وافقه ، وقليل ما هم ، تضعيف الاعانة ، فظهرت نار فتنة الاثنتين والسبعين ، وجاءت الاخبار باتفاق كلمة العربان ، بل والبلدان ، على الامتناع ، وسهّل الاتفاق اتحاد السبب .

وكان رحمه الله ، قال للباي في مجلسه بمحضرنا : « ان عرباننا لا تطيق ذلك ، وانهم في شدة من الستة والثلاثين ، وفي العام الماضي بعث خيام كثير منهم ، وتركهم مع صغار بنهم تحت أديم السماء » ، فلم تستحسن مقالته ، ثم صدر له الامر في التوجه

لعمله ، اخلاص الاثنيين والسبعين ، ويكتب لوجق الكاف يتعرض له ، فتخوف من وصمة الجبن ، وهو في موضعه خير من الشجاعة ، فوصم بالتهور ، واجتمعت به قبل سفره بيوم ، فقال لي ، يندب نفسه : « فرحات يسافر ويموت قتيلًا ، ويبقى ابنه الشاذلي يتيما » ، فقلت له : « سبحان الله ، اي سبب في هذا التصميم ؟ » ، فاخرج لي مكتوبا من نائبه العربي القياس ، يحذره من القلوم ، وان لا يعتمد على المخازنية ، فانهم ان لم يكونوا عليه ، لا ينفعه احد منهم بشيء ، لاتفاق عامة الناس ، وما تصنع المخازنية مع اتفاق العامة ، الى غير ذلك من التحذير . وسافر مستسلما لقضاء الله وقدره ، فبعث له قايد دريد بمكانه من تيرسوق ، يحذره ويخبره باتفاق العامة ، ويستضيفه ليتفق معه على رأيي ، فبعث له : « اني واعدت الوجق ، وعينت لهم المكان واليوم ، فلا يمكن تخلفي » . وسار واجتمع بالوجق ، فكلمه نائبه والشواش ، بان « العامة اضعاف الوجق ، بحيث نموت جميعا بلا فائدة » ، فصم الاجل اذنه .

ولما وصلوا قرب الكاف ، رأوا جما غفيرا على بعد ، فقال له نائبه والشواش : « هؤلاء يقصدونك ، فالاولى ان ننحرف عن الطريق ، حتى ندخل للكاف » ، فقال : « هذا هروب » ، فأقبلوا عليه هاجمين ، فضربوا فرسه ، فسقطت ، ووقف تحت زيتونة ، وله مكاحل ذات جعاب متعددة ، وهو من أفراد الرماة ، واهل الثبات ، فدفع على نفسه دفاع المستमित ، وخذأمه يعمران له في مكاحله ، ورصاص القوم يتناثر نحوه فضرب من يعمر له بعد أن قتلت من هؤلاء عددا ، ثم رموه على يد واحدة ، فسقط ميتا بعد ان جرح في جلد جبينه ، وهو يمسح الدم ، ويقاقل . هذا ، وسائر الوجق ، من الشواش والمخازنية ، ينظرون اليه ، خوفا من استئصال شافتهم ، لكثرة القوم ، واذا سبق التقدير ، بطل التدبير .

ثم حمله خليفته الى الكاف ، وغسله وحنطه ، وبعث به الى بستانه المعروف بقبة النحاس ، بل بقبة النحاس ، ودفن جوار سيدي عبد الوهاب بمنوبة ، وحضر الباي وآل بيته جنازته ، وترك ابنه يتيما ، كما قال (1) .

وكان رحمه الله فصيح اللسان ، سليم الجنان ، معدودا من اهل الفضل والاحسان ، زينة امثاله من الاعيان ، آية الله في الترنم بتلاوة القرآن ، حاذقا ظريفا ، حسن

(1) انظر ص 138 ج 5 .

الاخلاق ، محمود المعاشرة ، وفيًا عالي الهمة ، نجيبا في أعماله ، جسورا في إقدامه ، الى ان كان سبب حماه .

وقتل رحمه الله شهيدا مظلوما ، وسبحان من يقول : « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لوكِيهِ سُلْطَانًا » ، في ذي القعدة من سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (اوائل ذي القعدة — اواسط افريل 1864 م) .

[358 - اسماعيل كاهية]

ابو الفداء اسماعيل كاهية

اصل هذا الخير من القرج ، ونشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا . وخرج مع من خرج من مماليكه ، ثم رجع للخدمة في دولة الباشا محمود باي ، وصار آغة وجق باجة ، وصاهره الباشا ابو عبد الله حسين باي على بنته ، وتدرج في الخطط ، وسافر في المحال ، وزاول الاعمال ، وقاد الفرسان الى ميادين القتال ، وصار كاهية باي المحال . وكان آية الله في الحياء والصدق ، والعفاف وكرم النفس ، والايثار وعلو الهمة ، سليم الصدر ، أبعد الناس عن الفضول ، وأقربهم الى الخمول ، تقي العرض ، متواضعا ، ما اغتر برفعة ، حلما صبورا ، محببا الى العباد ، يغلب عليه الجد في أحواله ، يقال في شأنه ، سلم الناس من يده ولسانه . وامتنح بموت ولده ، واعقب ابنا تلوح على صغره مخايل النجابة .

ولم يزل في صفاته الفاخرة ، الى ان لبي الى الدار الآخرة ، في ذي الحجة سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (ماي - جوان 1864 م) ، ودفن في التربة الحسينية ، وحفيده الآن هو الذي يعمر داره .

[359 - حميدة بيرم]

ابو العباس حميدة بن ابي عبد الله محمد بن ابي العباس حميده ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم .

نشأ هذا الالمعي في بيت مجده وشرفه ، وأقبل على طلب العلم كغالب آله وسلفه ، فأخذ عن عم ابيه العلامة الفاضل المقتي أبي النخبة مصطفى ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وعلى ابن عمه الشيخ بيرم الرابع وغيرهما .

واعانه على تحصيل المراد ، ما له من الفكر الوقاد ، لكن عاقته الامراض ، عن غالب الاغراض ، وكان فقيها ذكيا ، خيرا عفيفا ، ذا وقار وسكينة ، نزيه النفس ، عالي الهمة ، محمود السيرة ، ممن اختير لمجلس الشورى .

ولم يزل رافلا في حالاته المرضية ، الى ان اجاب داعي المنية ، اواخر ذي الحجة من سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (أوائل جوان 1864 م) .

[360 - محمود الباجي]

أبو الثناء محمود ابن الوجيه محمد الباجي .

نشأ هذا الشاب في ظل أبيه ، وأحسن تربيته ، وصار من أعيان التجار ، وانتخب للمجلس الاكبر على صغر سنه .

حاله : نقي العرض ، حسن التجمل ، حَيَّي .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى آن ارتحاله ، اواخر ذي الحجة سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (اوائل جوان 1864 م) ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

[361 - حسن الخيري]

الشيخ الفاضل ابو محمد حسن الخيري المنستيري .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ورحل اليه ، فأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد حسن الشريف ، والمحقق ابي عبد الله محمد الفاسي ، والمحقق ابي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم .

وبلغ درجة التحصيل ، مع فرط الذكاء الاصيل ، ودرّس بالجامع الاعظم فأجاد وأفاد ، وانفق مما لا يخاف عليه النقاد ، فشجذ الافكار بتحقيق فهمه ، وملاً الحياض بوابل علمه .

ثم تقدم لخطبة الفتوى ببلده المنستير وامامة جامعها الاعظم . ثم تقدم لخطبة القضاء بها ، فقام للعدل بواجبه ، وأجرى الحق على أعدل مذاهبه . ثم تقدم لرئاسة المجلس الشرعي بها ، فزان الرئاسة ، بالعلم والسياسة .

وكان عالماً فقيهاً ، ثاقب الفكر ، تقياً خيراً عفيفاً ، نقي العرض ، حسن المحاضرة ، جميل الاخلاق ، ما شئت من علوم جمّة ، ونفس بمعادها مهتمة ، وفضل وانصاف ، وحميد أوصاف .

ولم يزل محبباً الى الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (64 - 1863 م.) رحمه الله تعالى .

[362 - محمد بن عبد الستار]

ابو عبد الله محمد بن ابي عبد الله حسين ابن الحاج عبد الستار .

نشأ هذا الرجل بين يدي أبيه ، وقرأ ما تيسر ، وأقبل على شأنه ، ولم يسلك سبيل أخيه وأبيه ، وسلك ما يسره الله اليه من التكسب بالفلاحة ، وآثرها على البطالة والراحة ، وانخرط في سلك المجلس البلدي على كره .

وكان وجيهاً خيراً عفيفاً ، حسن الاخلاق ، وفي العهد ، كريم النفس ، حياً عالي الهمة ، ممن سلم الناس من لسانه ويده .

ولم يزل بحاله ، متجملاً بخلاله ، مقتدياً بآله ، الى ان توفي في صفر الخير من سنة 1281 احدى وثمانين ومائتين والف (جويلية 1864 م.) ، رحمه الله تعالى .

[363 - محمد العابد الشفي]

ابو عبد الله محمد العابد ابن ابي الحسن الحاج علي الشفي .

نشأ هذا الوجيه في بيت شرفه ومجده ، مقتدياً بأبيه وجده ، يرتزق من تراث آله ، وتجارات أعماله .

وكان وجيهاً خيراً ، عالي الهمة ، نزيه النفس . تقدم أميناً على العطارين ، فزان ولايته بجميل السيرة .

ولم يزل معدوداً في الاعيان ، الى أن أجاب داعي الرحمان ، في أشرف الربيعين من سنة 1281 احدى وثمانين ومائتين والف (اوت 1864 م.) ، وقام ابنه في الخطة مقامه .

[364 - محمد بن سليمان بن الحاج]

القائد ابو عبد الله محمد ابن القائد أبي الربيع سليمان ابن الحاج .

شب هذا الرجل في خدمة الدولة ، بين يدي أبيه ، ثم تولى الاعمال النيهة كصفاقس ودار الجلد ، وغير ذلك من الولايات المشار اليها . وساعده البخت في أعماله ، وحصل غالب آماله ، والدهر لا يدوم على حاله ، فتراجع حاله بعد الثروة والسعادة الى الاقلال ، عادة الله في امثال هؤلاء العمّال .

ولم يزل نازلا في درجات الاضمحلال ، الى ان سترته يد المنية ، في شعبان من سنة 1281 احدى وثمانين ومائتين والى الف (جانفي 1865 م) . وجهزه الوزير الخير ابو النخبة مصطفى خزنة دار ، الى لحده ، وأعقب أولادا اثبتهم المشير ابو عبد الله محمد الصادق باشا باي شواشا في وجق المخازنية .

[365 - صالح شيبوب]

أبو الفلاح صالح بن عثمان شيبوب الجربي .

والده من أواسط أهل جربة ، يتجر في سوق البركة ، في نسج جربة ، وثبت ابنه هذا على صغر سنه في الموسيقى العسكرية ، في دولة الباشا أبي عبد الله حسين باي ، ومكث مع غيره بسانية القدان ، يتعلم صناعة الموسيقى ، ثم سافر مع اسماعيل مملوك الوزير شاكير صاحب الطابع ، لما سافر مع أبي عبد الله محمد باي في المحلة ، وبقي مختصا به مدة ، ولما نُفسي بعد قتل الوزير ، بقي مع طائفة الموسيقى بباردو ، ثم استخدمه المشير أبو العباس احمد باي ، وحمد نجابته وخفة نفسه ، فأولاه بنباشي .

ولم يزل يتدرج بالبخت ، الى ان صيّرهُ أمير لواء على العسكر الذي يخرج من الخدمة بالعوض ، وبني له قشلة بغار الملح ، ومساكن تقارب أبنية المحمدية ، وصرفت في ذلك أموال لها بال ، لا داعي لها ، الا ان تكون لهذا الرجل إمرة على عسكر ، وبعثه سفيرا بنيشان الى ملك سردانيا ، وحركه في الخدم المهمة ، وزوجه من بنت الوزير أبي الثناء محمود ابن الوزير أبي عبد الله محمد خوجة ، ووافق ابوها غير ملتفت لكفاءة ، أمثالا لغرض الباي ، وبني بها في حلق الوادي ، قرب دار أبيها ، في علو بناه له . وابتنى قرب غار الملح قصرا في سانية ، ضاهى بها قصور الملوك .

ثم نقم عليه سيده أمورا ، سببها الغلظ والتهيه ، وبعثه من حمام الانف مسجوننا في بيته من قصر باردو . فحمله امير لواء العسة فرحات ، المتقدم ذكره ، وأركبه معه في كروسته ، وأوصله الى بيته بالصرايا ، واوصى الأمور بالمطبخة أن يجري له طعامه مثل عادته ، اعتبارا لصحبة الخدمة .

ثم سرحه ، وأعادته الى رتبته .

ولما آلت الدولة لابني عبد الله محمد باي . أخذ سائر كسبه ، ونفاه لجزيرة .

وكان حاذقا نبيها ، خفيف النفس ، حسن اللقاء ، منطويا على شر ، والمرء مجزي بعمله ، مولعا بالسعاية ، لو وجد لها من سيده اذنا واعية ، لم يحضكه الدهر بتجريب ، ولا اقتدى بأريب ، ندي الكف الا انه من مال جمعه في اقرب مدة ، من غير تعب ولا شدة .

لما تسرح من سجنه ، وأتى الصالحية ، والمشير مريض بها ، قال لي بمحضر جمع : « بلغني ان سائر الناس فرحوا بسجني وبُعدي ، ولم يقل احد منهم يا لطيف ، فما انا خرجت لهم ، فوالله لا ألعب مع أحد الا بالدم » ، فقلت له : « اطلب اللطف يا ابني ، واعرف قول العامة : كل احد يلبس من صنووقه » .

وطلق زوجه بعد تسريحه ، وبعد أيام قال للمشير : « في ظنك أنك سجتنتني لتعذبني ، فوالله ان عيشي بالسجن في بيتي ، خير من عيشك ، بوصاية أمير لواء عستك ، أنت تشدد ، وهم يخففون » ، فأعرض عنه ، وعلم من قببح سريرته الكنه ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

ولما أتى جربة قابله أعيانها بالاجلال ، وأجروا له طعام الضيف ، فرآه ضريبة عليهم ، وشدد في اقتضائها ، فقطعوا ذلك عنه . ولولا ان تداركه الله بجرابة من المشير أبي عبد الله محمد الصادق باي سدّ بها رمقه ، مات جوعا .

وتزوج بجربة ، ووُلد له ، فتخاصم يوما مع امرأته فاغضبته ، فأخذ قارورة الروم المقطر ، وجلس بها تحت شجرة يسلي الهموم ، فطرقة الاجل المحتوم ، في أوائل سنة 1282 اثنين وثمانين ومائتين والـ (1865 م) ، ودفن بها ، ساعه الله ، وغفر له .

[366 - محمد العذاري]

الشيخ أبو عبد الله محمد العذاري بمساكن .

نشأ بمساكن في طلب العلم والخير ، ودرّس وعلا ذروة منبرها ، فذكر القلوب
الناسية ، وألان الصخور القاسية ، وله في طريق القوم ذوق ، وإلى ما عند الله شوق ،
واسرار لازمته ملازمة الطوق .

وكان ، نفعنا الله به ، تقيا نقيا ، صواما قواما ، مراقبا لله في حركاته وسكناته ،
محاسبا نفسه في سائر لحظاته ، لا يرى في الوجود ، غير الواحد الموجود ، نبذ الدنيا
ظهوريا ، وترك حظوظها نسيا منسيا ، طالما بكى ووعظ في الفتنة أهل بلاده ، وجرى أمر
الله على خلاف مراده ، وسبحان من أقام العباد ، فيما أراد ، وله المراد ، فيما يريد .

ولم يزل معظما محببا معتقدا ، وأخبار زهده وكراماته تنلى ، إلى أن التحق بالرفيق
الأعلى ، سنة 1282 اثنتين وثمانين ومائتين والف (66 - 1865 م) .

[367 - حمودة العصفوري]

الشيخ أبو محمد حمودة بن محمد العصفوري .

أصل هذا الوجه من بيت مجد ورفعة ، وعلم وسُمة ، قدم جدهم الأعلى من
أشبيلية ، وخدم في دولة بني أبي حفص ، وتابعه آل بيته في الخطط النبوية ، كالوزارة
لبني أبي حفص ، والكتابة والقضاء والفتوى وإمامة الجامع الأعظم ، وغير ذلك من
الخطط العلمية والقلمية ، إلى جد صاحب الترجمة ، فكان من شعراء دولة الباشا أبي
الحسن علي بابي بن محمد ، وله تعليق على خطبة مقامات الحريري ، يدل على امتداد
بأعنه في الأدب .

ونشأ صاحب الترجمة في أطلال بيته ، قانعا بما سلف من ميته ، وعاش في ربه
وعقاره ، مرموقا بعين احترام .

ولما تقدم شيئا بمدينة تونس ، تعجب الناس من قبوله ، إذ لم تكن من خطط
آله ، ولا مناسبة بينها وبين أعماله ، ومع ذلك فقد جلى في ميدانها ، وما قصر في شأنها ،
ودانت له الحاضرة بأعيانها ، وله عند الملوك وجاهة .

ثم قدم المشير ابو العباس احمد باي ابنه لولاية على عادة اعتنائه باهل البيوت ، ففرح بالراحة ، وصار تاجرا لله في الفلاحة ، وامتنح بموت ابنه ، ففاز بأجر الصبر . ثم ان أحد أبنائه تاقت نفسه الامارة ، الى ما رآه من ثروة التجارة ، وحملته على التداين بالربا من الافرنج ، ولما حل اجل الدين ضمنه ابوه ، بمقتضى الشفقة الطبيعية ، وبهذه التقلبات ذهب الطارف والتالد ، وطار كسب الولد والوالد ، فلزم كسر البيت ، حيا كميئت .

وكان خيرا وجيها ، يميل الى الخير ، من رجال حزب الامام الشاذلي رضي الله عنه ، عزيز النفس ، وفيما نصوحا ، شانه الستر .

ولم ينزل في هم دين ورقٍ لعسار ، الى ان انتقل الى تلك الدار ، في جمادى الثانية من سنة 1282 اثنتين وثمانين ومائتين والف (اكتوبر - نوفمبر 1865 م) .

[368 - محمد الشرقي]

الكاتب ابو عبد الله الحاج محمد الشرقي المغربي .

وفد على هذه الحاضرة من المغرب ، واتخذها دارا ، واستكتبه الوزير أبو عبد الله محمد خوجة بحلق الوادي ، وعرف كل منهما مزية صاحبه ، وامتزجا كما امتزجا في عالم الارواح ، وعلم أولاده الكتابة ، وحثهم على التخلق بالنجابة ، ثم طلبه الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق خزنة دار لرئاسة الكتبة في بيت الحسبان ، فرأى ذلك أشد من فراق الاوطان ، وحثه صاحبه على القبول ، فتقدم على كره ، ثم تعلق بمرض ، يقعد عن هذا العرض ، فقال له الوزير : « آثرت الكتابة عند صاحبك ، على كتابة سيدنا » ، فقال له : « اني في بيت خزنة دار كاتب سيدنا على يدك ، واني في حلق الوادي كاتب سيدنا على يد خديمه » ، ورجع لصاحبه وإثفه ، وتراقفا في الحاضرة كالفرقدين .

ولما توفي صاحبه بقي بداره ، ثم صار وكيل المغاربة بتونس ، واستولى عليه الهرم في بدنه وماله ، فاجرى عليه المشير ابو العباس أحمد باي جراية شهرية ، من جباية فندق الغلة ، اعتبارا لسالف خدمته بحلق الوادي ، ستر بها وجهه تجمله .

وكان وجيها ، خيرا عفيفا ، ذا مروءة ، كريم النفس ، حسن الاخلاق ، مليح المحاضرة ، ذا مشاركة ، آية الله في الوفاء .

ولم تزل نفسه مع الاقلال غنية ، الى ان وافاه رائد المنية ، في رمضان سنة 1282 (جانفي - فيفري 1866 م.) عن سن عالية ، واعقب أولادا ، لم يتقطع بدعائهم عمله .

[369 - محمد المساكني]

ابو عبد الله الشيخ محمد المساكني .

شب في طلب العلم ، وأخذ عن خاله العالم الامام ابي عبد الله محمد الشاذلي بن المؤدب ، وعن الشيخ الطاهر ، والشيخ ابراهيم الرياحي وغيرهم . وحصل ملكة علمية ، وتصدر للتوثيق ، وناب خاله في حزب الشاذلي بالمغارة ، وخطبة جامع باب الجزيرة . وكان مؤثرا في إلقاء الخطبة ، جهوري الصوت ، يملأ الجامع .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا فقيها ، حسن الأخلاق والمحاضرة ، كريم السجية ، عزيز النفس ، فصيح اللسان ، متوددا إلى الناس ، يذكر بالجميل ، محافظا على مروءته . ووقع إنتخابه بمجلس الشورى .

ولم يزل بحاله متجملا بخلاله إلى أن توفي في شوال سنة 1282 (فيفري - مارس 1866) إثنين وثمانين ومائتين والـف .

[370 - مصطفى بن عزوز]

العالم الولي العارف بالله أبو النخبة سيدي مصطفى بن عزوز .

هو من بيت فضل وعلم وصلاح ، وزاويتهم بصحراء الزاب من عمل بسكرة ، ومحل زاويتهم ببلدة صغيرة تسمى بالبرج . ولآل بيته شهرة بتلك النواحي ، كما له بهذا القطر الإفريقي . ودخل هذا الولي للقطر التونسي وبث الطريقة الرحمانية في العروش ، وجدد لهذه الأمة أمر دينهم ، وطريقته لا تشديد فيها إلا لمن أراد التوغل في السلوك والخلوة ، يأمر الناس بأداء فريضة الصلاة وذكر « لا إله إلا الله » بقدر الإمكان .

وطار صيته وظهرت كراماته في العربان ، لا سيما في الجهة الغربية . وأنشأ زاوية بنقطة للصادر والوارد . وكان المشير أبو العباس أحمد باي يعظم شأنه ويجله ، واجتمع به غير مرة .

وسافر لأداء فريضة الحج ورجع لتونس .

ومن الله به على هذا القطر فأطفأ نار فتنة تأججت في سنة ثمانين لاجل مغرم الإثنيين وسبعين . وضمن للناس الأمان ، وطوع العاصي ، وقرب القاصي ، واستنزل أهل المنعة من الصياصي ، ساقه لذلك من بيده النواصي . ورجع لزاويته بنقطة . وكان ما كان من الإغترار بالأمان ، فتغير الشيخ وأصبح من النادمين من أجل ذلك ، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

وكان تقياً نقياً ، فقيها صوفياً ، قسم حياته بين تلاوة وذكر ، ونظر في الملكوت بأعمال فكر ، ووعظ وإفادة ، وإخلاص في التهجيد والعبادة ، وهداية إلى طرق السعادة ، وإصلاح ذات البين ، وإعانة المحتاجين ، ورحمة المساكين ، وهداية الضالين ، إلى غير ذلك من أخلاق الصالحين .

وكان رحمه الله فصيح اللسان ، بليغ البيان في أسرار آي القرآن ، صاحب ذوق في مقام العرفان ، متواضعا على رفعة هذا الشأن ، يرشح وعاؤه بالرحمة والرأفة والحنان ، يحب الخير لكل إنسان ، داعياً لعباد الله بالهداية والإيمان والإحسان ، ما شئت من محاضرات أبرار ، ومطالع أسرار وأنوار ، وزهد أختيار .

ولم يزل على حاله ناظراً للمآله ، يحاسب نفسه عن دقائق أعماله ، ولقاء الله أحب آماله ، إلى أن أحب الله لقاءه ليلة الإثنين آخر ذي الحجة سنة 1282 (14 ماي 1866) ودفن بزوايته بنقطة . وترك الدنيا وأهل عصره يثنون عليه بخير ، والآخرة خير ، رحمه الله .

[371 - محمد بن محمد البنا]

الشيخ العالم أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي عبد الله محمد البنا .

نشأ هذا الفاضل في بيته النبويه ، واقتدى بأبيه ، وتبلغ بالكفاف ، وزان بيته بخمول العفاف ، ثم تاقته نفسه الزكية إلى طلب العلوم ، وابتغاء ثمرات الفهم ، فدخل جامع الزيتونة ، وتقياً ظلالة وفنونه ، فأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ،

وعن شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، وعن الشيخ أبي العباس أحمد الأببي ، وعن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الرياحي ، وهو الذي زكاه بالعلم والدين في ديوان المشير أبي العباس أحمد باي ، كما تقدم في خبر رفيقه المحقق أبي عبد الله محمد النيفر ، وأخذ عن غيرهم من الشيوخ ، وامتلاً حوضه وتطلع ، وفاز بما إليه تشوف وتطلع ، ودرس بالجامع وأفاد ، وانفق مما لا يخشى عليه النقاد ، بل مما يؤمل بانفاقه الإزدياد ، وانتفع به جم من العباد ، وبقي به عمله إلى يوم التناد .

ثم انتخب لخطة القضاء فزاناها بعلمه وانصافه ، وما يحمد من جميل أوصافه ، فأجرى الأحكام الشرعية والنفوس به مطمئنة ، ومع ذلك يستشير في المظنة ، شأن قاضي الجنة . ثم انتقل لخطة الفتوى ، فكان ركنها الأقوى ، وزانها بالعلم والتقوى ، مع غيرها من الخطط العلمية .

وتقدم إماما ثانيا بالجامع الأعظم ، وخطب من إنشائه على منبره بالنيابة ، وظهر في الناس من وعظه لا من لفظه الخشوع والإنابة ، مع ملازمة الدروس ، والتأنس برياض الطروس . وكان عالما فقيها مطالعا ، جيد الحفظ ، ثاقب الفهم ، تقيا نقيا ، عالي الهمة ، متواضعا ، واسع الصدر ، لين العريكة ، جم الفضائل ، متحملا بالوقار والسكينة ، فائزا من محبة الناس بمكانة مكينة ، بعيدا عن التصنع والفضول ، معمور الأوقات بالعبادة ، من إقامة صلوات وفتوى وإفادة ، إلى أن رحل للدار الآخرة ، بعد أن قدم زاده ، يوم الإربعاء السادس عشر (1) من محرم سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والـ (30) ماي 1866 م.) ، ودفن يوم الخميس بالجلالز ، ولم يتخلف عن جنازته إلا من له عذر ، وتخلف أمير العصر لعذر مرض ، وبعث آل بيته والأعيان ، ولم يعقب ولدا ذكرا ، وإنما أعقب الذكر للجميل ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، آمين .

[372 - يوسف أمير عسكر زواوة]

أبو المحاسن يوسف أمير لواء عسكر زواوة.

هذا الرجل أصله من بلاد القرج ، جسيء به للباي أبي محمد حمودة باشا صبيا في سن الأثغار ، وتربى مع مماليكه مثل إبنه ، وآل أمره بعد وفاة سيده إلى الباي أبي النخبة مصطفى باشا ، فتربى مع ابنه منخرطا في سلك مماليكه .

(1) هو 15 حسب القويم .

ولما آلت الدولة له بعد أبيه ، اكتفى به في بعض أعمال الخدمة ، فأولاه كاهية ببتزرت ، فباشر العمل بسياسة وصدق ، ورأفة على الرعية ، وشدة ولين في موضعهما . ثم نقله إلى إمرة زواوة ، وسافر بهم إلى جربة وغيرها . وتحمل من شدتهم ما ينافي طبعه . وكان قنوعا أشبه الناس بأخلاق الزهاد ، كريم النفس ، عالي الهمة ، على قلة ما بيده ، حسن الأخلاق ، متوددا إلى الناس ، محافظا على عرضه ، آية الله في الصبر والوفاء والصدق . شكاه رجل من أهل بتزرت للمشير أبي العباس أحمد باي بالمحكمة ، بأنه أخذ منه ثلاثمائة ريال ، وكان واقفا بين يديه ، فقال له المشير : « هل أخذت منه ما ذكره ؟ » ، فقال : « نعم » ، فاضطر المشير إلى أن قال له : « رَجِّعْهَا لَه الْآنَ » ، فَرَجَّعَهَا . ولما خرج من المحكمة قال للوزير : « ان يوسف لا يعرف عادة العمال » ، ولما كلمه الوزير في ذلك قال له : « سيدنا سألني ، وأستقْبِح الكذب ، خصوصا مع سيدنا » ، فقال المشير عند ذلك : « ان يوسف لا يليق بطبعه إلا الخدمة العسكرية لا الخدمة العملية » ، ونقله بعد ذلك لعسكر زواوة ، فترفع عن أشياء من دخل أمثاله ، وتركها لأعيانهم .

[وكان] سليم الصدر ، بعيدا عن الفضول والحسد ، يراه اعتراضا على الله تعالى ، فصيح اللسان ، لطيف الشرائع ، حسن المجالسة ، مشتغلا بنفسه عن عيوب غيره ، متواضعا حياء ، والحياء خير كله ، يميل إلى الخير في سائر أحواله ، يقول ما يراه حقا ولا يبالي . ولم يزل بهذه الحالة المرضية ، إلى أن وافاه رائد المنية ، في رجب الأصعب من سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والـ (نوفمبر — ديسمبر 1866 م.) ، ودفن بزواوة سيدي عبد الوهاب ، صاحب الإمام الشاذلي رضي الله عنهما ، وأعقب صببية حمير الحواصل ، كفلهم الوزير أبو النخبة مصطفى خزنه دار ، وحنا عليهم حنو الوالد .

[373 — مصطفى آغة]

الوزير أبو النخبة مصطفى آغة ، وبهذا اللقب عرف .

أصل هذا الخير من القرج ، ونشأ في خدمة الباشا أبي النخبة مصطفى باي ، واختص به ، وسافر معه ، وحمد خدمته ، وعلم مزيتته ، وصاهره على بنته ، وتدرج إلى أن صار باش آغة ، في وجق الحاضرة .

وتقدم في دولة المشير أبي العباس أحمد باي لوزارة الحرب ، واستعان به في جمع العسكر ، وغير ذلك من المهمات ، ودفع به الملمات ، وسافر معه لباريز ، وتردد في السفارة للدولة العلية العثمانية ، ولطرابلس ، محمود الأثر ، طيب الخبر .

وله عناية بالعلم ، ومطالعة الكتب التاريخية والفقهية .

وكان خيِّراً عفيفاً ، ثقة أميناً ، مشاركاً في الفقه ، لا سيما أبواب العبادات ، نقسي العرض ، يسلك الطريق الجادة ، بعيداً عن الغلط (1) والتشبع بما ليس عنده ، يكره البطالة ، لا يفتر لسانه عن الذكر ، وأكثر أذكاره الحمد والشكر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، صعب المقادة ، يعرف معنى العلم ، ويعظم العلماء ، يغلب عليه الطبع العسكري ، في عدم الإلتفات إلى مقتضى الحال والسياسة ، من دينه النصيحة ، يقول الحق ولا يبالي ، وله في ذلك أخبار تذكّر ، وآثار تشكر .

وكان المشير أبو العباس أحمد باي يتجاوز له في ذلك ، ما لا يكاد يتجاوزه لغيره ، والملك مطلق ، ما ذاك إلا لاختصاص السريرة مع الله ، فصيح اللسان ، ثابت الجنان ، متأنياً ، خلص بتأنيهِ الحاضرة من ورطة هرج في الدولة الأحمدية ، وذلك أن بعض أفراد العسة من زاوة بياب باردو ، وقعت منهم مشاجرة مع أمير آلاي عسكر الخيالة ، وتعصبوا على عادتهم ، ودخلوا بيت عستهم ، وذلك في العشاءين ، فأمره الباي باخراج المدافع ، ويرمي البيت حتى يهدمها عليهم ، فخرج ممتثلاً ، وتوانى وتعلل ، وأخرج المتعصبين من البيت ، وأودعهم في السجن ، وأتى الباي ، وقال له : « ان هؤلاء الذين أسأؤوا الأدب ، أخرجناهم من البيت ، وهم الآن في السجن ، إلى أن ترى رأيك فيهم غدا ، ولا حاجة حيثئذ لرمي المحل بالمدفع ، في هذا الليل » .

[وكان] يكره الجور ، ويحب الخير بطبعه ، باشر أعمال بعض القبائل من الخيام ، فساسهم باللين ، الذي أسس فيهم ثروة ، وكاد ان ينسيهم ما في طباعهم من القسوة ، وعلى فضله وانصافه ، وحميد أوصافه ، كان شديد التعصب للمماليك من قبيلته ، بكيفية لا تشين جمال فضيلته .

(1) الغلط : الضرور ، الإدعاء ، (عامية تونسية) .

ومال في آخر عمره إلى التخلي ، ولم يزل يدأب على ذلك ، إلى أن أسعفه أمير العصر المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي ، فأجرى له ما يجرى لمن وهب قوة شبابه ، في خدمة الدولة ، إلى أن شاخ ، ورأى قرب المناخ ، فبقي ببستانه ، معروف الخدمة ، موفى الجراية ، مرموقا بعين الإجلال والعناية ، ولكل عمل ثواب ، ولكل أجل كتاب ، وطول الخدمة ، أوكد حرمة ، ولا بد لكل وقت من أعيان ، وسبحان من كل يوم هو في شان .

ولم يزل ببستانه في ظل الأمن والعافية ، شاكرًا ربه على نعمه الوافية ، يتزود بأعماله إلى الدار الباقية ، متمسكا بعروة الله الوثقى ، إلى أن أجاب داعي الله ، والآخرة خير وأبقى ، يوم الأحد الثالث عشر [1] من شوال سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والـ (17 فيفري 1867 م.) ، في بستانه المعروف بالكرم ، ودفن من الغد بمقبرة الأشراف ، جوار الولي العارف بالله سيدي عبد العزيز القرشي ، بمرسى الجراح ، وشهد المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي وآل بيته جنازته ، وقضى نهاره كله في ذلك ، ولم يتخلف عنها أحد من رجال الدولة ، وأعيان العسكر ، رحمه الله .
وأعقب أولادا أحسن آدابهم ، وجعل العلم دابهم ، حتى رآهم في حياته من الأعيان ، كثر الله من أمثالهم .

[374 - محمد السبوعي]

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد السبوعي .

هو أحد الأعيان من قبيلة جلاص ، خلفا عن سلف ، ولهم في خدمة الدولة القدم الراسخ ، ونشأ صاحب الترجمة بين يدي أبيه المتقدم خبره ، وتقلب في الخطط .
وكان كريم النفس ، حسن القرى ، فصيحًا محجاجًا ، أبيّ الضيم . وله في فتنة الإثنيين والسبعين صوت مسموع في إخوته ، حتى انه اشار على قبيلته بقتل أخيه العبيدي ، لأنه من حزب الدولة ، ولأجل ذلك أبعده الباي عن القبيلة ، وألزمه سكنى الحاضرة ، إكراما لأخيه ، لما له من جميل الأثر في الخدمة ، وسكن صاحب الترجمة بتونس على

(1) هو 12 حسب التقويم .

فراش مرض ، مقعد عن كل غرض ، إلى أن توفي في غربته ، على فراش محنته ، أوائل ذي الحجة من سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والـف (أوائل أبريل 1867 م.) ، ودفن بمقبرة الولي العارف بالله سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه .

[375 - أحمد العلمي]

أبو العباس أحمد العلمي .

من أعيان الحاضرة ، نشأ في صيانة ، ومروءة رفعت شأنه ، وتعلم ما خرج به من ربة الجهال ، ونظمه في سلك رجال الكمال ، وله بمعرفة الفرائض والحساب تقدم ، وآثر مثلى الطريقة ، على التكسب بالوثيقة ، فطلب الرزق من أبواب التجارة ، ورأى من بركة الصدق فيها آثاره ، فصار من أفراد الأعيان ، المعدودين في أهل الشأن ، ووقع اختياره لمجلس الشورى ، وهو المجلس الأكبر ، فباشر مدة ثم استقال ، وكأنما نشط من عقال .

وكان خيرا عفيفا ، نزيه النفس ، نقى العرض ، مشتغلا بخويصة نفسه ، إلى يوم رمسه ، في صفر من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـف (جوان 1867 م.) .

[376 - رشيد]

أمير الأمراء أبو محمد رشيد .

أصل هذا الوجيه من ممالك الوزير أبي الربيع سليمان كاهية ، تربي بداره صغيرا ، وهو من القرج ، وقرأ ما تيسر له ، ثم أخذه الباشا أبو عبد الله حسين باي ، وأضافه لابنه أبي محمد حمودة باي ، ثم نقله للخدمة العسكرية ، إلى أن صار أمير آلاي بعسكر سوسة ، ثم أضيفت إليه قيادتها ، بعد قتل الوزير شاكير صاحب الطابع ، فخدمها قليلا من الزمن ، ثم استعفى منها ، لمبايئتها الطبع العسكري ، وولع بعلم الصناعة الحربية ، وهو أول من اعتنى بتعريف كتبها ، في هذه الإيالة ، وحصل من علمها ملكة واسعة ، تشهد له أقرانه بالتقدم في ذلك :

ولم يزل يترقى إلى أن صار أمير أمراء في الدولة الاحمدية ، التي هو أحد أعيانها ورجالها ، وتوجه لسلطان الفرانسييس سفيرا ، واختاره المشير أبو العباس أحمد باي لامارة عسكره الذي أرسله لخدمة الدولة العلية العثمانية ، ومجموعهم أكثر من إثني عشر الف مقاتل . ومعه أسطول في البحر تحت امرته ، وذلك سنة 1270 كما تقدم تفصيل ذلك في الباب السادس (1) .

وهو أول من قاد عسكرا نظاميا من المغرب إلى المشرق ، وحمدت بهذه الوجهة إمرته ، وظهرت سريرته ، وساس هذا العسكر سياسة اقتضت طيب خبرهم ، وحسن أثرهم ، بحيث لم يحفظ عنهم ما يخلدش وجه المروءة الإنسانية ، ولا ما يشين الوطن التونسي . واتفق أن كان موضع قتالهم وخيما ، ومرض كثير من العسكر ، فعانى بنفسه مرضاهم ، ووارى موتاهم ، كما تواتر ذلك عنهم وعن غيرهم ، ورجع بهم إلى أرضهم ، محافظا على أبدانهم وعرضهم ، في يوم مشهود ، وموكب محدود .

وله محبة في الخير ، وإعانة المحتاج ، وبها استأذن الباي في بناء قنطرة بحلق المنجل ، من طريق سوسة ، فاستنفر الناس والعسكر ، وبنائها بأيسر مصروف ، في أقرب وقت ، وعم نفعها السالك .

وسهل طريق خنقة الحمامات ، حتى عبرتها العجلات ، بسهولة من غير مصروف ، وذلك ان العسكر لما يأتي من سوسة إلى الحاضرة ، يقول لهم : « من فخامة العسكر أنه إذا كان مجتمعا ، ومرّ بأوعار في الطريق ، يسهلها إبقاء لأثره ، وأقام بهم أياما في هذه الخنقة حتى سهلها .

وكان لا يستخدم أحدا من العسكر في حاجات نفسه الخاصة به .

وعنايات المشير أحمد باي ، وابن عمه ، مصروفة له .

وأتى المشير ابو عبد الله محمد الصادق باي فأقره على مقامه ووجاهته ، واستعان به في المهم من الأمور ، واختاره ممن اختار لمجلس الشورى ، ولمجلسه الخاص . لم تحفظ عنه سيئة ، ولا شأن عرضه ، حتى جاءت فتنة الإثنيين والسبعين ، فبعثه إلى سوسة في البحر ، ليأتي بالعسكر منها ، وأبى أهل سوسة إخراجهم ، ورأى في وجوه العسكر

(1) انظر ص 157 ج 4 .

الإمتناع ، لان مصيبة تضعيف الأداء تشمل آباءهم وإخوتهم وأقاربهم والمسرح منهم ، بعد أن أفنى في الخدمة شبابه ، وطيب عمره ، فتغافل عن ذلك ابقاء لستر تجملهم ، حيث لم يلجئهم إلى المكافحة بالعصيان ، وكاتب الباي بذلك ، فأجابه بالإستحسان ، وأسرها في نفسه ، وفتح أذنه للوشاية به .

حال هذا الرجل :

كان عالي الهمة ، سليم الصدر ، صادعا بالحق ، وهي إحدى الكبّر عند ملوك الإطلاق ، شجاعا مقداما ، صبوراً حازماً ، صعب المقادة ، أبي الضيم ، غير السجية ، والمؤمن غير كريم ، متخلقا بالطبع العسكري ، كريم النفس ، حسن المعاشرة ، وفي العهد ، حافظاً لمروءته من دنس المداهنة والملق .

ولم يزل على ما حصله من العناية والإحترام ، وأيام دهره في ابتسام ، إلى ربيع الأول سنة 1282 اثنتين وثمانين (24 ربيع الأول 1282 — 17 أوت 1865 م.) فكان من الأعيان الذين أمرهم الباي بعدم الإتيان لقصره ، ولم يسلبهم شيئاً من مالهم ، ولا من ألقابهم (1) ، فبقي بمحله إلى أن خرج أبو عبد الله محمد العادل باي لجبل خمير ، وتوجه أخوه باي المحالّ أبو الحسن علي باي بالمحلة ، واتفق أن وجده طريحاً في فراش مرض الحمى ، فبعث له ولاطفه ، وضمن له الأمان ، واستنطقه ، فسمى له أفراداً ذكر أنهم أغروه ، وأن رشيداً صاحب الترجمة منهم ، وأعانه بمال وسلاح لخاصة نفسه ، وكاتب بذلك أخاه المشير .

وبمجرد وصول الكتاب من باي المحالّ ، بهذا الخبر الذي نقله ، رأى الباي أن ذلك من القرائن على تحقيق الدعوى ، فبعث له بمجرد وصول الكتاب ، من اقتحم عليه داره بتونس ، فدافع وحده بعض مدافعة ، وجرح بعض المأمورين بالقبض عليه ، فأوثقوه كتافاً ، وجعلوه في كروسة ، وطاروا به إلى باردو ، فوجدوا الباي في انتظاره بصحن الصراية .

ولما دخلوا به شتمه ، وقال له : « غدرتني أولاً ، وتجاوزت لك ، والآن تريد أن تسفك دمى بدمى » ، ولم يترك له لحظة للجواب ، وأمر بخنقه في بيت وزير

(1) انظر ص 54 ج 6 .

الحرب ، ثم خنق بعده اسماعيل الآتي ذكره ، في علو الفسيالات ، وكان ذلك عشية يوم الجمعة سادس (1) جمادى الثانية سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـ (4 أكتوبر 1867 م.) ، ودفنا ليلا بزواية السيدة بركة ، بربرص باب الجزيرة .

ووقع العجب من هذا الإستعجال ، كما تقدم في الباب الثامن (2) ، وان وقع بعده الندم ، وهل يرد ما فات ، وعند الله تجتمع الخصوم ، في يوم العرض المعلوم ، رحمه الله .

وأعقب ابنا من زوجه الشريفة بنت أبي عبد الله محمد ابن الوزير العربي زروق ، اعتنى بتربيته خاله أمير اللواء ، ورئيس المجلس البلدي ، محمد العربي زروق ، وقرأ مبادئ العلوم بالجامع الأعظم ، وظهرت عليه سيماء النجابة والتقدم ، وهو الآن في مدارج الخطط العسكرية ، يعمر دار أبيه ، وينفق من إرثه ، في كفالة خاله وسَمِّيَ جده العربي زروق ، وانتخبه الوزير المباشر أبو محمد خير الدين للاستعانة به في مأموريته ، كما انتخب بعض أولاد من الأعيان .

[377 - اسماعيل السنّي]

أمير الأمراء أبو الفداء اسماعيل صاحب الطابع .

أصل هذا الرجل من الروم ، من ممالك الباشا أبي عبد الله حسين باي ، جاء صغيرا في سن الإثفار ، وتربى في داره ، مضافا لأكبر بنه أبي عبد الله محمد باي . وقرأ شيئا من القرآن مع ابن سيده ومخدومه ، تعلم به شيئا من نقوش الكتابة ، ولحبة ابن سيده فيه ، تسميه أقرانه « ولد الباي » .

واستكفى به مخدومه قبل الولاية في بعض مهماته المالية ، وثوقا بأمانته ، وكان يأتمنه على أسراره ، وزوجه من شقيقته ، وأسكنه معه بداره ، وتوفيت في عصمته ، وتركت منه إبنا ، ثم تزوج بنت أبي محمد رشيد كاهية ، وتوفيت في عصمته أيضا ، وتركت منه إبنا .

(1) هو 5 حسب التقويم .

(2) انظر ص 97 ج 6 .

ولما تقدم مخدمه أبو عبد الله محمد للولاية ، بعد ابن عمه ، خرطه في سلك الوزراء اورجال الدولة ، وسماه صاحب الطابع ، وربما اغتر بهذا اللقب ، وذلك ان هذه الخطة ، إنما عظمت برجال رفعوا شأنها ، وانتقلوا منها للوزارة ، وبقي عليهم لقبها ، مع ترفعهم عن مباشرتها ، وظن بعض الغافلين أن الخطة في نفسها عظيمة ، وليس كما ظن ، فانها كصاحب الدواة والسلاح وغيرهما ، والحاجة للكاتب في الدول أشد من الحاجة لصاحب هذه الخطة ، وولاه مخدمه عمل جربة ، ولم يزل يرقيه ويستدنيه ، وثوقا به ، ثم تنكر له في مرض موته ، لوشايات من بعض حساده .

ولما توفي سيده ، جامله المتولي بعده ، وخرطه في سلك رجال الدولة والوزارة ، كما خرطه في سلك المنتخبين لعمل القانون ، وأولاه وكالة الرابطة ، وحسن فيها أثره ، وأجلس جسده على منصة الرئاسة بمجلس التحقيق في الأحكام ، أيام القانون ، ونظمه في سلك من انتخب لمجلس الشورى ، المعروف بالمجلس الأكبر ، ولمجلسه الخاص . وهو أول من استحسن مصيبة الإثنيين والسبعين (1) ، تضعيف الإعانة ، تزلفا وتقربا ، وهي البضاعة لكل خيلبي من أدوات التقدم ، وسمعنا من مخدمه ، الذي أظهره ، غير مرة ، أنه كان يزين له الخروج على ابن عمه ، ويسهل عليه امره ، يحكي ذلك ، رحمه الله ، في معرض صبره وثبته .

حاله :

كان ظاهر العفة ، ملازما للصلوات والأذكار ، حتى كان يسميه بعض أصحابه في محاوراة المباشطة بالسنتي ، متوسط الإدراك ، وان تشبع بما ليس عنده ، يروم الإلتحاق بالحدّاق ، بلا حافر ولا ساق ، مطواعا لأمر سيده ، حتى أن أهل جربة أهدوا له خمسين الف ريال ، لما ولد ابنه ، وكان ذلك وقت ضرب مخدمه على أيدي العمال ، في أخذ الزائد على الإعانة ، فردها إلى فقراهم أحسن ردّ ، واعتنى في ولايته بأهل جربة ، ووقف بغاية جهده في مصالحهم وحقوقهم ، وان ختمها بسجن رجل من أعيانهم ، اسمه محمد بدرة ، لم يأت مهنتا بالعيد ، فسجنه في يومه ، وعجب أهل جربة من ذلك ، ورفعوا شكايتهم قائلين : « إن عاملنا ممن أختير لترتيب القانون المؤسس على العدل ، أمن العدل سجن إنسان في يوم عيد ، حيث تأخر عن تهنته العامل ، من غير سؤال عن سبب التخلف ؟ » .

(1) انظر ص 114 ج 5 .

[وكان] يميل إلى صحبة أهل العلم ، عظيم الحياء ، جددي السجية ، لم يتدرب في السياسة ، ولا مارسها ممارسة من أراد اللحاق بهم .

ولما جاءت فتنة الإثنيين والسبعين التي استحسنت مآثرها ، قدمه صاحبها أميراً على المحلة التي جهزها لإطفاء تلك النار ، وان اطفأها الله على يد الولي الصالح السالك العارف بالله سيدي مصطفى بن عزوز ، وقد نقل صاحب الترجمة في تلك الأيام عن العربان ، أنهم يطلبون ابطال المجالس بالكلية ، ولم يفه بها غير واحد من شرارهم ، من قبيلة ورتان ، وأخذ الله بعد الإمهال ، أخذ عزيز مقتدر .

وذلك ان صاحب هذه المحلة يكره القانون والمجالس بطبعه ، لقصوره عن مدارك الأفهام ، والمرء عدو ما جهل .

ثم رجع من تلك المحلة مريضاً بالحمى ، وقام مقامه فيها الوزير أبو الضياء رستم ، وظهر فيها ما طبعه الله عليه من الثبات والسياسة ، فمهد العافية .

ولما رجع ألبسه النيشان الذي اخترعه ، وسماه نيشان العهد ، بعد أن ألبس مثله لصاحب الترجمة ، الذي خرج بالمحلة أولاً .

وفي سنة 1282 ، بعد هذا النيشان بأيام ، بلغته عنه وعن بعض أعيان وشايات ، أمرهم لاجلها بلزوم منازلهم ، وان لا يغشوا قصره ، فبقي ببستانه المعروف بالبرطال ، في زوايا الخمول . وللرجل ولوع بالظهور والتقدم .

ثم خرج أبو عبد الله محمد العادل باي إلى الجبل عند خمير في جمادى الأولى من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـف ، وبعث الباي أخاه أبا الحسن علي باي بالمحلة ، فلاطف أخاه وأمنته وهو على فراش مرضه ، وسأله عن الذين معه في هذه الثورة ، فأخبر بصاحب الترجمة ، وأمير الأمراء رشيد المتقدم ذكره ، فكاتب باي المحال أخاه بذلك الخبر ، وبمجرد وصول المكتوب ، بعث له الباي ، وأُتِيَ به من بستانه إلى محبسه بالصرايا ، ريثما يقدم أمير الأمراء رشيد ، المتقدم ذكره ، وفي حين وصوله أمر بخنقه ، من غير أن يعلمه بما اتهم به ، فضلاً عن سماع جوابه ، واستعجل في ذلك ، أكثر مما يستعجله الجائع في قتل عنق دجاجة ، لسد رمق حياته ، ثم أمر بعده بخنق صاحب الترجمة ، وكان ذلك عشية يوم الجمعة سادس جمادى الثانية سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـف (5 جمادى الثانية - 4 أكتوبر 1867 م.) ، وأمر بدفنهما في

زاوية السيدة بركة ، فقبرا ليلا ، وذهبا كأمس الدابر ، شأن النفوس المحرمة في نظر الملك المطلق ، الذي لا وازع له من قانون شرعي أو سياسي ، والله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال . وتكلمت قناصل عظماء الدول في هذا الإستعجال ، كما تقدم تفصيل ذلك في الباب الثامن ، من هذا الكتاب (1) .

[378 - محمد بوعصيدة]

أبو عبد الله محمد المعروف بأبي عصيد .

أحد الأعيان من أبناء الحاضرة نشأ في طلب العلم وأخذ عن الشيخ الصالح العلامة شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكة النحو والفرائض وغيرهما وأخذ عن شيخنا خاتمة المحققين أبي إسحاق إبراهيم الرياحي وعن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد الأبي ، وعن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بيرم الثالث . وتسلم ذرى التحصيل وتصدر للتدريس فافاد ، وتقدم مجالس الأحكام فاجاد ، وعدّ من الأفراد .

وكان خيرا تقيا نقيا ، ذكيا المعيا ، عالي الهمة كريم النفس نقسي العرض ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ما نقص الأقال من همته ، ولا غير شيئا من محمود سجيته . ولم يزل على حالاته المرضية ، إلى أن لبى داعي المنية أواخر جمادى الثانية سنة 1284 (أواخر أكتوبر 1867) .

[379 - محمد زروق]

أبو عبد الله محمد ابن الوزير أبي عبد الله محمد العربي زروق

ابن أبي عبد الله الحاج محمد زروق .

هو من بيت شرف أصيل ، ومجد أثيل ، نشأ في خدمة الدولة بين يدي أبيه . وكان الباي حمودة باشا الحسيني يستنجه ، على صغر سنه . ثم امتحن بمحنة أبيه المتقدم

(x) انظر ص 99 ج 6 .

خبرها في الباب الثالث من هذا الموضوع (1). ثم حال الحال وساعده الإقبال مع الباشا أبي عبد الله حسين باي فقربه نجيا ، واتخذة خلا و فيا ، ورفعها مكانا عليا ، ومع هذه المكانة والحظوة ما دنس شرفه بشر ، ولا تسبب لأحد في ضرر ، ولا ذكر أحدًا بين يدي مخدمومه بسوء ، يقول الخير أو يصمت .

وكان كريم النفس ، عالي الهممة ، لين العريكة ، حسن اللقاء ، يحب أن يرى أثر نعمة الله عليه ، حسن المحادثة حلو المفاكحة ، وفي العهد جدي السجية ، سوي الظاهر والباطن ، شان السادات الاشراف .

ثم استقبل مشيبه بالأوبة والتوبة ، والنوافل والأذكار ، وزيارة الأولياء ، وانخرط في سلك الاتقياء ، ونبذ الحظوظ ظهريا ، وترك الغرور نسيا منسيا ، وتمع الله بطول السنين ، وبرور نجباء البنين .

ولم يزل على محمود حالته ، مستغرق الأوقات في اذكاره وعبادته ، إلى آخر ما قدر له في حياته من ساعته ، في نهار يوم الأحد سابع (2) رجب من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف [3 نوفمبر 1867] ودفن بتربة آله الكرام في الجلاز . ولم ينقطع عمله بدعاء صالح الولد ، رحمه الله تعالى .

[380 - محمد المازري]

أبو عبد الله محمد المازري ابن الإمام العالم الصالح
الشيخ الطاهر بن مسعود .

نشأ في دوحه تقوى وعفة وصيانه ، واعتنى والده بتربيته ، وأخذ عنه وحصل ، وفاز بما تحصل ، وتصدر للتدريس بعد والده في مدرسته السليمانية وفي جامع الزيتونة . واضطره الحال إلى التكسب بخطة التوثيق ، ثم صار من رجال مجلس الحكم ، فزان بالتقوى مجالس الأحكام .

وكان رحمه الله نقي العرض ، تقيا عفيفا ، واسع الصدر ، عزيز النفس ، متحليا بأخلاق الصالحين ، ناسجا على منوال آله المهتدين ، معظما محببا إلى الناس ، إلى آخر

(1) انظر ص 138 ج 3 .

(2) هو 6 حسب التقويم

ما قدر له من الأنفاس ، في الثامن من رجب سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (الثلاثاء 5 نوفمبر 1867 م-) ودفن بالجلاز قرب والده رضي الله تعالى عنه .

[381 - صالح زيد]

أبو الفلاح صالح زيد باش حانبه .

نشأ في الخدمة المخزنية ، وتدرج في سلمها من صبايحي إلى أن صار باش حانبه أواخر دولة المشير أبي العباس أحمد باي . وفي خلال ذلك باشر بعض الأعمال . ولاقي خطة باش حانبه وقد أخذت في التقصان على ما اقتضاه حال الزمان . وأصيب بثقل في سمعه ، غطى ما علم من حذقه وطبعه ، فقتع باسم الولاية ، وان لم يستفد منها غاية .

وكان شجاعا جريئا ، باذل النصيح في الخدمة ، يستكفي به في البحوث لحزمه ، يقدم على نفسه مصلحة من وراءه من الفرسان ، كما هو الشأن . ولم يزل يتقلب في حالاته بتقلب الأيام ، إلى أن وافاه الحمام ، أواسط رجب من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (أواسط نوفمبر 1867) ودفن بزاوية سيدي أحمد الرصاص .

[382 - قضموم الفرشيشي]

أبو عبد السلام قضموم بن محمد بن مراد الفرشيشي من أولاد علي .

نشأ هذا الرجل في حيه من الأعيان ، وتقدم بنفسه ، وزان أبناء جنسه ، وشاخ على قومه ، ولشاينخ العرب يومئذ حرمة مرعية . ونال الحظوة عند الباي أبي محمد حمودة باشا ، يستنجه ويسأله ويعتمد جوابه . وزاد في معناه المشير أبو العباس أحمد باي ، وولاه عمل قومه ، وقربه بما يقتضيه حاله ، ورقاه إلى رتبة لم تعهد لامثاله ، وانذر بفتنة الإثنيين وسبعين ورآها قبل وقوعها ، وفي بعض القلوب عيون ، وإذا أراد الله إنقاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم .

ولما جاءت الفتنة وشب ضرामها ، امتحن فيها من العامة التي قدرت ان تقول وتصول ، إلا أن صنائع المعروف وقته مصارع السوء ، فدارى القوم لمنجاة نفسه من الهلاك المحقق .

وامتنح من الخاصة أيضا ، فان بعض رجال الدولة اتهمه بالتقصير في الإصلاح ، لما يعلم من حاله ، وما تقدم من خصاله ، ورب ملوم لا ذنب له ، إذ القوة يومئذ بيد العامة ، والخاصة أذل من وتد بقاع ، حسبهم التحيل لمنجاتهم ، والناس اتباع من غلب . ولاقى بسبب هذه التهمة السجن مع ابنه عبد السلام ، ثم تسرح وأمر بالإقامة في الحاضرة ، ثم استعمل وامر بالتوجه لأهل عمله ، عند تراكم الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، وهو لا يقدم غرضا على طاعة وازع الحكم . فتوجه وترك أكبر بنيه في محبسه الذي مات فيه ، ولما وصل قومته أسف لحالهم مع أسفه على ابنه ففاجأه مرض موته ، فبقي به أياما وصار لرحمة ربه أواخر شعبان سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـ [أواخر ديسمبر 1867] ودفن بزواوية تالة .

وكان عالي الهمة ، جوادا لا ترى أبناء السبيل غير نار قراره ، جبان الكلب ، مهزول الفصيل ، لا يسأل عن السواد المقبل ، واسع الصدر شجاعا صبورا ، صادق اللهجة ، سوي الظاهر والباطن ، فصيح اللسان ، يحمل الكل ويكسب المعدم ، ويمين على نوائب الدهر ، أحيا في هذا العصر ما أندرس من مفاخر العرب ، ولكل وقت حاتم وأحفه وكعبه ، آية الله في الوفاء ، قابله الله برضوانه وغفرانه واحسانه ، وهو الكريم الذي يحبّ الكريم .

[383 - عبد الخليم الحرزي]

الشيخ أبو عبد الله عبد الخليم الحرزي .

زان بيت مجده ، على قدم أبيه وجده ، وبركة الصديق عليهم تلوح ، وطيبها من بيتهم يضح .

وحصل الملكة العلمية ، لا سيما في علمي الفرائض والحساب . وتصدر للتوثيق وعد من رجاله ، وفرسان مجاله ، ثم انتقل للشهادة على أحوال دار السكة بباردو .

وكان تقيا فاضلا وجيها ، حسن الأخلاق ، محمود المحاضرة ممتع المداكرة ، محببا إلى الناس ، إلى آخر ما قدر له من الأنفاس ، في التاسع من رمضان سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـف (4 جانفي 1868) ودفن بزواوية جدهم ، منبت مجدهم ، رحمه الله .

[384 - محمود محسن]

أبو الثناء سيدي محمود ابن الإمام أبي الحسن سيدي علي ابن الشيخ سيدي أحمد ابن سيدي محمد ابن سيدي محسن ابن الشيخ سيدي أحمد الشريف الشهير بامام جامع دار الباشا ، وتقدم شيء من ترجمته مع الأئمة بجامع الزيتونة .

نشأ في بيت شرفه ، نشأة الجواهر في صدفه ، فقرأ القرآن على الشيخ الحافظ العفيف أبي محمد حسن بن عمر ، واقتبل على العلم فأخذ عن ابن عمه الشريف الحسن ، وعن الشيخ الطاهر بن مسعود .

ثم الجأه حال الضيق ، إلى التعلل برشح من قلم التوثيق ، فتصدر لذلك متخلقا بالعدالة ، مرموقا بعين الجلالة . ثم قدمه الباشا أبو عبد الله حسين باي إماما ثالثا بالجامع الأعظم جامع الزيتونة ، وأولاه الشهادة على أوقاف الحرمين الشريفين ، وهي يومئذ من الخطط النبيهة ، وعدالته اقتضت معاينة ما يلزم لرم تلك الأحباس ، فأهدى له الباي فرسا ، عناية بشأنه .

ثم تدرج في سلم الإمامة إلى أن صار الإمام الأول ، وعليه في أمر الجامع المعول ، فقام بوظيفته وزانها وأعلى شأنها .

وكان شيخ العصر وتقي المصر شيخنا أبو اسحاق ابراهيم الرياحي يرغب في صحبته وانسه ، ويقلمه على نفسه ، وقدمه كما تقدم على صغار بنيه ، لما رأى فيه .

وكان محببا إلى الخاص والعام من أهل البلاد ، وحب الله ، كما ورد ، موصول بحب العباد .

وكان الشيخ الشاذلي بن المؤدب المفتي انف من المشي خلفه على عادة أئمة الجامع ، وبلغ ذلك إلى أبي النخبة مصطفى باي ، فبعثني إليه مع شيخنا القاضي أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار في غرض الإصلاح بينهما مع المحافظة على عادة

الجامع . هذا أبو حفص عمر المحجوب القاضي كان يمشي خلف الشيخ علي البكري : فحلف الشريف أن لا يتقدم على الشيخ الشاذلي ، ثم صفا جوّ الوداد بينهما ، شأن الأفاضل .

وكان المشير أبو العباس أحمد باي يعرف منزله ، ويجله مع ما يبلغه عنه من بعض الوشاة ، بأنه لا يحبه ويميل إلى ابن عمه ، ويقول للواشي : « إن أحبني فهو من سعادتني وإن كانت الأخرى فما أفعل مع ابن علي وفاطمة ؟ » على عادة تشيعه في حب هؤلاء السادة .

وكان عالي الهمة نزيه النفس سليم الصدر ، فقيها نبيها حسن الأخلاق ، ممتع المحاضرة حسن اللقاء متواضعا على شرفه ، تقيا تقيا عفيفا ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، شديد المحافظة على العادات المألوفة في الجامع ، بل وفي سائر حالاته ، حتى أن المجلس البلدي أجرى ماء زغوان إلى مiazza السلطان ومiazza الحفيان عند باب الجامع ، فانكر ذلك ورده من حيث ان الماء مغصوب ، وفيه ما فيه من الكلام ، وأي داع للتسبب في تطهير المسلمين بما فيه كلام ، وهو خلاف عادة البلد . آية الله في الوفاء حتى انه اعتراه مرض بعينه وبجسده غير مزاجه لما توفي صديقه شيخنا الكاتب أبو عبد الله محمد بن سليمان المناعي .

وتعلق في آخر عمره بزهد الأبرار ، وكره المقام بهذه الدار ، يطلب من أصحابه الدعاء له بذلك ، وأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه عشية يوم الجمعة السادس عشر (1) من رمضان المعظم سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـ (10 جانفي 1868) ، بعد أن أوصى بالصلاة عليه للشيخ الإمام المفتي التقي العالم أبي الحسن علي العفيف . ومن الغد صلى عليه أمام باب البهور بجامع الزيتونة ، وصار لجنازته موكب شهده الباي وآله ورجال الدولة ولم يتخلف إلاّ من به عذر من أهل البلاد ، وتزاحمت الناس على التبرك بحمل نعشه ، ودفن بتربة آله صلوات الله عليهم .

وقام مقامه في إمامة الجامع الأعظم ابن أخيه سيدي محمد بن سيدي محمد محسن ، وهو الإمام الثاني .

(I) هو 15 حسب التقويم .

[385 - عثمان البارودي]

أبو عمرو عثمان ابن الشيخ الإمام المفتي أبي عبد الله محمد
ابن الإمام المفتي أبي عبد الله الحاج حسين البارودي .

تركه والده صغيرا وكفله أخواه ، الشيخ الإمام أبو عبد الله حسين ، والشيخ
الإمام أبو العباس أحمد . وأخذ عنهما ثم أخذ عن اعلام كالشيخ أحمد الأببي ،
والشيخ محمد بيرم الثالث ، والشيخ ابراهيم الرياحي . وحصل ملكة علمية وانتقل
للخطبة والإمامة إلى أن صار خطيبا بجامع باردو .

وكان تقيا عفيفا خيرا ، نقى العرض ، عالي الهمة ، حسن الأخلاق ، فقيها .

ولم يزل على المحمود من خلاله متجملا بكماله ، ناسجا على منوال آله ، إلى
حين وفاته وانتقاله ، أواخر رمضان من سنة 1284 (أواخر جانفي 1868) ، وخلف ابنا
قام مقامه ، وتسبم ذروة المنبر ومحراب الإمامة ، كثر الله من أمثاله .

[386 - عثمان هاشم]

أبو عمرو عثمان بن محمد هاشم .

نشأ بين يدي أبيه ، معينا له على أسباب المعاش . وهو من أمائل الحاضرة ، ثم أخذ
للخدمة العسكرية بقشلة الطبخية ، فبرع فيها وتقدم بنفسه .

وسافر مع الوزير أبي محمد شاكير صاحب الطابع في محلته لجبل ماطر ، ولم
يستطع أحد من حساده وانظاره بجهد ما حمد من خدمته .

وسفر عن الدولة لاسلامبول وغيرها من بلدان أوروبا ولاميركا ، وانصاف الوزير
خير الدين اقتضى ان اختاره مستشارا ، وتدرج في سلم الخطط العسكرية يباعه إلى أن
صار أمير لواء .

وكان حازما شجاعا صبورا ، عالي الهمة كريم النفس حسن الأخلاق ، متوددا
إلى الناس .

ولم يزل على حاله متجملا ببرود كماله وجميل خصاله ، إلى حين انتقاله في الثاني
من شوال سنة 1284 (الاثنين 27 جانفي 1868) ، ودفن بموكب يناسب مقامه العسكري .

[387 - سعد بن عبيد]

من قبائل اتباع بني رزق من دريد ، وثبت في الخدمة بوجع الحوانب ، واختص به الوزير أبو النخبة مصطفى صاحب الطابع ، ثم اختص به الوزير أبو النخبة مصطفى خزنه دار ، وجعله واسطة بينه وبين عمال العربان في انهاء مصالحهم ، ومع هذه الخدمة قلب في الأعمال ، وجبى المال ، ونال من الحظوة والقرب فوق الآمال ، وربما نظر لنفسه ، وجعل ذلك مناط فكره وحده ، وغفل عن واجب النصح لمخدومه ومصلحة بني جنسه .

وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، عريقاً في السذاجة البدوية ، لو أضاف إليها الهمة العربية .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في العشرين من شوال سنة 1284 اربع وثمانين ومائتين والـف (الجمعة 14 فيفري 1868) ، ودفن بموكب مشهود ، وأعقب أولادا تسنموا ذرى الأعمال .

[388 - صولة الشعلي]

صولة بن الشيخ سعيد الشعلي ببيت بني زيد .

هذه القبيلة من أعز قبائل عمل الأعراض في النجدة والشجاعة والإيواء ، على قلة عددهم ، شأن قلة الكرام .

والشيخ سعيد هذا يعسوب قومه ، ومرجع رأيهم ، يقفون عنده ويسلمون له الرئاسة ، وهو الذي يتكلم على لسانهم وحده بين يدي الباي إذا وفدوا ، سجية انفردت بها هذه القبيلة ، وهي السبب في تقدمهم .

وله أثر جميل في الخدمة لما توجه المشير أبو العباس أحمد باي بعسكره الجرار إلى أوطان الساحل والأعراض سنة 1256 (1) .

(1) انظر ص 39 ج 4 .

ونشأ أكبر بنيه صاحب الترجمة على سنن أبيه وبه اقتدى ، ومن يشابه آبهُ
فما اعتدى .

وكان كريم السجية ، ظاهر الهمة ، مولعا بالأخلاق المرضية ، والهمة العربية .
وله اخوة نسجوا على هذا المنوال ، وتخلقوا بجميل الخلال .

وامتحن صاحب الترجمة من الجهتين في فتنة الإثنين والسبعين ، ثم توفي في وفدته
للحاضرة غرة ذي القعدة من سنة 1284 (الاثنين 24 فيفري 1868) ، ودفن بالسلسلة .

[389 - علي العروسي]

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد العروسي .

نشأ في بيت مجده ، على سنن أبيه وجده ، ثم تقدم في مباشرة الخطط والأعمال ،
كولاية صفاقس وغيرها من قبائل العربان . ثم أرسى أمره إلى التقدم لرئاسة مجلسي
التجارة والشاشية ، فباشر أعماله مباشرة حسنة مرضية ، وكان نقسي العرض ، طيب
الأخلاق ، حسن المروءة ، محمود المعاشرة مع الناس ، إلى آخر ما قدر له من الأنفاس ،
في غرة ذي القعدة سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والـ (24 فيفري 1868) ودفن
بتربة آله بالجلاز .

[390 - محمد الوزير]

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد حسن الوزير .

من بيوت الأندلس وأعيان الحاضرة في القديم والحديث . نشأ بين يدي أبيه وحفظ
القرآن وحصل ملكة علمية ثم أقبل على صناعة آله من المتجر في الشاشية وغيرها ،
غير جانح لاسباب الولايات . ولما كسد سوق الشاشية بابتداء النقص في متجر الحاضرة ،
تعطل من رشح قلم التوثيق اضطرارا .

ثم قدمه المشير أبو العباس أحمد باي وكيل على خزائن الكتب العلمية بالجامع
الأعظم ، لمكانته المكيبة في الأمان .

وكان خيرا عفيفا تقيا وجيها ، له إلى الله وجهة حسنة ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل متجملا بهتمته على اقلاله ، رافلا في برود كماله ، يزيد باخلاقه في مجد بيته وآله ، إلى حين انتقاله في ذي القعدة سنة 1284 (فيفري - مارس 1868) ، ودفن بمقبرة آله بالجلاز . وأعقب ولدا قام مقامه ، ونسج على منواله ، كثر الله في الأمة من أمثاله .

[391 - عمر ثابت]

أبو حفص عمر ابن الشيخ أبي عبد الله محمد ثابت .

نشأ بين يدي أبيه ، فدربه على الكمال وما يزين بيتهم النبوي ، وحفظ القرآن وعلم ما يجب علمه من أصول العقائد وفقه الدين ، وله في علم الحساب اليد الطولى ، وتقدم لكتابة مجلس المتجر وهي من الخطط النبوية قديما وحديثا ، وصاحبها ممن يشار إليه . ثم الزمه المشير أبو عبد الله محمد باي مشيخة المدينة وصاحبها يسمى أمين الأمانة ، فامتنع وبكى وتضرع ، فوقع الزامه فباشرها على كره ، فأسبل قناع الستر ، واعتذر لما شاخ ، ورأى قرب المناخ ، فقبل منه العذر ، وابقى طيب الثناء وجميل الذكر .

واقبل على ما يقرب إلى الله زلفى ، من ملازمة الجماعة وتلاوة القرآن في غالب أوقاته ، وكان في ذلك نسخة من أبيه المتقدم ذكره .

حاله :

كان خيرا عفيفا تقيا ، نقى العرض واسع الصدر ، عالي الهمة حسن الأخلاق ، محببا إلى الناس .

ولم يزل بين تلاوة وعبادة ، وامارات سعادة ، إلى أن لبي داعي الله والتقى لرحمته المقادة ، يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة 1284 (17 مارس 1868) ، واعقب ابنا يحيى ذكره وينشر فخره ، انخرط في سلك أهل العلم وعده من النجباء وأعيان الأدباء ، وطلب إلى مشيخة المدينة فاعرض عنها وأبى ، كثر الله للأمة الإسلامية من أمثاله .

[392 - أحمد الوزير]

أبو العباس أحمد بن حسونة الوزير .

من أعيان بيوت الأندلس بالحاضرة ، نشأ في صيانة مجده ، واقتضى نهج أبيه
وجده ، وتقدم لرئاسة مجلسي المتجر والشاشية ، ولم تحفظ عنه إلا الخصال المرضية ،
وزان سلك الأعيان بالمجلس الأكبر .

وكان عزيز النفس ، عالي الهمة ، ثاقب الفكر فصيح اللسان ، نقى العرض ،
محبيا إلى الناس ، معدودا من الأعيان أهل الشان .

ولم يزل رافلا في خلاله المرضية ، إلى أن أجاب داعي المنية ، في الرابع والعشرين
من ذي القعدة سنة 1284 (الاربعاء 18 مارس 1868) ، ودفن بتربة آله من الجلاز ،
واعقب لبنا كان كأبيه بل زاد ، كثر الله من أمثاله في الأولاد .

[393 - علي الدرناوي]

أبو الحسن علي بن محمد الدرناوي .

ربته جدته لأمه لتغيب أبيه وهو رضيع ، وحشته على التعلم ، فقرأ القرآن واقبل
على العلم ، فأخذ عن أعيان من المتأخرين كالشيخ العلامة أبي عبد الله محمد النيفر ،
والشيخ المحقق أبي عبد الله محمد بن عاشور ، وأخيه الشيخ الطاهر بن عاشور وغيرهم .
وحصل ملكة علمية ، واضطره الإقلال إلى التكسب من رشح القلم ، فانتصب للتوثيق ،
ثم صار خوجة العسكر بالمحمدية ، ثم قدمه المشير أبو العباس أحمد باي لقلم الإنشاء ،
فكان من أواسط الكتاب . وبعثه غير مرة للدولة العلية مع الأمير كشك محمد ، واستوثقه
في عدد النخيل مع الأمير أحمد زروق .

ثم سافر مع مشير العصر أبي عبد الله محمد الصادق باي في سائر محلاته ، ووفى
له بعد موت أخيه .

وكان كريم النفس حسن المروءة ، عفيفا ذكيا ، ملازما لقناع التجمل حتى افرط ،
وعده عليه العقلاء خروجا عن الطور ، ومن شذ عن طوره يفتضح ، طامح النفس إلى معالي
الأمر ، لو ساعده البخت والوقت .

ولم تزل أبواب الثروة عنه مسدودة ، وآماله متسعة ممدودة ، إلى آخر أنفاسه المملودة ، ظهر يوم الجمعة ثاني يوم عيد الأضحى (1) من سنة 1284 (3 أفريل 1868) ، ودفن بالسلسلة رحمه الله . واعقب ابنا ضعيف البدن ، اقامه مخدومه مقام أبيه على صغر سنه ، تفضلا منه .

[394 - محمد الطاهر بن عاشور]

أبو عبد الله محمد الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور .

نشأ هذا الذكي في حجر أبيه وتربية أخيه . وهو من بيت شرف وصلاح ، وترجم لخدمهم الوزير في تاريخه وكذلك حسين خوجه . ولما حفظ القرآن بمكتب حوانيت عاشور أقبل على العلم ونبذ ما سواه ، فأخذ عن أخيه أبي عبد الله محمد بن عاشور ، وعن شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكه ، وكان يستنجه ويقدمه ، وعن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بن الخوجة ، وعن شيخ الشيوخ أبي إسحاق إبراهيم الرياحي ، وعن شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وعن الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد معاوية . وكان ذلك عند التفات الهمة من المشير أبي العباس أحمد باي إلى العلم وأهله ، بترتيب المدرسين وإجراء جرياتهم ، ووقف الكتب العلمية بالجامع على الطلبة . فحبس على طلب العلم شبابه ، ولازم أبوابه ، ولم يلبث ان اقتحم على الفحول أغيالها ، وطمح إلى الغايات البعيدة فنالها ، وفاض بالعلم حوضه ، واثمر روضه ، فتصدر للتدريس في النحو والبيان والأصول وغيرها من علوم الأدب ، فانثالت إليه الناس من كل حدب ، وجرى منه بالجامع الأعظم سيل الإفادة ، وسعد به سوق العلم أي سعادة ، يقدم الإفادة على سائر لذاته ، بداع قوي من ذاته . إذا تصدر للتدريس رأيت الدر الفاخر من البحر الزاخر ، ومصداق « كم ترك الأول للآخر » .

وانتفع به أعيان من أهل المملكة أي انتفاع ، ولم تزل رتبهم في ارتفاع ، فلم يرعهم إلا تقديمه لخطة القضاء ، فانطوا على أحر من جمر الغضى ، وذلك ان الرجل لما علا كعبه واشتهر في العلم صيته في قليل من الزمن ، وتحقق المشير أبو العباس أحمد

(1) هو 10 ذو الحجة حسب التقويم .

باي ان تحصيله كان في دولته ومن ثمرات عنايته قال في مجلسه : « هذه ثمرة غرسني نريد الإنتفاع بها في حياتي » واستشار فيه صاحبنا شيخ الإسلام أبا عبد الله محمد بيرم ، فلم يعبه الا بصغر السن ، فقال له : « هل تعلم أعلم منه ممن تقدمه بالسن ؟ » فاجاب بعدم العلم ، فقدمه للخطة في 25 رجب من سنة 1267 سبع وستين (الاثنين 26 ماي 1851) وكان يومئذ في الفنون المعقولة أحسن منه في الفقه .

وللرجل همة حملته على الإنقطاع إلى الدواوين الفقهية ، وعمرَ بها أوقاته ، حتى تدارك في قليل من الزمن ما فاتته ، وجرى مع فحول الفقهاء في مضمارهم ، ومعارك انظارهم ، يحذو في الفقه حذو العلامة أبي الفداء اسماعيل التميمي من مشاركة الأصول بالفروع ، لا يذكر فقها وترجيحا إلا بحديثه ويقول : « لا يعجبني أن أقول هكذا قال الفقهاء ، وما يمنعني أن أعلم الدليل مثل ما علموه ؟ » .

وباشر الخطة إذ ذاك بميزان عدل ، لا يلتفت إلى خوف ولا عزل ، وشرذ أهل الزور ، وغلّ أيدي الملمدين وأهل الفجور .

ولباي ذلك العصر عناية باخباره ، واستحسان لآثاره ، وأطلق يده في أخذ أوامر المنتصبين للأشهاد ان رأى ريبة ويبعث بالأوامر له . وكان كثيرا ما يقول لي : « ما فعل القاضي الشريف ؟ » ، فاحكي له ما يبلغني عنه من غريب منازعه وجيد مباحثه ، فترى السرور بوجهه . وعلى ثقل الخطة كان يريح نفسه بالتدريس في بعض الأحيان .

ورغب منه أعيان من تلامذته أن يكمل لهم شرح المحلي لجمع الجوامع فاجابهم لذلك بين العشاءين . وله حاشية على القطر ، وتقايد على حاشية عبد الحكيم في البيان ، وشرح على بردة البوصيري . هذا ما يتعلق بترجمة الرجل في العلم وثقوب الفكر ومباشرته خطة القضاء .

ثم انتقل في دولة المشير أبي عبد الله محمد الصادق باي إلى خطة الفتوى وتقابة الأشراف والاحتساب على فواضل الأحباس في طرق البر العامة ، والنظارة على بيت المال ، على خلاف نص المحبس وقصده ، بمقتضى التحسيس المعلق عند باب الشفاء من الجامع . وبذلك سلقت الألسن الحداد ، من الأكفاء والحساد .

ثم انتقل إلى مجلس الباي الخاص والمجلس الأكبر للشورى الحامي لحقوق المملكة والدولة والسكان ، فلم يكن عند الظن في مصلحة البلاد والعباد ، وربما أعان شراع الوحدة بالإستبداد ، لما رأى في ذلك من المصلحة بالإجتهد .

وكان عالي الهمة ، زكبي النفس ، لم يقنع بشرف النسب ، حتى أضاف له الشرف المكتسب ، من نور الفهم والتضلع بالعلم ، وهما نعمتان وكل ذي نعمة محسود . وعلى وجود حساده وتظاهر اضداده ، لم يجدوا في قضائه موقفاً لإنتقاده .

[وكان] سليم الصدر ، حسن الأخلاق ، عذب البيان ، كاتباً شاعراً بليغاً ، أبي الضيم ، ثابت الجنان ، طيب المعاشرة ، لا سيما مع تلامذته ، حتى حلّ منهم محل العين من الإنسان والإنسان من العين ، بعيداً عن التصنع في الزي الذي هو رأس مال المفلس ، يلتحف في الشتاء بالحُولي ، ويقول لمن يعذله دونك وقولي ، ما شئت من محاضرة تتحف المجالس والمحاضر ، ويسبي النواظر زهرها الناظر .

وعلى كل حال فقد عاش ممسلاً الأغراض ، غير مكترث بما في أيدي الحسدة من سهام الإعتراض ، ومن نقص الهمة ، الحسد على النعمة .

ولم يزل في هذه الدار يدأب على أسباب الحظوة والارتقاء ، إلى أن رحل إلى جوار جده بدار البقاء ، نهار يوم الإثنين الحادي والعشرين (1) من حجة سنة 1284 (13 أفريل 1868) بيستانه بأريانة . وحمل جسده الشريف إلى داره بتونس ، ومن الغد دفن بزواية جده مع آله الطيبين . وحضر جنازته الباي وأخوته ورجال دولته ، واشتد عليه أسفه بالبكاء ، وكاد ان لا يتخلف عن جنازته أحد . وأعقب ابناً صغيراً تلوح عليه النجابة . وراثه شاعر العصر أبو الثناء الشيخ محمود قابادو بقصيدة كلها عيون (2) .

[395 - أحمد سيالة]

أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد سيالة .

من أعيان هذه الحاضرة ، وليبتهم المجد الأئيل بصفاقس قديماً وحديثاً . نشأ بين يدي أبيه ، ناسجاً على منوال آله وذويه . وأخذ عن عمه شيئاً من العلم خرج به من ربة الجهل ، وأدى فريضة الحج ، وأقبل على شأنه ، وعد من أفراد زمانه .

(1) هو 20 حسب التقويم .

(2) مطلعها : خطب له الدين ارنى لظ مذعور * والناس ما بين مبهوت ومهور . (راجع الديوان ص 137 ج 1)

وكان عالي الهممة واسع الصدر ، نقسي العرض عفيفا متواضعا ، حسن الأخلاق ، فصيح اللسان حسن الإدراك ، يغلب عليه الحياء ، من الأعيان المنتخبين لمجلس الشورى المعروف بالمجلس الأكبر .

ثم اختير شيخا للمدينة وامتنع وألح ، ووقع لإزمه فصبر ورآها بلية ، وبُعِيد ذلك صبَّحتهُ مُغَيِّرات المنية ، وأواخر محرم غرة عام 1285 (أواخر ماي 1868) ، ودفن بالسلسلة .

[396 - محمد الغماد]

أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس الحاج حميدة الغماد .

هو من آل الغماد المعدودين من أقدم بيوت البلاد ، طالما زانوا خططاً علمية وسياسية ، ونشأ صاحب الترجمة مقتفياً أثرهم ، حافظاً خبرهم ، وما قصر عن شأوهم باعتبار الوقت والحال ، ولكل زمان رجال .

تقدم شيخا لربض باب الجزيرة ، فاسبل الستر وأحسن السيرة ، ودل ذلك على ما أودع فيه من السريرة .

وكان عالي الهممة زكي النفس ، قانعا بقناع التجميل ، على شدة الأقلال ، حيا عفيفا صبورا ، نقسي العرض متواضعا ، حسن الأخلاق متوددا إلى الناس ، يزور المرضى ويشهد الجنائز ويهش لقضاء حوائجهم :

ولم يزل على كماله محببا إلى الناس ، إلى آخر ما قدر له من الأنفاس ، في غرة صفر من سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـ (الاحد 24 ماي 1868) ، وساء الناس نعيه وتسابقوا لجنائزته ، ودفن بتربة آله في الجلاز ، وأعقب ابنا صغيرا .

[397 - محمد الرصاع]

الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ عثمان ابن الشيخ قاسم الرصاع .

نشأ بين يدي أبيه زينة لبيت مجده ، على سنن أبيه وجدته ، وليت الرصاع في هذه الحاضرة مجد أصيل ، وفخر أثيل . قرأ على أبيه وغيره وحصل ملكة علمية لا سيما في الحساب والفرائض ، وتصدر للوثيقة ، وسار فيها على أقوم طريقة .

ثم تقدم بعد وفاة والده لخدمة قضاء الفريضة والشهادة على بيت المال ، وباشرها بما اقتضاه مجده من صفات الكمال ، ثم اقتضت همته رفضها . وذلك ان الوزير أبا محمد شاكير صاحب الطابع قال له يوما مداعبا : « ان بيت المال بيدك ويد الآفة تدفعان للدولة منها ما شئتم » ، فقال له : « أما الصندوق فهو بيد الآفة وهو أقرب مني إليكم ، وقدمتموني للشهادة عليه فيما يقبض وله فيما يصرف ، وحيث طرأ لكم شك في أمانتي فانظروا غيري من الآن » . وخرج ولم يدخل إلى باي العصر وهو الباشا أبو عبد الله حسين باي ، فقال والدي للوزير وكان من محبيه ونصحائه : « ان هذا الرجل من دار كبيرة ولا يرضى لعرضه ان يمس » ، فقال الوزير للوالد : « راجعه في عزمه » . فتوجه له ليلا وراجعته وألح عليه فأبى . فقدم الباي عوضه أبا عبد الله محمد القلشاني ، وهو من بيوت المجد أيضا . واختير صاحب الترجمة لمجلس الشورى المعروف بالمجلس الأكبر في آخر أمره ، ثم استقال لثقل وقع بسمعه .

وكان وجيها خيرا عفيفا ، محافظا على عرضه ومقامه ، أبي الضيم عزيز النفس عالي الهمة ، صادعا بالحق بعيدا عن المداينة . وامتنحن قبيل وفاته بموت أكبر بنه ، على حال احتياج بضعف الشبية اليه .

ولم يزل على حال مرضه أسيفا حزينا على فقده ، حتى جاوره بلحده . فتوفي رحمه الله يوم الخميس الحادي والعشرين (1) من صفر سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـ (11 جوان 1868) ، ودفن من الغد بتربة آله بالجلالز ، والدنيا مجاز ، واعقب أولادا يبقى بهم ذكره ، ولم ينقطع بوجودهم عمله .

[398 - محمود الأبى]

أبو الشناء محمود ابن العلامة أبي العباس أحمد ابن الوجيه محمود الأبى .

نشأ بين يدي أبيه ، وأخذ عنه وعن غيره من علماء العصر ، وحصل ملكة علمية تصدرر بها للتدريس ، وتقدم لامامة جامع صاحب الطابع بعد وفاة أبيه . ثم صرف عنها لأن باي العصر بعث له يوم الختم في رمضان أن ينتظر في الختم قدمه ، ولما قرب وقت

(1) هو 19 حسب التقويم .

الغروب ، وسمع ان البايع رجع إلى باردو من شيخ الربيض ، ختم . ولما انقض الموكب جاء البايع وتغير . ومن الغد عزله عن الإمامة فقط وبقي منتظما في سلك المدرسين . وكان فقيها خيرا عفيفا ، نقي العرض مقبلا على خويصة نفسه ، صبورا قانعا بقناع التجمل .

ولم يزل على حاله ، والمحمود من خلاله ، إلى ساعة انتقاله ، يوم السبت الثالث والعشرين (1) من صفر سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـف (13 جوان 1868) ، ومن الغد دفن بتربة آله من الجلاز ، رحمه الله .

[399 - محمد برناز]

الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد
ابن الإمام المفتي أبي عبد الله حسين بن مصطفى برناز.

نشأ هذا العفيف بين يدي أبيه الذي ترجم له شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بيرم كما تقدم في هذا الموضوع (2) ، وأخذ عنه وعن العلامة أبي العباس أحمد الأبسي ، وعن الشيخ المفتي أبي العباس حميدة بن الخوجة ، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بيرم ، وعن الشيخ الطاهر وغيرهم . وحصل ملكة في النحو والفقه والمنطق والأصليين وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم وغيره ، وانخرط في سلك المدرسين ، وتقدم إماما بجامع يوسف داي وشيخ مدرسته ، ثم انتقل إلى إمامة جامع القصر .

وكان خيرا تقيا عفيفا ، نقي العرض ، يعجبه الخمول ويتأنس بالإنفراد ، ممن سلم الناس من يده ولسانه ، فقيها حافظا متبثبا ، حيا والحياء كله خير ، حسن النعمة في القاء الخطب ، معدودا من الأخيار ، إلى أن انتقل إلى تلك الدار ، في السادس والعشرين من صفر سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـف (18 جوان 1868) .

(1) هو 21 حسب التقويم .

(2) انظر ص 84 ج 7 .

[400 - محمد الشاذلي العصفوري]

أبو عبد الله محمد الشاذلي بن أبي محمد حمودة العصفوري .

نشأ بين يدي أبيه ، مقصور النظر على اجداث آبائه وذويه ، قانعا من أوصافهم بمجد النسب ، عن المجد المكتسب وهو الحسب ، شأن الأعقاب في البيوت العالية ، من الإغترار بالرّمم البالية .

ثم سولت له النفس الأمانة ، تقليد الإفرنج في كيفية التجارة ، فتداين لربح المتجر بالربا ، حتى طار كسبه مع الهبا ، ويمحق الله الربا . وتغيب في الحاضرة خشية مذلة الدين ، حتى ضمنه والده شان حنان الآباء على البنين ، وخرج بذلك من جميع كسبه ، وصار لرحمة ربه ، وبقي الإبن المضمون ، يعاني مع الاقلال ثقل الديون . وكان وجيها من أعيان الطريقة الشاذلية ، ولم يزل على حاله إلى ان سترته يد المنية ، في موفى صفر من سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـ (الاحد 21 جوان 1868) ودفن بترية آله في الجلاز .

[401 - أحمد بن حسين]

خاتمة المحققين الشيخ أبو العباس أحمد بن حسين القمار الكافي .

من أعيان بيوت الكاف ، كان آله يتداولون خطط الأعمال السياسية ، ونجمت منهم أفراد . ونشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، في ظل بيته النبيه ، فحفظ القرآن العظيم بالكاف ، وتاقت همته العلية إلى التخلق بالصفات العلمية . فعزم على الرحيل من مسقط رأسه ومعاهد إيناسه ، ووافق على ذلك والده وارتحل معه بأهله ، وسكن دارا بتونس للقيام بضروريات ابنه الذي اختار السكنى مع المهاجرين في طلب العلم . فسكن المدرسة السلمانية واختص بشيخها الشيخ الطاهر بن مسعود ، وقرأ عليه النحو والفقه والمنطق والبيان والأصول ، وبلغ إلى درجة التحصيل ، مع ما فيه من الذكاء الأصيل ، ولما توفي الشيخ الطاهر انتقل للمدرسة صاحب الطابع بجامعه ولازم شيخنا المحقق أبا إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي ، وقرأ عليه تفسير القاضي البيضاوي ، وصحيح البخاري بشرح القسطلاني ، والمختصر الخليلي . وقرأ على شيخنا المحقق أبي العباس أحمد

الأبسي مختصر السعد البياني ، وغالب شرح المحلي لجمع الجوامع . ولما أمتلأ بالعلوم العقلية والتقليدية حوضه ، واثمر روضه ، طلبه شيخنا أبو إسحاق إبراهيم الرياحي أن يقرىء ابنه الشيخ الطيب النحو وغيره ، وكان يعرف منزلته ويشهد له بالتقدم . فامتثل أمر شيخه وقال له : « نأتيه كل يوم إلى الدار » . فقال له الشيخ : « العلم يؤتى إليه ولا يأتي » . فتأدب مع شيخه وقال له : « لا تقرىء في جامع صاحب الطابع وانت المدرس به » . فاختر مسجداً قربه ، واستفاد منه ابن شيخه ومن معه من أعيان الطلبة أي استفادة ، وسعدوا بعلومه أي سعادة .

ثم ناداه الوطن ، وعز على شيخنا سيدي إبراهيم خروج مثله من الحاضرة . ثم تسبب له شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد البحري بن عبد الستار ، وهو يومئذ قاضي الجماعة ، في خطة القضاء بالكاف ، فتحملها على كره ، وذلك في عام 1248 ثمانية وأربعين ومائتين والـ (33 — 1832) وقام في الخطة بما يجب لله ، نقي العرض مشكور السيرة ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

ونقل بيتهم من الرئاسة العرفية إلى الرئاسة الشرعية ، إلى أن توفي شيخنا عالم الملة أبو إسحاق إبراهيم الرياحي ، على عهد الأمير المشير أبي العباس أحمد بابي فقال : « لا يسد هذا الثلم إلا مثل الشيخ أحمد بن حسين الكافي » . فاستقدمه من الكاف وأولاه خطط شيخه ، عدا إمامة الجامع الأعظم ، وذلك في شوال من سنة 1266 [أوت — سبتمبر 1850] ، فتقدم على كره أيضا ، وصعب عليه فراق وطنه ومسقط رأسه ، وكأنه استشعر نفرة من أهل البلد . وقام بالخطة أوفى قيام ، وأقبل على التدريس بجامع صاحب الطابع ، فأفاد وأجاد ، ونفع الله به العباد .

وكان رحمه الله تقيا نقياً محققاً ، إماماً في المعقول والمنقول ، نزيه النفس عالي الهمة ، وقور المجلس يغلب عليه الصمت وحب الإنفراد . وامتنحن قبيل وفاته بموت أكبر بنيه الذي كان يتوبه في الخطبة بجامع أبي محمد ، وهو من الأعيان .

ولم يزل هذا العالم على حاله ، متجملاً بأردية كماله ، مقبلاً على مآله ، شأن العاملين الأبرار ، إلى أن لبي إلى تلك الدار ، وذلك ليلة الإثنين (1) غرة شعبان من سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والـ [16 نوفمبر 1868] ، ودفن بتربة أعدها لنفسه بلرب عسال قرب داره . وحضر جنازته أمير العصر والوزراء والأعيان .

(1) الإثنين هو يوم 30 رجب حسب التقويم .

وترك أولادا نجباء أكبرهم الآن من أعيان المدرسين ، نسخة من أبيه ، كثر الله من أمثاله في علماء المسلمين .

[402 - حمودة بوسن]

الكاتب أبو محمد حمودة بوسن .

ولد بتونس ، وتوفي والده وتركه صبيا ، فكفله عمه التاجر في حضانه والدته أخت الفقيه القاريء المعلم شيخنا أبي عبد الله محمد بن قاسم معتوق النابلي ، وعنه حفظ القرآن في مكتبه المعروف بكتاب سيدي ابن عروس ، ويبيت بدار خاله المذكور . ولما حفظ القرآن تافت نفسه للعلم فقرأ على الشيخ محمد بن نصر القابسي ، والشيخ الطاهر ابن مسعود وغيره .

ثم سافر لأداء فريضة الحج ، بعد أن رشده عمه ودفع له إرثه من مخلف أبيه ، وغاب ريثما حج وزار ، ورجع إلى الحاضرة وأقبل على شأنه من قراءة العلم ، ثم اضطره الحال إلى التكب ، ومعلوم ان كسب أمثالنا من رشح القلم ، فاستكتبه الوزير الشريف أبو عبد الله محمد العربي زروق خزنة دار ، ثم نقله الباشا أبو عبد الله حسين باي إلى قلم الحسان في بيت خزنة دار ، ثم نقله إلى ديوان الإنشاء بالمحكمة ، واختص به في غالب أوقاته ، ولازم بابه ، يكتب له ما عسى أن يطرأ في غير أوقات الخدمة ، لما عنده من الميل إلى طبعه .

وكان فقيها أديبا كاتباً وفيأ أميناً ، تغلب عليه السذاجة الإسلامية ، بعيداً عن الحضارة المسماة في هذه الأعصار تمدنا ، وهو سبب ميل الباي إليه ، شديداً في سد الدرائع ، وربما افراط حتى انه يرى هذا الزي النظامي العسكري قريباً من الكفر ، لمحافظته على السذاجة الإسلامية ، ويرى تقليد غير الإسلامي ولو في الأمور الضرورية منكراً يقارب الكفر ، وله في هذا المعنى المنازع الغريبة التي انفرد بها ، حتى اني لما رجعت من فرانساً مع المشير أحمد باي ، لا زمني ملازمة مستكشف عن حالي في العقيدة وأنا أرى ذلك منه .

ولم يزل على حاله إلى ان أقعده الكبر والهزم عن ملازمة الخدمة الملكية ، إذ قام بها ابنه الأكتب المتضمن محمد الطيب وانخرط في سلك الوقت وامترج باهله .

ولم يزل على حاله في السذاجة الإسلامية ، ويرى طبع الوقت بلية ، إلى أن لبي داعي المنية ، رحمه الله ونفعه بما عقد عليه النية ، وذلك ليلة الإربعاء الحادي والعشرين من صفر سنة 1286 ست وثمانين ومائتين والـف (2 جوان 1869) ، ودفن بتربة آله من مقبرة سيدي سفيان ، داخل باب الخضراء .

[403 - قاره عصمان]

قاره عصمان صاحب الطابع .

أصله من مماليك الوزير سليمان كاهية ، وتربى في خدمته وحجره ، ثم انتقل لخدمة الباي وتعلق بابنه مشير الوقت وأوقف نفسه على خدمته بالقلب والقالب ، وسافر معه في المحال مرضي السيرة ، وتزوج ابنة الباشا المرحوم حسين باي ، المتوفى عنها زوجها الوزير شاكير صاحب الطابع .

وكان حسن الأخلاق نقي العرض ، على قصور فيما يقتضي التقدم .

ولم يزل على حاله في سعاده ، إلى أوان منيته ، في الحادي عشر من أشرف الربيعين من سنة 1286 ست وثمانين ومائتين والـف (21 جوان 1869) ببستانه في منوبة ، وحضر الباي والأعيان جنازته ، ودفن بزاوية سيدي عبد الوهاب .

[404 - مصطفى بيرم]

الشيخ العالم أبو النخبة مصطفى ابن شيخ الإسلام

أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم .

لهذا البيت البيرومي في هذا القطر التونسي أخبار تذكر ، وآثار تشكر ، وقد تقدم اللامع بذكر هذا الفاضل عند ذكر والده ، وان جدهم الأول لما قدم للجهاد مع سنان باشا ، ويسر الله فتح هذه البلاد بذلك الجيش السعيد ، اختار السكنى بهذه المدينة ، وتزوج بها وصار من أهلها ، ومن ذريته من نجم في خدمة الرتب السياسية ، وناله ما ينال أهلها من خدمة الملوك . ووفق الله والد صاحب هذه الترجمة للاعتراف بنور العلم كما تقدم في ترجمة والده . ولما توفي أواخر شوال سنة 1214 (أواخر مارس 1800)

تركه صغيراً ، فكفله أخوه شيخ الإسلام محمد بيرم الثاني ، ورباه كأولاد صلبه ، وزقه من خالص معارفه حتى صار نسخة من أبيه . ولما أنس منه الرشد سرحه للأخذ عن الأفاضل ، فأخذ عن شيخ الإسلام ابن أخيه محمد بيرم الثالث ، ثم أخذ عن أعلام كالشيخ السنوسي الكافي ، وأخيه أبي العباس أحمد زروق ، والشيخ أحمد العوادي ، والشيخ أحمد الأبي الحنفي ، والشيخ سيدي حسن الشريف إمام الجامع الأعظم ، والشيخ إبراهيم الرياحي ، والشيخ الطاهر بن مسعود ، والشيخ أحمد بوخريص أخذ عنه المطول لسعد الدين : والشيخ إسماعيل التميمي أخذ عنه مختصر ابن الحاجب الأصلي بشرح العضد .

ولما إمتلأ بزلال العلم حوضه ، واثمر روضه ، تصدر للاقراء . ثم قدمه المشير أبو العباس أحمد باي لخطبة القضاء بالمذهب الحنفي في ذي القعدة سنة 1262 إثنين وستين ومائتين والـ (أكتوبر — نوفمبر 1846) ، وكانت يومئذ هي قطب دائرة الخطط الشرعية ، فاعطى القوس باريها ، وباشر الحكم بدار القاضي كل يوم بكرة وعشية ، على العادة السابقة من قضاة العدل ، ولم يقبل نازلة في داره ، وقام لله في النوازل الشرعية أوفى قيام ، وضرب على أيدي أهل الباطل من مردة الوكلاء للخصام ، ثم انتقل لخطبة الفتوى في منتصف ربيع الثاني من 1277 (آخر أكتوبر 1860 م.) ، وتقديم من تقدمه لخطبة الفتوى إنما هو الشح بمثله عن مفارقة خطبة القضاء .

وكان هذا الفاضل متضلعا بالعلوم العقلية والنقلية ، وقور المجلس ، متواضعا على رفعة شأنه ، حسن المحادثة لا سيما في فن التاريخ ، فقد أخذه عن أخيه من أيام صباه ، تقيا نقسي العرض ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، شأن قضاة العدل ، وشيمة أهل العلم والفضل ، محببا إلى الناس مرموقا فيهم بعين التعظيم والأجلال من العامة والخاصة ، على طول مقامه في خطبة القضاء ، وهي مزلقة الأقدام . ولم يتكلم فيه عاقل ولا جاهل من الخاصة والعامة بما يخذش وجه الخطبة ، مما يقال في القضاة المتأخرين من نسبتهم إلى الغرض لاسبابه المعلومة ، والحر عبد إذا طمع ، والعبد حر إذا قنع ، وان كانت هذه خصوصية في آل هذا البيت البيرومي ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والسبب في ذلك تباعدهم عن مظان هذا الريب ، خلفا عن سلف .

وقد كان أخو صاحب الترجمة شيخ الإسلام محمد بيرم الثاني أيام محنته بخطة القضاء ، يأتيه أمين الحجامين الحاج إسماعيل ليحلق رأسه فلا يخاطبه ببنت شفة ، ولما يفرغ من الحلق يخرج ويدفع له أجره ، وقد كان هذا الأمين من أعيان الحنفية فاستنقل نفسه وتأخر عنه وصار لا يأتيه إلا بالإرسال فيقضي الوطر من صناعته ويخرج . ولما عوفي من الخطة بعث له على العادة فلما جاءه رجب به وسأله عن حاله وأولاده على ما كان يألف منه ، فقال له الحلاق : « يا سيدي مرحبا بك ! في أي موضع كنت ؟ » ، فقال له : « أألم تعلم أنني كنت قاضيا ؟ وصاحب هذه الخطة يلزمه أن يتباعد عن مخالطة الناس بالتودد لهم » : إلى غير ذلك . سمعت هذه الحكاية من صاحب الترجمة ، كرم الله تربته وقدها ، وطيب روحه الزكية وانسها .

ولم يزل هذا العالم في أخلاقه العلية ، وسيرته البهية ، إلى أن رجعت نفسه المطمئنة إلى ربه راضية مرضية ، في أوائل ذي القعدة من سنة 1286 ست وثمانين ومائتين والـ ألف (أوائل فيفري 1870) ، ودفن بتربة آله مع أبيه وأخيه . ولم يتخلف عن جنازته أحد إلا لعذر ، وتبرك بحمل نعشه الوزراء والأمراء . وخلف ولدين كانا بفضل الله سبحانه نسخة منه في خلقه النفيس ، زانا المحراب والمنبر وحلق التدريس . كثر الله من أمثالهما في علماء الإسلام .

[405 - محمد محسن]

الإمام الشريف سيدي محمد ابن سيدي محمد ابن سيدي علي محسن .

نشأ هذا الفاضل في مجد بيتهم ، وبركة جبههم وميتهم ، وقرأ على عمه وغيره ما لا بد منه ولا يستغنى عنه . وانخرط في سلك أهل العلم ، وتزوج بنت عمه الإمام سيدي محمود محسن المتقدم ذكره . ثم أقبل على خويصة نفسه يتجر في حانوته بسوق العطارين ، شأن الأتقياء العابدين ، ولازم التعبد بتلاوة القرآن ، وعمّر به غالب الأزمان ، وتقدم إماما في الجامع الأعظم بسنة التراويح في شهر رمضان ، الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فوصلت تلاوته الخارجة من قلبه إلى قلوب السامعين ، والموعظة إذا صدرت من أهلها اثرت في الحين . ثم تقدم إماما ثالثا بالجامع لصلاة

الفريضة ، ثم ترقى إلى أن صار إماما أولَ بعد وفاة عمه سيدي محمود محسن في رمضان من سنة 1284 أربع وثمانين .

حال هذا الإمام :

[كان] حسن الأخلاق تقيا نقيا براوفيا ، مراقبا لله في سائر حالاته ، متخلقا من الكمال بأفضل صفاته . انخرط مع الأعيان في سلك المجلس الأكبر أيام القانون ، فزان المجلس . لاتأخذه في الحق والنصيحة لومة لائم ، ونطق لسان سيرته عن طيب سريرته ، شان الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

ولم يزل على حاله ، والمحمود من خلاله ، رافلا في الذاتي من كماله ، إلى حين وفاته وانتقاله ، وكان ذلك يوم مولد جده صلى الله عليه وسلم في سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين والف (الاثنين 20 ماي 1872) ، وأوصى أن يكون دفنه حذو الولي الصالح صاحب الإمام الشاذلي سيدي الجلّاز ، فدفن حذوه في قبته . رحمه الله ونفعنا بمحبة آله ومحبته . ولم يتخلف عن موكب جنازته أحد من أهل البلاد إلا من أقعده المرض . ومشى أمام جنازته الوزير المباشر أبو محمد خير الدين راجلا إلى أن وراه في قبره . واعقب أولادا أوسطهم الآن إمام الجامع الأعظم بصلاة التراويح في شهر رمضان ، وشيخ الكرسي المعد في الجامع للوعظ بتلاوة القرآن . وبقية أولاده تلوح عليهم سيماء جذب الولاية ، كعمهم سيدي علي .

[406 - حسن المقرون]

الأمير الشريف أبو محمد حسن ابن الشريف الوجيه
أبي حفص عمر المقرون المساكني .

هذا الفاضل من أعيان بيوت الشرف بمساكن ، من كبار بلدان الساحل ، ولوالده رفعة وسمعة بها . واختير للخدمة العسكرية ليكون أسوة لامثاله من الأعيان ، وخدم بالمحمدية من انباشي وتدرج في سلم الخدمة إلى ان صار أمير لواء . وأقبل في مبادئ أمره على تعلم الصناعة الحربية بجد واجتهاد حتى صارت هذه الصناعة طبيعية من ذاته ، والإشتغال بها من أكبر لذاته . وكان المشير أبو العباس أحمد باي يعرف منزلته ويوليه

ما يناسبها من الحظوة والتقريب زيادة على حظوة أبيه المعروفة المسلمة في بلاده ، واعطاه المشير أبو العباس أحمد باي الدار التي بناها الوزير شاكير صاحب الطابع ببلد مساكن .
وله في خدمة الدولة آثار مشهورة وأخبار مذكورة . ووجهه الباي صاحب القانون إلى بلده مساكن في فتنة الإثنين والسبعين كما تقدم تفصيل ذلك في الباب الثامن (1) ، وخرج منها خائفا يترقب ، لأن الأمر يومئذ بيد العامة ، وأخوه وأمثاله يومئذ تلعب بهم أيدي العامة وأهل البطالة ، حتى كان ما كان من لطف الله بهذه الإيالة وخروج الوزير أبي العباس أحمد زروق بالمحلة وقهره للعامة بالساحل . وربما يقول القائل ان هذا اللطف من الله نعمة لكن في طيها نقمة أبادت الساحل وثورته وتركته كأمس الدابر . وهرب أخوه ، لما استل سيف انتقام المحلة ، إلى دار قنصل الأتقليز بسوسة ، ووراءه عقارب السعايات ، وانتاشه القنصل وأجاره من ذلك العدوان ، وطولب بعين من المال يدفعه معجلا ، وتلونت الأقوال في القاب جوره ، وهو السبب في خروجه من هذا القطر .

وكان في أيام القانون تقدم رئيسا على ضبطية الحاضرة ، فزائها وضبطها ورتب أسباب الامن والراحة ، فقصرت الأيدي العادية وامنت الساحة ، وكان تقدمه لهذه الرئاسة في شعبان سنة 1278 ثمان وسبعين (فيفري 1862 م) ، بإشارة الوزير المنصف أبي محمد خير الدين، كما تقدم في الباب الثامن (2) .

وكانت ولايته من الطاف الله بهذا القطر . وذلك أنه في فتنة الإثنين والسبعين والهريج الذي وقع في البلاد ، وكانت سفن الفرانسيس يومئذ بحلق الوادي ، وطلبوا النزول للبر للاعانة ، ولم يوافقهم الباي ، وقع من بعض الأوباش من سفلة العامة التي إذا اجتمعت ضرت وإذا افترقت نفعت ، وفيهم جم غفير ممن له رغبة في فتنة تقع في البلاد لفائدة تخصه ، وحرك بعض الصبيان لخطف شيء من ثياب بعض اليهود قرب باب البحر ، فطار اليه الخبر وهو بالدرية ، فخرج في الحين راجلا ومعه غالب الضبطية إلى باب البحر ، وتمكن ببعض الصبيان وانفار من الذين انخرطوا في سلكهم وأتى بهم للدرية ، وحكّم في أبقارهم الضرب بالعصى أمام الدرية في شارع المارة ، ليرى مبصر ويسمع واع . وبات تلك الليلة يدور في البلاد راجلا وملاّ السجن من هؤلاء ، ومنهم من أعاد

(1) انظر ص 178 ج 5 .

(2) انظر ص 92 ج 5 .

له الضرب . وكان الضرب يومئذ محجورا ، فكاتب الباي بأنسي الآن أضرب بالعصا على خلاف القانون ، إرتكابا لأخف الضررين ، وأنا بين يدك غدا والآن . وأنجى الله هذه الحاضرة على يد هذا الشريف من نهب وسفك دماء ، وسفن الفرانسييس بشاطئها ويعلم الله ما وراء ذلك . ومن الغد شكره كل ساكن في البلاد من أهلها ومن غيرهم ، وشكره الباي ورجال دولته . ولو لم يكن له من المآثر إلا هذه لكفته في دينه وديناه . ومع ذلك لزمه الهروب إلى دار قنصل الأنقليز ارتكابا لأخف الضررين ، وسافر مع أخيه على يد القنصل إلى طرابلس ومنها إلى مصر ، واستقر بها . وكاتبه الباي وأمنه ، فرجع يقوده إيمان حب الوطن . واستعمله الباي على بنزرت فسار فيها بحزمه وإنصافه ، وما يحمد من أوصافه .

[وكان] يقرب إلى الأمية ، شغلته العلوم العسكرية عن اتقان الكتابة وتوابعها . ثم انهكه ضعف البدن وشيخوخة السن والجأه ذلك إلى الإستعفاء وقيل منه . ولم يزل على مقامه واحترامه ، وامتنحن قبيل وفاته بقطع رجله لمرض أصابه ، وخرج الأطباء يومئذ متعجبين من ثباته وصبره ، قريبا من قطع رجل عروة بن الزبير . وكان شهما حازما ، نقي العرض ، بعيدا عن التصنع ، نزيه النفس عن المطامع التي تدنس النفس والخطط والرئاسة ، عالي الهمة يقدم أدنى مصلحة عمومية على أعظم مصلحة تخصه ، ناهيك من أخلاق علوية ، ونفس عظامية عصابية ، وهمة من المطامع بريية . ولم يزل على جميل حالاته ، رافلا في جميل صفاته ، إلى آخر ساعاته ، وذلك في اشرف الربيعين من سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين والـ الف (ماي 1872) ، وعزم أخوه على حمل جسده الشريف إلى تربة آله ببلد مسكن ، فمنعه الباي خوفا على بدنه من التغيير بحر الصيف ، وإكرام الميت الدفن . ودفن بالسلسلة كامثاله ، قابله الله بالرحمة والرضى .

[407 - حسن الشريف]

أبو محمد سيدي حسن ابن سيدي محمد ابن سيدي محمد ابن سيدي عبد الكبير الشريف ابن السادة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

نشأ هذا الفاضل في بيته الأصيل ، وشرفه الأثيل ، في حجر أبيه وجده . ولما توفي والده بالمرض الوبائي سنة 1266 ، إضطر للقيام على إخوته وأهل داره إلى أعمال الفلاحة

في الحبوب والشجرة المباركة ، وعاقه ذلك عن الإشتغال بالعلم كآبائه وأجداده ، وان كان الذي عاقه هو الزاد لمعاده ، وببركة ذلك لم يخرج الوصف العلمي من دارهم . وذلك أنه حنا على أصغر اخوته حنو الوالدة على الفطيم ، ورغبه في تحصيل العلم وأعانه عليه حتى كاد أن لا يبقى له وقتا لراحة بدنه ، مع ما فيه من حدة الفهم والذكاء . فاختار العالم الفاضل التقى الشيخ أبا الحسن علي العفيف أبا إفادة ، وهو مقدم على أبي الولادة ، وتبناه شيخه إذ لم يكن له ولد صلب ، وتفنن في تربيته وافادته تفنن الآباء مع نجباء البنين ، وأخوه مع ذلك يحثه على ملازمة شيخه والإقتداء به ، حتى أراه الله فيه فوق أمنيته ، جزاء من الله على حسن نيته ، وطيب طويته . وعاد مجد العلم للدار والعود أحمد .

ثم اشتاقت نفسه الزكية ، لاداء فريضة الحج وزيارة جده خير البرية ، فسافر في رفقة من أعيان تونس اتخذوه مركز دائرتهم ومرجع مشورتهم ، وجعلوا أموره لإمرتهم ، فلم يرعنا إلا نعسي وفاته بعمل مصر في حال الكرنيتية ، وباتت الحاضرة يوم وصول هذا النعي أسيفة حزينة ، في أواسط ربيع الأنور سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين والف (أواسط ماي 1872) ، وهو ثالث الأشراف الذين فجعت البلاد بفقدهم في هذا الشهر ، جعل الله ذلك خاتمة الفجائع والشدائد .

حال هذا السيد :

كان تقيا نقيا ، برا وفيا ، حلو الشمائل ، متواضعا ، هينا لينا ، إلا في تغيير منكر . يهش لإعانة الضعفاء ، ويفرح بقضاء حوائجهم .

واختاره الباي ، في أعيان من أهل الحاضرة ، لجمع ما يتيسر على يدهم من الصدقة للفقراء الذين ساقتهم المسغبة وفتنة الاثنين والسبعين لهذه الحاضرة ، فقاموا لله بما ظهر أثره وبقي خيره ، جزاهم الله جزاء المحسنين . وتقدم خبر ذلك في الباب الثامن . (1)

وقدمه أيضا محتسبا على قبض الأعشار برابطة الطعام ، حذرا من التطفيف ، وويل للمطففين ! فقام لله بما يعجده يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .

وانخرط في سلك أهل المجلس الأكبر أيام القانون وصار كاهية الرئيس ، فقام لله بدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم . يقول الحق ولا يبالي ، سواء عنده في ذلك الأمير والمأمور .

وكان رحمه الله مقصدا لإعانة المضطرين ، وللإعانة على نواب الدهر . يعود المرضى ويشهد الجنائز ، وربما نزل إلى القبر لمواراة الميت .

ولأهل تونس تيمّن به في أمورهم ، ولو برأي منه . وكل من عرفته لا ينطق باسمه إلاّ مقرونا بالسيادة . ولهم فيه تعظيم ومحبة زيادة على الواجب لآل البيت النبوي . وإذا أحبّ الله عبدا حبّبه . وحبّ العباد موصول بحب الله .

وماذا أقول فيه ، والذي ملأ الكون يكفيه . ومهما فاح من طيب الثناء عليه الأرج ، يقول لسان الحال : حدث عن البحر ولا حرج . كرم الله تربته وقدّسها ، وطيب روحه الزكية وأنّسها ، وتفتح هذا القطر بمحبة آل البيت الذين حبهم إيمان وأمان .

(وهنا نمسك عنان القلم فيما أردنا جمعه من ترجمة هؤلاء الأعيان ، أسكنهم الله بحبوبة الجنان ، بحرمة من عمّت رسالته الإنس والجان ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . كتبه الفقير العاجز أحمد بن أبي الضياف ، مسلّما على كل من يطلع عليه . غفر الله للجميع) (1) .

(1) ما بين الفوسين ساقط من خ وع مثبت في ق .

ملحق

من نسخة المرحوم الشيخ محمد القروي

قال العلامة ابن خلدون في مقدمة تاريخه ما نصه : ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وأن أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت ، فقل أن تصادف موضعها في احد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتحليين للفضائل على العموم ، وكثير ممن اشتهر بالشر وهو بخلافه ، وكثير ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها ، وقد تصادف موضعها وتكون طبقاً على صاحبها . والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت إنما هما بالأخبار ، والأخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ، ويدخلها التعصب والتشيع ، ويدخلها الاوهام ، ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال ، لخفائها بالتليس والتصنع او الجهل الناقل ، ويدخلها التقرب لأصحاب التجلة والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين الاحوال وإشاعة الذكر بذلك ، والنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متناولون الى الدنيا واسبابها من جاه أو ثروة ، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا منافسين في أهلها ، وأين مطابقة الحق مع هذه كلها . فتختل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة ، وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبخت كما تقرر ، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق (1) هـ .

قلت وامثال ذلك كثيرة في هذا التاريخ ، منها ترجمة ممد خزنة دار التي تخلص فيها المؤلف هنا ، بعد أن ذكرها مراراً في صلب التاريخ ، ليتمكن إشهارها حتى تناقلتها الالسن واعتقدها الناس . وحقيقتها ان الرجل يوناني الأصل أتى به الحاج محمد المزاز التاجر الصفاقسي من الاسنانة ، وباعه لقائد الشوارع بثلاثمائة ريال تونسي صغرى ، ثم صار الى شاكير بالبيع او بالهبة . ومن عادة البايات والكبراء هنا أنهم يقدمون مماليتهم للاعمال الوجيية ، وفي ذلك زيادة رفعة لأسيادهم ، لأن المملوك لا يستنكف من شيء يريده سيده . فجعل شاكير

(1) الفقرة الاخيرة من الفصل السابع والثلاثين من المقدمة

صاحب الترجمة خزنة دار له ، وهي وظيفة خاصة لا عامة مثل مصطفى خزنة دار لأحمد باي لما كان ولي عهد وتكليفه بمصاريفه وإيصال ما يرد له من المال ، ولادفاتر في ذلك حيث أنهم أميون . ثم صار هذا اللقب دوليا ، وجعل له محل وكتاب ودفاتر تحت مراقبة باش كاتب الدولة .

وسبب غضب شاكير على مملوكه محمد خزنة دار لأنه أتى بأمته من بلادها ، وهي من الطبقة السفلى في قرينتها وتمسكة بدين اليونان . فرأى شاكير أن ذلك لا يناسب حالة مملوكه المسلم وrehبان اليونان تتردد على داره . فشدّد عليه التكبير ، وحجره مدّة ثم رضي عنه . ونقلت اليونانية الى دار بزنتقة الجنون ، قرب سوق النحاس ، فكانت تتبخطر هناك بصليب من ذهب في رقبتها . ولما ماتت جعل لها صندوق مكسو بالقماش المؤبر مصفح بالصفائح المذهبة ، وكانت لها جنازة ملوك .

وأما الرصاصة التي أصابت ركبة محمد خزنة دار من يد محمد شولاق فلما أن يكون ذلك خطأ أو عمداً فأمرها بين اثنين لا غير . ودعوى أن شاكير أغراه ، لأنه حسد مملوكه على فضله ونجابته ، فهو أمر غير محقول ، إذ يعد ان يعيب المالك ملكه ، وإن كرهه فما عليه إلا أن يبيعه بالحاضرة كما هو جائز في ذلك الوقت . نعم ، إن الممالك الجراكسة والقرج يكرهون الممالك اليونان لمباغتهم في الملق لأسيادهم ودناءة طباعهم ، ويرون أن أداء مراسم العبودية يكون بقدر الحاجة وبدون إخلال بالمروءة ، وفي طباعهم إباءة الضيم وكرم الأخلاق وحب الإنسانية . ويرون فضلهم على اليونان لكونهم عريقين في الاسلام ، واثمانهم أضعاف أثمان غيرهم ، وقد شاهدت ما يؤيد ذلك في جرائد أثمان مشتراهم .

هذا وقد وجدت مكتوبين من محمد خزنة دار نقلتهما هنا من خطه بحروفهما ، نصّ الاول :

الحمد لله . الى سيدي حفظكم الله . وبعد فإنه يوم التاريخ حمق عليّ سيدنا وغضب عليّ غضبة شديدة وقال لي إنني تعمّل قدّاش من حاجة من غير مشورة سيديك ، وما تخبروشي المتقبوض والمصرف ، وجبت

أُمَّكَ مِنْ غَيْرِ مَشْوَرَتُو . وانا ... (1) الا من الجواب الذي بعثته سيادتك .
واليوم بقيت بين الناس ذليل أذَلَّ مِنْ ذِمِّي . وانا مملوكك ، كان حكمت
مملوكك وكان سمحت مملوكك . واما قول سيدنا انا بعثت جيت امي من
غير مشورت سيادتكم ، أنا لا عندي أم ولا بو لِنْتِي أَمِّي وانتي هو بابا ،
وما عندي غير سيادتكم . واذا مراد سيادتكم بالحكم أْحْكُم فِي سِيَادَتِكُمْ
بِالْوَجْهَ الَّذِي تَحِبُّ . والواصل لسيادتكم تجريدة فيها مقبوض ومصروف
لتطلع عليها . والسلام من اينكم مقبل أقدامكم مسحمد . الخميس في 8 صفر سنة 1248 .

والظاهر أن شاكير لم يجبه بما يقتضي رضاه عنه ، فعاد الى استعطافه بمكتوب
آخر : ... واما سيدنا باقي معنا مثل ما خبرتكم . والله العظيم ، الذي في الكركه
أَرْطَحُ (2) مِنِّي . والبقره اذا تَحِت (3) تُكْثُرُ السَّكَاكِنُ . وكيف تكون
سيادتكم راضي بهذا ، أنا عندي احلا من العسل . هذا عندي انا وعند سيادتكم
اذا ما كان بالمروة يكون بالصيف (4) . وربنا ان شاء الله يهنئك ، وهنا سيادتكم
خير لي من كلام كل احد . والسلام من اينكم مقبل أقدامكم مسحمد . في صفر 1248 .

وهذه التفاصيل لا يجهلها المؤلف ، لأبه كان إذ ذاك كاتباً لشاكير ، كما
أنه لا يجهل بعض ممالك اليونان لأهل البلاد وتحقيرهم ، وقولهم بكل مناسبة :
« اولاد تونس زكايط (5) لا يصلحو لشي » . وهو سمعها كما سمعتها أنا مراراً....

(1) كلمة مطوسة

(2) ارتح = ارتح : اكثر راحة

(3) تحت = طاحت

(4) بالصيف = بالسيف : غضبا

(5) زكايط : معرده زكطي : لثيم ، خبيث ، شرير

فهرس الموضوعات

للمجلد الثامن من كتاب

«اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»

قسم التراجم

الصفحة	المترجم
11	197 - اسماعيل التميمي
14	198 - محمد الميزع
14	199 - سليمان بن الحاج
15	200 - محمد الشتيوي
15	201 - محمد الجنديوي
16	202 - عبد الرحمان الكامل
17	203 - محمد عريف
17	204 - محمد امين باش خوجة
18	205 - يوسف بن فرحات
18	206 - محمد بوكاف
18	207 - حسن برتقيز
19	208 - محمد المشاط
19	209 - حسونة الوزير
20	210 - محمد بوراس
20	211 - محمد عزوز
21	212 - محمد شيخ روحه
21	213 - حمودة الاصرم
21	214 - محمد البنا
22	215 - يوسف كاهية دار الباشا
22	216 - نور الله خوجة
23	217 - عبد الرحمان بن عياد

23	ابراهيم الخراط	218
24	محمود مقديش	219
24	احمد الشريف	220
25	عبد الله البلش	221
25	محمد العروسي	222
26	احمد حافظ خوجة	223
27	احمد المستيري	224
27	محمود الاصرم	225
28	شاكير صاحب الطابع	226
32	سليم امير الاي	227
32	سليمان الموسكو	228
33	محمد بن حمودة صدام	229
33	محمد شولاق	230
34	اسماعيل الباهي	231
34	يوسف بن ذا النون	232
35	احمد بن عمار	233
35	محمد البحري بن عبد الستار	234
37	الحاج بالضياف	235
39	سالم المحجوب	236
39	سليمان كاهية	237
41	علي النفاتي	238
41	محمد السنوسي الكافي	239
42	محمود الجلولي	240
42	حسين بن عبد الستار	241
43	محمد التومي	242
43	احمد بن عاشور	243
44	عبد الملك العوني	244
45	دلووار المملوك	245
45	محمد بن عامر	246
46	علي المازغني	247
48	علي العنابي	248
48	محمد القسطلي	249

الصفحة	المترجم
49	250 - محمد السقاط
49	251 - محمد شلبي
50	252 - محمد بن حمودة الاصرم
50	253 - محمد الشافعي التليلي
51	254 - مصطفى اتدادي
51	255 - حسن بوكاف
52	256 - محمد شيخ روحه
52	257 - احمد المزيو
53	258 - مصطفى التركي
53	259 - محمد بن السبوعي
54	260 - محمد بيرم الثالث
55	261 - رمضان باش مملوك
56	262 - مصطفى خوجة
56	263 - مصطفى غربال
56	264 - احمد المحجوب
57	265 - علي السقا
57	266 - سلطان الحسني
59	267 - محمد بن الامين
59	268 - قاسم عظوم
60	269 - محمد خوجة
60	270 - محمد بن ابي بكر صدام
61	271 - حمدان سيضه
62	272 - علي الدرويش الحنفي
62	273 - محمد الشاذلي المؤدب
63	274 - محمد بن محمد المحجوب
64	275 - محمد المسعودي
65	276 - حمدة الشباب
65	277 - محمد التميمي
66	278 - محمد الشاذلي يوخريص
66	279 - حسونة المورالي
68	280 - مصطفى ماضور
68	281 - عثمان المرابط

الصفحة	المترجم
69	282 - احمد الجويني
70	283 - محمد بن عاشور
70	284 - خالد الزهاني
71	285 - علي الشريف الاندلسي
71	286 - محمد الجلولي
72	287 - احمد الجزيري
73	288 - حسين الباهي
73	289 - محمد البارودي
74	290 - محمد الشريف
74	291 - احمد امير الخيالة
76	292 - محمد الطيب الرياحي
76	293 - محمد يرتقيز
76	294 - حسونة بن الحاج
77	295 - اسكندر آغة
77	296 - محمد بن سلامة
79	297 - حسن البارودي الثاني
79	298 - علي التميمي
80	299 - مصطفى البلهوان
80	300 - محمود باكير
81	301 - محمد الحضار
81	302 - سليمان المحجوب
82	303 - حميدة عزيز
83	304 - علي الرياحي
83	305 - علي الحداد
84	306 - احمد آغة
84	307 - حميدة بن دالية الرزقي
86	308 - محمد نايت
87	309 - محمد عباس
87	310 - عبد الوهاب الشارني
88	311 - حسن عامل المنستير
89	312 - محمد بن حميدة بن عياد
91	313 - محمد الفراتي

91	محمد الريفي	314 -
93	احمد العثماني بوكتور	315 -
94	فرحات الجلولي	316 -
94	علالة قايجي	317 -
96	محمد الحداد	318 -
96	صالح الزكراوي	319 -
97	عبد الله الهدة	320 -
97	خلف المحرزي	321 -
97	محمد انقبائلي	322 -
98	خير الدين كاهية	323 -
99	احمد الكيلاني	324 -
100	محمد المصفوري	325 -
100	محمد الوزير	326 -
101	احمد البارودي	327 -
102	محمود خوجة	328 -
103	محمد بن محمد المناعي	329 -
103	محمد الامين الكيلاني	330 -
104	احمد الابي الحنفي	331 -
105	حسين خوجة	332 -
107	محمد المعيلل	333 -
107	محمد الفراتي	334 -
107	احمد الاصرم	335 -
108	حمودة الطرابلسي	336 -
109	محمد بن ملوكة	337 -
111	صالح الغنوشي	338 -
111	محمد النيفر	339 -
114	كشك محمد انداي	340 -
115	محمد بن محمد الاصرم	341 -
117	مصطفى صاحب الطابع	342 -
121	محمد علي آغة	343 -
122	احمد حافظ خوجة	344 -
123	سليمان الحسني	345 -

الصفحة	المترجم
124	346 - محمد بن احمد بوخريص
124	347 - محمد بيرم الرابع
126	348 - علي الخليوي
127	349 - حسونة القسنطيني
127	350 - محمد بن حميدة بن الحوجة
129	351 - فرحات المملوك
130	352 - عبد اتقادر بن غشام
131	353 - مصطفى بوغازلي
131	354 - محمد بابوش
132	355 - مصطفى بيرم
132	356 - محمد العربي الشريف
133	357 - فرحات المملوك
135	358 - اسماعيل كاهية
135	359 - حميدة بيرم
136	360 - محمود الباجي
136	361 - حسن الخيري
137	362 - محمد بن عبد التستار
137	363 - محمد العايد التشفي
138	364 - محمد بن سليمان بن الحاج
138	365 - صالح شيبوب
140	366 - محمد العذاري
140	367 - حمودة العصفوري
141	368 - محمد الشرقي
142	369 - محمد المساكني
142	370 - مصطفى بن عزوز
143	371 - محمد بن محمد البنا
144	372 - يوسف امير عسكر زاوارة
145	373 - مصطفى آغنة
147	374 - محمد السبوعي
148	375 - احمد العلمي
148	376 - رشيد
151	377 - اسماعيل السني

الصفحة	المترجم	
154	محمد بوعصيدة	378 -
154	محمد زروق	379 -
155	محمد المازري	380 -
156	صالح زيد	381 -
156	قضوم الفرشيشي	382 -
157	عبد الخليم الحرزي	383 -
158	محمود محسن	384 -
160	عثمان البارودي	385 -
160	عثمان هاشم	386 -
161	سعد بن عبيد	387 -
161	صولة الشعلي	388 -
162	علي العروسي	389 -
162	محمد الوزير	390 -
163	عمر ثابت	391 -
164	احمد الوزير	392 -
164	علي الدرناوي	393 -
165	محمد الطاهر بن عاشور	394 -
167	احمد سيالة	395 -
168	محمد القماد	396 -
168	محمد الرصاع	397 -
169	محمود الابي	398 -
170	محمد برناز	399 -
171	محمد الشاذلي العصفوري	400 -
171	احمد بن حسين	401 -
173	حمودة بوسن	402 -
174	قارة عصمان	403 -
174	مصطفى بيرم	404 -
176	محمد محسن	405 -
177	حسن المقرون	406 -
179	حسن الشريف	407 -
183	ملحسقى	

ISBN : 9973-10-191-X (T.4)

الإنتاج الفني، مطابع البومردية
4، شارع محيي الدين القليبي - المنار 2 - تونس
الهاتف: 888 255 - الفاكس: 888 365

طبع بالمطبعة الأساسية المنطقة الصناعية - بن عروس تونس
الماتر: 380 301 . ٢٤